جامعة قاريونس
الدراسات العليا

كلية الآداب
قسم : التاريخ
شعبة التاريخ الإسلامي

السيرة النبوية في كتابات المستشرقين الإنجليز

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الإجازة العالية
(الماجستير)

إعداد الطالبة : غالية يونس محمد الذرعاني
إشراف الدكتور : حبيب مصطفى عز الدين
التخصص الدقيق: تاريخ إسلامي
كلية الآداب \ جامعة قاريونس

تاريخ المناقشة : السبت : 8\ 5\ 2010ف

جامعة قاريونس
الدراسات العليا

كلية الآداب
قسم التاريخ
شعبة : التاريخ الإسلامي

السيرة النبوية في كتابات المستشرقين الإنجليز

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الإجازة العالية (الماجستير)

إعداد الطالبة : غالية يونس محمد الذرعاني

لجنة المناقشة :

الاسم	الصفة	التوقيع
د. حبيب مصطفى عز الدين	مشرفاً	----------
د. علي حسين الشطشاط	ممتحن داخلي	----------د. عبد الله
محمد النقراط	ممتحن خارجي	----------

تاريخ المناقشة : السبت : 8\5\2010ف

تعتمد
أ.د. محمد عبد الله لامه
أمين اللجنة الشعبية لكلية الآداب

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

سورة الأنفال ، الآية 30

إهداء

إلى والديّ ، أطال الله في عمريهما .....كذرةٍ من دين

إلى زوجي ، أمده الله بالصحة والعافية ....كجزءٌ من جميل

إلى أولادي ،حفظهم الله ورعاهم ....كصورة للاقتداء

أهدي ثواب بحثي هذا إلى هؤلاء

راجيةً من الله (تعالى) أن يتقبل منا الطاعات

وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم

الباحثة

شكر وتقدير

أقدم خالص الشكر والتقدير إلى الدكتور :

حبيب مصطفى عز الدين

(المشرف على هذه الرسالة) ، والذي كان وراء هذا العمل

خطوة بخطوة ، حتى ظهر إلى حيز الوجود .

أمده الله بالصحة والعافية ، وجزاه عنا كل خير

الباحثة

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير إلى الدكتور :

علي حسين الشطشاط

الممتحن الداخلي لهذه الرسالة

و الدكتور:

عبد الله محمد النقراط

الممتحن الخارجي لهذه الرسالة

والذي قام بتصحيحها لغوياً

لها مني الشكر ، وأمدهما الله بالصحة والعافية ،

وجزاهما كل خير

الباحثة

فهرس

محتويات الرسالة

الفهرس

الموضوع الصفحة

- المقدمة ---------- 14
- اختصارات الرسالة---------- 22

الفصل الأول \ تاريخ الاستشراق---------- 25

أولاً / مفهوم الاستشراق---------- 26

1. الاستشراق لغةً---------- 26
2. ماهية الاستشراق ---------- 27
3. تعريف الاستشراق---------- 30
4. من هو المستشرق ؟---------- 31

ثانياً/ بداية الاستشراق وتطوره---------- 32

ثالثاً/ مراحل الاستشراق---------- 38

رابعاً / اتجاهات المستشرقين في دراسة التاريخ الإسلامي---------- 41

خامساً / دوافع الاستشراق---------- 44

1. الدافع الديني---------- 44
2. الدافع الاستعماري---------- 46
3. الدافع الاقتصادي---------- 48
4. الدافع العلمي---------- 49

سادساً / أهداف الاستشراق---------- 50

سابعاً / وسائل الاستشراق ---------- 51

ثامناً / مدارس الاستشراق ---------- 54

1. المدرسة الفرنسية---------- 54
2. المدرسة الإيطالية---------- 55
3. المدرسة الألمانية---------- 57
4. المدرسة الأمريكية---------- 57
5. المدرسة الهولندية ---------- 59

6. المدرسة الإنجليزية----------59
تاسعاً / تراجم مختصرة للمستشرقين الإنجليز ، موضوع الدراسة----------61
1. وليم موير ----------61
2. ديفيد صامويل مرجليوث ----------62
3. مونتيجمري وات ----------64

الفصل الثاني /تاريخ تدوين السيرة النبوية----------69

أولاً: أسباب اهتمام المسلمين بتدوين السيرة النبوية ----------70
ثانياً: تاريخ تدوين السيرة النبوية عند المسلمين----------71
ثالثاً : مصادر السيرة النبوية عند المسلمين----------79
1. القرآن الكريم ----------79
2. كتب الحديث----------80
3. كتب الشمائل----------81
4. كتب الدلائل----------81
5. كتب المغازي والسير----------81
6. كتب الأدب واللغة----------82
7. كتب التاريخ العام----------82
رابعاً/ منهجية المؤرخين المسلمين في تدوين السيرة النبوية----------83
خامساً / أسباب اهتمام المستشرقين بالسيرة النبوية----------84
سادساً/ أصناف المستشرقين ----------86
- الصنف الأول : المتحاملون المتعصبون----------86
- الصنف الثاني : الكتاب المنصفون----------86
- الصنف الثالث :الكتاب الموضوعيون----------88
سابعاً/ مصادر المستشرقون----------88
1. ترجمة معاني القرآن----------89
2. أول معجم عربي----------90
3. كتاب مختصر تاريخ الدول لأبي الفرج غريغوري ، ----------90

4. المصادر العربية---------- 91
5. المصادر غير العربية----------92
ثامناً/ مناهج المستشرقين في دراسة التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية----------94
1. منظور الرؤية المسيحية----------94
2. سيطرة النظرة الغربية----------97
3. التفسير المادي للتاريخ----------98
4. استخدام لغة التحاشي----------99
5. منهج الانتقاء الكيفي واعتماد الضعيف والشاذ----------100
6. منهج البناء والهدم----------101
تاسعاً/ أثر فكر القرون الوسطى في الكتابات الحديثة حول السيرة النبوية----------102

الفصل الثالث: موقف المستشرقين الإنجليز من السيرة النبوية
(العهد المكي)----------110

أولاً /المستشرقون الإنجليز والبيئة العربية قبل الإسلام----------112
ثانياً / تفسير عوامل ظهور الإسلام وانتشاره:----------113
1- العامل الاقتصادي:- ----------114
2- دعوى طموح الرسول – صلى الله عليه وسلم إلى السلطة والملك ----------115
3- فكر عبقري غرضه الإصلاح الاجتماعي ----------116
ثالثاً /النسب النبوي----------118
رابعاً / ولادة الرسول ونشأته ----------120
خامساً / قصة شق الصدر ----------122
سادساً / مشاركته –صلى الله عليه وسلم – في حرب الفجار----------124
سابعاً / شبهة عبادة الرسول للأصنام قبل البعثة ----------125
ثامناً / أسفار الرسول إلى الشام ----------126
تاسعاً /التحنث في غار حراء ----------132

عاشراً / مسألة الوحي ---------- 133
حادي عشر / شبه الإصابة بالصرع ---------- 135
ثاني عشر / بدء الدعوة السرية ---------- 137
ثالث عشر / الهجرة إلى الحبشة ---------- 137
رابع عشر / قصة الغرانيق ---------- 141
خامس عشر / التشكيك في مقدار اضطهاد مشركي مكة للمسلمين---------- 144
سادس عشر / ليلة الهجرة ---------- 145

الفصل الرابع : موقف المستشرقين الإنجليز من السيرة النبوية
بعد الهجرة(العهد المدني)---------- 149

أولاً / التشكيك في العلاقة مع الأنصار---------- 149
ثانياً / الإدعاء بالتحول إلى السلطة والملك---------- 151
ثالثاً / شبهة البدء بالعدوان على قريش---------- 154
1- الرغبة في الانتقام من قريش---------- 155
2- التوسع المادي ---------- 156
3- إلتماس مصدر رزق للمهاجرين---------- 157
رابعاً / سرية عبد الله بن جحش---------- 158
خامساً / التعاطف مع قريش في غزوة بدر ---------- 163
سادساً /شبهة القسوة في معاملة الأسرى ---------- 165
سابعاً / حياة الرسول الخاصة---------- 170
1- الوفاء ---------- 170
2- تعدد الزوجات ---------- 171
3- شبهة زواجه من زينب بنت جحش---------- 176
ثامناً / العلاقات مع اليهود---------- 178
1- موقف الرسول من اليهود عند الهجرة ---------- 178
2- إجلاء بني قينقاع ---------- 179

3- طرد بنو النضير ----------182
4- الحكم على بني قريضة----------183
5- فتح خيبر---------- 185

- الخاتمة ---------- 188
-Abstract----------190
- مصادر البحث ومراجعه ----------193

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، جامع الأولين والآخرين ليوم الفصل والدين ، حمداً يوجب رضاه ، ويقتضي المزيد من فضله ونعماه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نعبده ونستعين به ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصلى الله علي سيدنا محمد ، نبي الرحمة ، وهادي الأمة ، وخاتم الأنبياء ، وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً ، وبعد :

أثار الإسلام اهتمام الغرب بما أحدثه من تأثير في تفكير الإنسان وسلوكه، في كل زمان ومكان ، فانكب المؤرخون الغربيون على دراسته ، ودراسة تاريخه، وتأثير حضارته على الحضارة الغربية ، فجحد الكثير منهم فضل الإسلام وحضارته في ذلك ، واعترف آخرون بفضله وشمسه التي سطعت على الغرب .

تكمن أهمية موضوع الاستشراق في السيرة النبوية، في أنه يمس مرحلة مهمة وحساسة من تاريخ المسلمين ، مرحلة تعتبر بحق الركيزة التي يقوم عليها الإسلام ، فسيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم- تُمثل المنهاج الذي يسير عليه المسلمون في كل زمان ومكان ، وأي خلخلة في صرحها بمثابة هدم للإسلام كله.

لقد أدرك المتعصبون من المستشرقين هذه الحقيقة ؛ فسعوا إلى التشكيك في شخص الرسول – صلى الله عليه وسلم – ملفقين أو منتقين أحداثاً حساسة في سيرته – صلى الله عليه وسلم – وعمدوا إلى تحليلها حسب أهوائهم ، معتمدين في دراساتهم على أفكار من سبقهم من مستشرقين عُرفوا بالتعصب الأعمى، والدس ، والتحريف ، والكذب ، فكانت دراسات هؤلاء صورة مكررة ، بل وأشد قتامة من سابقاتها ، أما إذا أرادوا التظاهر بالموضوعية ، فعمدوا إلى الأخذ عن الضعيف والشاذ من بعض المصادر الإسلامية المغلوطة .

درس المستشرقون بعامة ، والإنجليز منهم بخاصة ، السيرة النبوية ، وكان لكل منهم أسباب خاصة ، تقوده خلال البحث ، تلك الأسباب التي كان لها الأثر البالغ والمهم في النتائج التي توصل إليها كل منهم ، فعلى سبيل المثال: فإن من دفعته أسباب دينية شابتها العصبية للمسيحية أو اليهودية والعداء للإسلام ، فقد خرجت أبحاثه مشحونة بالافتراء والكذب والدس

على سيرته – صلى الله عليه وسلم – وبطبيعة الحال ، فقد كانت النتيجة التي توصل إليها هؤلاء مبنية على حكم مُسبق ، تمثل في أن الإسلام دين لا يستحق أن يُتبع ، وأن الرسول – صلى الله عليه وسلم ، وحاشاه من ذلك مُدع وألف القرآن ، وقاد العرب لأغراض سياسة أو اقتصادية خاصة ، أو في أحسن الأحوال يصفونه بأنه مصلح اجتماعي ، أسس مذهباً صار عليه المسلمون من بعده وليس نبياً مُرسلاً من السماء ، أوحى له ربه رسالة الإسلام ، خاتمة الأديان وناسختها ومصححتها.

ولمثل نفس النتيجة سعى المستشرقون الذين كانت لهم غايات سياسية أو استعمارية أو اقتصادية ، أما من بحث في السيرة النبوية بدافع ديني خالص ، ساعياً إلى معرفة الحقيقة المجردة من الدوافع والأهواء ، مدفوعاً بالموضوعية والإنصاف ، فقد خرج بالإعجاب بالإسلام ، وربما الإيمان به والدعوة له ، والدفاع عنه .

لقد صنف في السيرة النبوية أعداد كبيرة من المستشرقين ، وذلك منذ احتكاك العالمين الإسلامي والغربي ، ومن مُختلف الجنسيات الغربية ، ولكن ما كتبه المستشرقون الإنجليز في هذا المجال ، نال أهمية خاصة ؛ وذلك لأن الاستشراق الإنجليزي هو الأقدم والأغزر إنتاجاً ، كما كان له تأثير كبير في مدارس الاستشراق الأخرى ، مثل المدرسة الأمريكية.

لقد ألف في السيرة النبوية أعداد كبيرة من المستشرقين الإنجليز ، وهم لم يكونوا على وتيرة واحدة في بحث معطيات السيرة النبوية ، فقد كان منهم المنصفون ، وكان منهم المجحفون المتعصبون ، واختصاراً للموضوع فسوف يتركز البحث على كتابات النوع الثاني ،مع التدليل بشواهد من كتابات النوع الأول .

لقد رأيت أن أحصر البحث في كتابات ثلاثة من المستشرقين الإنجليز ، وهم : وليم موير William Muir ، وديفيد صامويل مرجليوث D.S.Margoliouth ، ومنتجمري وات Montgomery Watt ؛ وذلك للأسباب الآتية :

1. أن حصر كتابات المستشرقين الإنجليز في السيرة النبوية ، دون غيرها من مجالات التاريخ الإسلامي ، وفي بحث واحد ، لا أقول عملاً صعباً ، ولكنه موضوع واسع ومتشعب ، يحتاج إلى عشرات المجلدات ، والكثير من الوقت ، إذا أردنا الإلمام بكل تفاصيله وتحليل جميع موضوعاته.

2. بعد الدراسة والتحليل تبين لي أن هؤلاء المستشرقين الثلاثة خير من يمثل مراحل تطور الإستشراق الإنجليزي .
3. أن اثنين من هؤلاء المستشرقين ، وهما موير ، ووات ، يمثلان الاستشراق المسيحي ، فكلاهما راهب قد خدم المسيحية ، وعمل على التبشير بها ، بينما يمثل مرجليوث الاستشراق اليهودي ، وهؤلاء الثلاثة يمثلون موقف الديانتين السماويتين (اليهودية والمسيحية) من الإسلام من خلال طرح سيرة نبيه – صلى الله عليه وسلم .

إن أسباب اختياري لهذا الموضوع تكمن في الآتي :

1. كان السبب الأساسي لاختياري لهذا الموضوع ، نابع من تجربة شخصية ، حيث كنت قد أطلعت على بعض الكتابات الاستشراقية خلال المرحلة الجامعية ، التي استفزت مشاعري كمسلمة ، واستطاعت بذر ظلال الشك في نفسي ، ولولا رحمة ربي ، فقد كنت أميل معها في كثير من الأحيان ، وتلك كانت الغاية التي سعى المستشرقون إلى تحقيقها ، وهي تشكيك المسلمين في دينهم ، بل والعمل على تنصيرهم ، وقد ظهر لي : إذا كان هذا ما تفعله كتاباتهم ، ذات العبارات الجذابة ، والأساليب الخادعة المظللة للمتعلمين والمثقفين أحياناً ، فما فعلها في الإنسان المسلم العادي؟ وما مبلغ تأثيرها في فكرة الغرب عن الإسلام ؟ وما مدى تأثيرها على تقدم الإسلام في العالم ؟ ، ومن هنا ، ومن منطلق إيماني الكامل بأن البحث والدراسة ، والدفاع عن الإسلام ونبيه- صلى الله عليه وسلم – هو من باب الجهاد أنال به رضا ربي في الدنيا والآخرة ، فقد ترسخ في نفسي هدف بضرورة السعي وراء الحقيقة ، وإخراجها وإثباتها بالأدلة والبراهين .
2. معرفتي الأكيدة أن اهتمام المسلمين بكتابات المستشرقين هو التاريخ الإسلامي بعامة ، والسيرة النبوية بخاصة ، قد بدأ منذ فترة قريبة ، وأن الدراسات الإسلامية في هذا المجال ، لا تزال قليلة ، ومتشعبة ، وتحتاج إلى الكثير من الدراسة والتدقيق والتمحيص أيضا ، حتى تصل إلى الدرجة المطلوبة .
3. تعريف المسلمين بآراء هؤلاء المستشرقين ، وتعرية أفكارهم المندسة تحت غطاء الموضوعية ، وكشف عدائهم للإسلام المطمور تحت ستار العلمية ، وتصحيح آرائهم المنحرفة النابعة من العلمانية ، وذلك بمقارنتها بالمصادر الصحيحة للسيرة النبوية ، وللوصول إلى الطريقة التي كانوا يحللون بها أحداث السيرة النبوية ، وكشف ما حوته من تظليل ، حتى لا ينخدع بها أبناء الإسلام ، ويسيرون كما سار كثيرون ، وراء الفكر المادي الغربي ، فتضيع حياتهم وراء الوهم .

4. المساهمة ، ولو بصورة متواضعة في إثراء المكتبة العربية الإسلامية، بمثل هذه البحوث التي يحتاجها كل مسلم.

أما المنهج الذي اخترته لدراسة وتغطية الموضوع هو المنهج التاريخي ، حيث سأعرض الشبهات التي صاغها المستشرقون الإنجليز (موضوع الدراسة) ، وأحللها ، ثم سأحدد مدى مصداقية معلوماتهم من خلال مقارنتها بالمصادر الأصلية للسيرة النبوية ، وبعد ذلك أحاول الرد عليها ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

وقد واجهتني خلال بحثي عدة صعوبات وعراقيل ، أذكر منها :

1. عدم توفر المصادر الأساسية للموضوع ، وأقصد بها كُتب المستشرقين (موضوع الدراسة)، بلغتها الأصلية ، داخل الجماهيرية ، مما اضطرني إلى الاستعانة بالمكتبات خارج الجماهيرية ، مثل الجامعة الأمريكية في القاهرة ، ومكتبة جامعة الإسكندرية، وجامعة طيبة بالمملكة العربية السعودية، وغيرها من المكتبات العربية والأجنبية، سواء بالتصوير أو بالشراء عن طريق الإنترنت ، إضافةً إلى قلة المراجع العربية المتعلقة بالموضوع .
2. يقوم الموضوع على دعامتين : التاريخية ، والفقهية ، والتي احتجتها للرد على افتراءات المستشرقين وشبهاتهم حول شخص الرسول – صلى الله عليه وسلم -؛ لذا كان عليّ دراسة الكثير من المسائل الجديدة وتحليلها ، واستعنت في ذلك بالكتب المتخصصة في الحديث والفقه ومقارنة تاريخ الأديان وغيرها.
3. رغم الحصيلة المتواضعة لديّ لمفردات اللغة الإنجليزية وأدواتها ، فقد أدركت مدى صعوبة ترجمة النصوص الإنجليزية إلى اللغة العربية، فقد كان هذا الأمر يحتاج مني إلى التأني والدقة في النقل حتى تكون الترجمة صورة صادقة وموافقة لما أراده المستشرقون ، وقد أخذ ذلك مني الكثير من الوقت والجهد .

وفيما يتعلق بالدراسات السابقة ، فقد تناول موضوع الاستشراق العديد من الباحثين المسلمين وغير المسلمين ، ولكن بصورة عامة ، يمكن القول أن الدراسات السابقة التي اهتمت بهذا الموضوع، قليلة ، بل نادرة ، بعضها تناول الاستشراق بصورة عامة مثل:

1. كتاب '' الظاهرة الاستشراقية ، وأثرها في الدراسات الإسلامية'' للدكتور : ساسي سالم الحاج ،وهو من الكتب المهمة والأساسية التي اعتمد عليها الموضوع .

2. كتاب '' ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها '' للدكتور : محمد فتح الله الزيادي ، وهو من المراجع العربية القليلة التي تناولت موضوع الاستشراق .
3. كتاب '' المستشرقون والإسلام '' لزكريا هاشم زكريا ، وقد تحدث في بعض فصوله عن موقف المستشرقون من السيرة النبوية .
4. كتاب '' الإسلام والمستشرقون '' لمحمد دسوقي ، وغيرها .

لقد سعيت للحصول على أكبر قدر ممكن من المصادر والمراجع والدوريات المتعلقة بالبحث ، كما استعنت بشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ؛ للحصول على أحدث الدراسات التي تناولت الموضوع.

وتنقسم المصادر التي استعنت بها في بحثي إلى قسمين : مصادر أساسية تمثل الركيزة التي يقوم عليها البحث ، وهي كتب المستشرقين الإنجليز (موير - ومرجليوث ، ووات) ، التي تناولت السيرة النبوية بلغتها الأصلية ، مثل :

1. كتاب '' Life of Mohamet from the Original Sources '' لوليم موير William Muir.
2. كتاب '' Mohammed and the rise of Islam '' لديفيد صامويل مرجليوث D.S. Margoliouth.
3. كتاب '' Mohammed at Mecca '' لمونتجمري وات ، وغيرها .

والقسم الثاني : يتمثل في المصادر الإسلامية التي تناولت الموضوع مثل :

1. كتاب '' السيرة النبوية '' لابن هشام ، وهو كما هو معروف النسخة المصححة من كتاب '' المغازي والسير لابن إسحاق '' ، والذي يعتبر من أهم المصادر الإسلامية التي تناولت السيرة النبوية لكونه الأقرب إلى الحدث .
2. كتاب '' تاريخ الرسل والملوك '' لابن جرير الطبري ، وهو من كتب التاريخ العام ، أفرد فصلاً لحياة الرسول- صلى الله عليه وسلم - ، وقد اعتمد كثيراً على ابن اسحاق .
3. كتب أخرى مثل : '' الطبقات الكبرى لابن سعد ، و'' السيرة النبوية '' لابن كثير ، و '' وجوامع السيرة '' لابن حزم ، و ''الروض الآنف'' للسهيلي ، وغيرها ، إضافة إلى كتب تراجم الصحابة ، مثل : '' الإصابة في معرفة الصحابة '' لابن حجر ، وغيرها.

أما المراجع العربية والمعربة ، فهي كثيرة ومتنوعة ، وتنقسم بدورها إلى خمسة أقسام :

القسم الأول : كتب طبقات المستشرقين ، مثل :

1. '' موسوعة المستشرقين ''لعبد الرحمن بدوي .
2. '' المستشرقون ''لنجيب العقيقي.
3. '' طبقات المستشرقين '' لعبد الحميد صالح .
4. '' المستشرقون البريطانيون '' **لآ** ربري Arbrey.

وقد حوت هذه الكتب المعلومات الوافية عن المستشرقين الذين درسوا الشرق بعامة ، والإسلام بخاصة ، في شتر المجالات ، ومن كل البلدان ، وقد تضمنت هذه الكتب الآثار التي ألفها كل مستشرق في مجال تخصصه .

القسم الثاني : كتب تاريخ الاستشراق ونقده ، مثل :

1. كتاب'' الدراسات العربية و الإسلامية في أربا ''لميشال جحا .
2. '' الاستشراق و المستشرقون '' لمصطفي السباعي .
3. '' الاستشراق ''لإدوارد سعيد .

وهذه الكتب قد تناولت تاريخ الإستشراق ،ونقدت بعض ما كتبه المستشرقون .

القسم الثالث : كتب المستشرقين الإنجليز و السيرة النبوية ، مثل :

1. ''السيرة النبويه في دائرة المعارف البريطانية '' للدكتور وليد بن بلهيش العمري ، تناول مادة ''محمد :حياته و رسالته ''في دائرة المعارف البريطانية ، وهو من الكتب الحديثة جداً في مجال نقد الاستشراق والسيرة النبوية.
2. '' المستشرقون والقرآن '' لعمر لطفي العالم ، وغيرهما .

القسم الرابع : كتب دراسة السيرة النوبية ، وتحليلها ، مثل :

1. '' السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي '' لعبد الشافي محمد عبد اللطيف ، وقد عرض فيه السيرة النبوية برؤية معاصرة .
2. '' حياة محمد ، ورسالته '' لمولانا محمد علي .

3. '' حياة محمد '' لمحمد حسنين هيكل ، الذي حلل فيه آراء كل من موير ودير منجم .

القسم الخامس : كتب علم التاريخ ونشأة التدوين ، وقد تناولت تلك الكتب تاريخ تدوين السيرة النبوية قديماً وحديثاً ، أذكر منها :

1. '' نشأة علم التاريخ '' لعبد العزيز الدوري .
2. '' نشأة التدوين التاريخيّ'' لحسين نصّار، وغيرهما .

أما خطة البحث فهي كالآتي :

- المقدمة: عرضت فيها أهمية الموضوع ، والأسباب التي دعتني إلى اختياره ، والصعوبات التي واجهتني في البحث ، وأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث ، خطة البحث .
- الفصل الأول : تناولت فيه ،تاريخ الإستشراق، مفهومه ، ونشأته ، وتطوره ، والمراحل التي مر بها ، وأهدافه ومدارسه ، ثم أدرجت تراجم للمستشرقين موضوع الدراسة .
- الفصل الثاني : تحدثت فيه عن تاريخ تدوين السيرة النبوية :أسباب اهتمام المسلمين بتدوين السيرة ، ومراحل تدوينها، والمنهج الذي سار عليه المؤرخون المسلمون في التدوين ، ثم أسباب الاهتمام الغربي بالسيرة النبوية ، وأصناف المستشرقين الذين كتبوا في السيرة ، ومناهجهم التي ساروا عليها ، وأثر فكر العصور الوسطى في الكتابات المعاصرة عن السيرة النبوية .
- الفصل الثالث : حاولت فيه أن أحدد موقف المستشرقين الإنجليز (موضوع الدراسة) من السيرة النبوية ، خلال العهد المكي، نسبه – صلى الله عليه وسلم ، وقصة شق الصدر ، والسفر إلى الشام ، وموقفهم من البعث والهجرة والرد على الشبهات التي أثارها المستشرقون الإنجليز حول كل نقطة .
- الفصل الرابع : جعلت هذا الفصل خاصاً بآراء المستشرقين الإنجليز حول أحداث السيرة النبوية خلال العهد المدني ، العلاقة بين المهاجرين والأنصار، وموقفهم من السرايا والغزوات ، وحياة الرسول – صلى الله عليه وسلم الخاصة ، ورأيهم في العلاقات بين المسلمين واليهود ، ومحاولة الرد على الشبهات التي أُثيرت حول تلك الموضوعات.

- الخاتمة ، وفيها قدمت أهم النتائج التي توصلت إليها بعد الدراسة ، وضمنتها بعض التوصيات .

وأخيراً : هذا العمل أردت به وجه الله وحده ، فإن كنت قد أصبت فذلك توفيق من الله سبحانه وتعالى يستوجب شكره وثناه ، وإن كنت قد أخطأت ، فالكمال لله وحده وجلّ من لا يخطئ ، وأسأل الله ثواب أني قد حاولت .

والله من وراء القصد .

الباحثة

اختصارات الرسالة

ب ت = بدون تاريخ

بم = بدون مكان

ت = ترجمة

تح = تحقيق

ص = صفحة

ط = الطبعة

ع = العدد

م : = متوفي

P = (page) = الصفحة

Cf =(Compare) = قارن

Ibid = (Ibidem) = المرجع نفسه

Op.Cit = (Opero Citate) = المرجع السابق

الفصل الأول
تاريخ الإستشراق

الفصل الأول \ تاريخ الاستشراق

أولاً / مفهوم الاستشراق----------26
5. الاستشراق لغةً----------26
6. ماهية الاستشراق ----------27
7. تعريف الاستشراق----------30
8. من هو المستشرق ؟----------31
ثانياً/ بداية الاستشراق وتطوره----------32
ثالثاً/ مراحل الاستشراق----------38
رابعاً / اتجاهات المستشرقين في دراسة التاريخ الإسلامي----------41
خامساً / دوافع الاستشراق----------44
5. الدافع الديني----------44
6. الدافع الاستعماري----------46
7. الدافع الاقتصادي----------48
8. الدافع العلمي----------49
سادساً / أهداف الاستشراق----------50
سابعاً / وسائل الاستشراق ----------51
ثامناً / مدارس الاستشراق ----------54
7. المدرسة الفرنسية----------54
8. المدرسة الإيطالية----------55
9. المدرسة الألمانية----------57
10. المدرسة الأمريكية----------57
11. المدرسة الهولندية ----------59
12. المدرسة الإنجليزية----------59
تاسعاً / تراجم مختصرة للمستشرقين الإنجليز ، موضوع الدراسة----------61
4. وليم موير ----------61
5. ديفيد صامويل مرجليوث ----------62
6. مونتيجمري وات ----------64

تَاريخ الاستشراق

منذُ أنْ نشأت الحضاراتُ القديمة والعلاقاتُ بَيْنَ الشَّرق والغرب في تطوُّرٍ مستمر،وقد اتَّخذت -تلْكَ العلاقاتُ- في بداياتها الطابع التجاري،وسرعان ما دفعت المطامع الاقتصادية والسياسية ، ولاحقاً الديّنيةُ ، كلا الطرفين- الشَّرقَ والغربَ - لمحاولةِ السَّيطرة وإخضاعِ الجانب الآخر، أوْ إحتوائه ثقافياً ،وقد تمخَّضت العلاقاتُ بين الشَّرق والغرب ، ومحاولةُ الغرب لفهم

الشَّرق ، أياً كانت الغايةُ التَّي يسعى إلى تحقيقها ، عَنْ نشوء حركة ، وُصفتْ بأنَّها علميةٌ ، تعدَّدتْ مراحلُها بتعدُّد دوافعها وأهدافها ، أُطْلِقَ عليها (الاستشراق).

رغم أن هذه الحركة لم تتَّضحْ معالمُها ، ولم تتَّخذْ الأسلوبَ المنظّم وتنفصل كميدان علمي، ولا اتخَّذتْ لها اسماً ، إلا في العصور الحديثة ، فإن جذورها تعودُ إلى القرن السَّادس قبل الميلاد ، فكان أوَّلُ باحثٍ سجَّل ظروفَ وأحوالَ احتكاكِ الغرب بالشَّرق ، هو المؤرِّخُ اليونانيُّ ،**هيرودوت**، الذَّي جمع معلوماتٍ كثيرة، حملتْ قيمةً علميةً عنْ الأصقاع التَّي زارها ، رغم احتواء تلك المعلومات على الكثير مِنَ الخرافات والأساطير، فقد توالى بعده الباحثون عَنِ المعرفة الشَّرقية ، وظهر في كُلِّ مرحلةٍ تاريخَّيةٍ باحثون ، حملوا غاياتهم في قلوبهم ، وبحثوا في شتّى شؤون الشَّرق ، فدرسوا كل ما يخصُّ علومه وآدابه وثقافته وحضارته ، وأثَّروا وتأثرَّوا ،وطرحوا آرائهم في مؤلفَّات ملأَتْ المكتبات شرقاً وغرباً ، وكانتْ ذات تأثيرٍ بالغٍ في قارئيها.

وحيث إن تاريخ الاستشراق، هو موضوعٌ خاصٌّ بدارسيِّ التَّاريخ الحديث ، إلا أنَّ مُتطلَّبات موضوع البحث ، دفعتني إلى إدراج فَصْل ، في شرح موجز عَنْ تاريخ هذه الحركة؛ لنتعرَّف على بواعثها ،و موقفها مِنَ الإسْلامِ ، والمنهجِ الذَّي سارتْ عليه في دراسةِ التَّاريخ الإسلاميّ على وجه العمومِ ، وسيرةِ الرَّسولِ **مُحَّمدِ** - صلَّى الله عَلَيْه وسلَّم- على وَجْهِ الخُصوصِ ،وسأحاولُ في هذا الفَصلِ أن أبيّنَ مَفْهومَ الاستشراق، ونشأته ، والمراحلَ التَّي مرَّ بها، بَعْد أنْ أوْضِحَ دوافِعَهُ ، ثم سأحاولُ شرحَ الأهداف التَّي سعى إلَّى تحقيقها،وأعطي نبذةً مختصرةً عنْ أهم المدارس الاستشراقية ، ثم سألخِّصُ تراجم للمستشرقين الإنجليز ، موضوع الدِّراسة ، وهم : **وليم موير ، وديفيد صموئيل مرجليوث**، و**مونتيجمري وات** .

أولاً /مفْهومُ الاستشراقِ

1- الاستشراق لغة :

إن كلمة (استشراق) حديثةَ المنشأ ، لم تظهرْ إلاَّ في العصور الحديثة ،أي أنَّها لم ترِدْ في المعاجم اللُّغوية العربية ،ومعَ ذلكَ يستطيعُ الباحثُ أنْ يصلَ إلى معناها الحقيقي استناداً إلى

قواعدِ الصَّرْفِ وعلمِ الاشتقاق ([1])، فإذا نظرنا في قواميس اللُّغة العربية ، نجد أنها مشتقة من مادة (شرق):

"أتجه إلى الشرق ، وأشرقتِ الشَّمسُ : طلعتْ وأضاءت ، والشَّرقُ: نقطةُ الأفق التي تطلع فيها الشَّمْس...والمشرق:مكان،أو جهة شروق الشمس"([2]).

فكلمة(**استشراق**) مرتبطةٌ بالشَّرقِ([3]) كمكانٍ وجهةٍ، ويظهرُ مِنْ معناها: أدخل نفسهُ في أهْلِ الشَّرق وصارَ منْهم ، وأن السِّين هنا للطَّلب([4]) ، أي طلب ما في الشرق ، وأن مفهوم الكلمة قائمٌ على وِحْدة جغرافية وثقافية ولغوية وعرقية أساسها : الشَّرقُ ، وهي بذلك توحي بالاهتمام الغربيّ بما يحتويه الشَّرقُ منْ علومٍ ومعارفَ وسماتٍ حضاريةٍ مُتنوِّعة([5])،لِمَنْ يُعنى بذلكَ مِنْ عُلماء الفرنجة([6]).

وكلمة الشَّرْقِ حسبَ دلالتها التَّاريخية والمعاصرة ، تعني مجموعةَ الأقطار المنتشرة في آسيا وبعض الأقطار الأفريقية ،المطلَّة منْها على البحر المتوسِّط ، بالإضافةِ إلى بعضِ أجزاء مِنْ أوروبا الشَّرقيَّة ، وفي بعضِ الأحيانِ يُطْلقُ هذا المصطلحُ على القسمِ الغربي مِنْ آسيا، والتَّي تُسَّمى أيضاً (الشَّرق الأدنى) ([7]).

وبالنَّظر إلى كلمة (Orient) ، في اللُّغة اللاتينية ،نجد أنها تعني : يتعلَّمُ أوْ يبحثُ عَنْ شيء ما، وفي اللُّغة الفرنسية (Orienter) : وجّه أو هَدَىَ أو أرشَدَ ، أما في اللُّغة الإنجليزية (Orientation)، و(orientate): فتوجيه الحواس نَحْو اتِّجاه أو علاقة ما في مجالِ الأخلاقِ،أو الاجتماعِ ،أو الفكرِ، أو الأدبِ نَحْوَ اهتماماتٍ شخصَّيةٍ في المجال الفكْري، أو الرُّوحي ([8]) ، وفي اللُّغة الألمانيةِ (Sich Orientiern) : يجمع معلومات (معرفة) عن شيء

---

(1) ينظر ،أحمد سما يول فتش: فلسفة الاستشراق، وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، دار المعارف (القاهرة ، 1980م) ،ص 22.

(2) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب المحيط ،مادة: شرق ،قدم له : عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف : يوسف خياط، دار لسان العرب (بيروت ،ب ت)، 2\303.

(3) الغرب : مصطلح حديث ، استعمله الأوربيون في عصور الاستعمار، عندما قسموا العالم إلى : شرق وغرب ، ويعنون بالغرب أنفسهم، ويعنون بالشرق : أهل آسيا وأفريقيا –ينظر، محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية ، دار الإرشاد (بيروت،1969م) ص 11.

(4) ينظر ، بسام داود عجك : " التراث الإسلامي والاستشراق" مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، ع 7 (طرابلس، 1990م) ،ص162

(5) ينظر ،إدوارد سعيد : الاستشراق، ت: كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية (بيروت ، 1981م)، ص80.

(6) ينظر ،أحمد عبد الرحيم السائح: " الحركة الاستشراقية وكيفية مواجهتها"،مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، ع 17، (طرابلس ، 2000م) ص 162..

(7) ينظر ،محمد فتح الله الزيادي : " الاستشراق، النشأة والدوافع " ، مجلة رسالة الجهاد ، ع 98، العام العاشر ، (طرابلس، 1991م) ، ص 88.

(1) ينظر: منير البعلبكي :قاموس المورد ،مادة Orient ، دار العلم للملايين ، ط13 (بيروت ،1979 م) ،ص 638.

ما([1]) ، ويشير الباحثون إلى أنَّ مُصطلحَ الاستشراق ظهر لأول مرَّةٍ باللُّغة الإنجليزية حوالي عام(1193هـ/ 1779م) ، كما دخل مُعجم الأكاديمَّيةِ الفرنسية في عام(1254هـ/ 1838م)([2]).

2- ماهَّيةُ الاستشراق:

قبل أن أعرض ، لأهم التَّعريفات التَّي حاولتْ الكشفَ عَنْ مفهوم هذا المُصطلح ، ينبغي تحديد ماهية الاستشراق: هَلْ هو علم ؟ أم ظاهرة ؟ أم حركة ؟.

رغم أنَّ الكثيرَ مِنْ الباحثين- منهم نجيب العقيقي _ يُدرجُ الاستشراق في تصنيف العلم ، ويؤيِّدُ قَوْلَهُ بأنَّ المُستشرقين قد اتَّبعوا في دراساتهم لحضارة الشَّرق ولغاته وتاريخه الْمنهج الْعلمي القائم على الشَّكِّ **([3])**، والموازنة، والتَّرتيب؛ لبلوغ الحقيقة([4]) ، وإذا كان العلم ينشدُ دوماً معرفةَ الحقيقةِ المجرَّدةِ، حتَّى وإنْ كانتْ- تلكَ الحقيقةُ- لا تلائمُ عواطفنا وأهواءَنا وانفعالاتِنا ([5]) ، وأيقنا أن العالم ينبغي أن يكون نزيهاً ، عادلاً ، حريصاً على استجلاْء الحقيقة بتجَّردٍ ، وإنصافٍ لا تتحكَّمُ فيه موروثاتٌ، أو رواسبٌ ممَّا صنعته البيئة الخاصَّةُ ، أو فرضتهُ وقائعٌ تاريخيةٌ معينةٌ ([6])، ثُمَّ قارنَّا ذلكَ ، بكتاباتِ المستشرقين وإنتاجهم ، وبخاصَّةً فيما يتعلَّقُ بالتَّاريخ الإسلامي، وسيرة الرَّسول–صلَّى الله عليه وسلَّمَ - وحاولنا أنْ نصنّفها في بابِ العلم ، فإنّنا سنخرج بنتيجةٍ حتَّميةٍ ألا وهي : أنَّ الاستشراق– في أغلب إنتاجه - ليس علماً بأي مقياس علمي ، وإنما هو (أيديولوجية)خاصَّة ، يُرادُ منْ خِلالها ترويجُ تصوراتٍ معّينةٍ عَنِ الإسلامِ ونبيه([7]).

ممَّا سبقَ يتجلَّى بوضوح أنَّ ، الاستشراق ليس علماً ؛ لأَّن مقاييس العلم مِنْ موضوعيَّة، وتجرُّد من الهوى لا تنطبقُ عليه،فهلْ هو (ظاهرة)؟.

---

(2) ينظر :السيد محمد الشاهد:"الاستشراف ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين" مجلة الاجتهاد. ع 22، العام السادس ، (بيروت ،1994م) ص.197.

(3) See: Edward Said : Orintalism (New york,1979) P.73.

(4) عرف منهج الشك عند الغزالي ، وعنه أخذه الغرب .للمزيد من المعلومات عن الإمام الغزالي ومنهجه العلمي .ينظر : عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، دار العلم للملايين، ط3، (بيروت ، 1981م) ص485- 515.

(5) ينظر :نجيب العقيقي : المستشرقون ، دار المعارف (القاهرة ، ب ت) ،3/ 598.

(6) ينظر :ساسي سالم الحاج :الظاهرة الاستشراقية ،وأثرها في الدراسات الإسلامية ، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي،ط3 (مالطا ،1993م)، 1/1/ 19.

(7) ينظر :أحمد عبد الرحيم السائح : " الاستشراق ومنهج نقده " ، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،ع 10،(جامعة قطر ، 1992م)، ص 445.

(1) ينظر :محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ،كتاب الأمة ، (قطر ، 1984م)، ص 12.

يُطلق الدكتور **ساسي سالم الحاج** على الاستشراق مصطلح (ظاهرة) ؛ لأَّنه يعتبر أنَّ الاستشراق نما وازدهرَ وتطَّور في ظروفٍ معيَّنة، ولأغراض معيَّنة ، حتَّى انتهى دورُها، وتقلَّصت آثارُها، وضاقتْ حقولُها ومجالاتُها، وأصبحت على وشك الزَّوال ([1])، ولكن ، هل هذا المصطلح مناسب لوصف الاستشراق؟ وهل الاستشراق ظاهرة انتهت فعلاً ؟ ، أم أنها تقمصت مُسميات أخر ، ولا تزال مستمرة إلى الوقت الراهن ؟.

ربما يكون مصطلح الاستشراق، في حد ذاته كتسمية قد اختفى وزال ، ولكنه كحركة ثقافية لا يزال مستمراً بقوة ، مدفوعاً بنفس دوافعه القديمة .

لقد أدرك الغربُ، أَنَّ مُصطلح (**الاستشراق)** ، ينطوي على دلالاتٍ تاريخيةٍ سلبيةٍ، وأن هذا المصطلح لم يعد يفي بوصف الباحثين المتخصِّصين في العالم الإسلامي، فكان مِنْ قرارات منظَّمة المؤتمرات العالمية ،في مؤتمرها الذي عقد في باريس عام(1393هـ/ 1973 م)،أن يتم الاستغناء عن هذا المصطلح، وأنْ يُطلق على هذه المنظمة (المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا ICHSANA)، وعَقدتْ- بعد ذلك – تلك المُنظَّمةُ مؤتمرين تحت هذا العنوان ،إلى أن تم تغييره إلى (المؤتمرات العالمية للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية ICANAS) ؛ ولأنَّ الاستشراق قد تركَّز على دراسة الإسلام والمسلمين ، فقد بَاتَتْ كلمة استشراق غيرَ ذاتٍ دلالةٍ واضحةٍ ؛ لذلك أطلق على الاستشراق(الدِّراسات الإسلامية) وعلى المستشرقين: مُسْتَعربين Arabists ،أو إسلاميين Islamist،أو بَاحثين في العلوم الإنسانية Humanists ،أو مُتخصصِّين في الدِّراسات الإقليميَّة أو الاجتماعيَّة أو الاقتصاديَّة التَّي تَخْتَصُّ ببلدٍ معيَّنٍ ،أو منطقةٍ جغرافيَّةٍ مُعيَّنةٍ([2]).

إنَّ الاستشراق مَهْما تغيَّرتْ مسميَّاتُه – في اهتمامه بالدِّراسات الإسلاميَّة، والتَّاريخ الإسلامي – لا يزالُ مستمرّاً إلى وقتنا الحاضر([3]) ، بل أنَّ المراقبين يرون أنَّهُ قَدْ عاد إلى شِّدته الأولى في عداء الإسلام([4]) ، وهو لا يزال – كما كان عند نشأته - يمثِّلُ الخلفية الفكرية

---

(2) ينظر :ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية ، 1\1\ 20.

(3) See:Edward Said : Orintalism, p56

(1) فعلى سبيل المثال : بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 - "صدر كتاب (نبي الخراب) – Prophet Of Doom للمؤلف كريك ونن Craig Winn ،الذي وصف النبي – صلى الله عليه وسلم - بقاطع طريق استعمل - حسب زعمه – العنف والغدر للوصول إلى الحكم والسلطة، وكان أيضا حسب زعم المؤلف شاذًا جنسيًا ! والكتاب حقق مبيعات خيالية. ينظر: محمد سعد ياقوت " كتاب نبي الرحمة "http:/www.saaid.net (2009\1\2.)

(2) الإسلام ثاني أوسع الأديان انتشاراً في العالم (1،3 مليار مسلم) وثاني وثالث أوسع الأديان انتشاراً في أوروبا وأمريكا على التوالي، إن إجمالي الزيادة لكل الطوائف والملل المسيحية كانت 138 % .مع الزيادة التي لا تصدق للإسلام . وهي 235 % في نصف قرن . ولقد تأكد أن الإسلام هو أسرع الأديان نمواً في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية . = أحمد ديدات : الرسول الأعظم ، محمد –صلى الله عليه وسلم ، ت: علي عثمان، مراجعة: محمد مختار ، المختار الإسلامي (القاهرة ، 2009) ،ص51.

للصِّراع الحضاري بين العالم الإسلاميِّ والعالم الغربيِّ ([1])، والهجمة الأخيرة التَّي قَادتْها بَعْضُ دولِ الغربِ ، ضِدَّ الرَّسول – صلَّى الله عليه وسلَّمَ ، باسم حرية التَّعبير ،خيرُ دليلٍ على ذلك([2]) ، لهذا فمُصْطلحُ الظَّاهرةِ الاستشراقية ، لا يتلاءمُ لوصف الإستشراق- كَحَدَثٍ مُسْتمرٍّ ؛ لأنَّ كلمة ظاهرة تعني أنَّ الحدث ارتبط بفترة زمنية معينة ،لها ملابسات تاريخية معينة ثم انتهي، أي أنَّهُ لا يتصف بصفة الديمومة والاستمرار .

وفي رأييّ – وأرجو أن أكون مُنصفةً -أنَّ الاستشراق هو (**حركة**) ؛ فهو قد بدأ في فترة مُعيَّنة ، وارتبط بأحداث تاريخية محددة ، وتخصص في ميادين معروفة ، ومع ذلك فهو دائم التجدُّد والانبعاث ؛ لأن طبيعة الصِّراع الدَّائر بين أتباع الدّيانات السَّماوية الأخْر ، وغيرِ السماوية واللاديانات مِنْ جِهة،وبَيْنَ الإسلام مِنْ جهةٍ أخْرى تحتِّمُ استمراريته .

3- تعريفُ الاستشراق:

يُعرف أحد الباحثين الغربيين الاستشراق بأنه : علم الشَّرق ، أو علم العالم الشَّرقيّ([3])، وهو كلمة تُطلقُ -عرفاً -على حركة ثقافية بدأتْ في أوروبا المسيحية،وهذه الحركة جزءٌ أو فرعٌ من فروع المعرفة في الثَّقافة الغربية كلها ، موضوعه : الشرق ([1]) .

---

(3) ينظر :محمد حمدي زقزوق : " الإسلام والاستشراق" ،ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون ، مجموعة البحوث التي قدمت للندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين التي عقدت بدار المصنفين بالهند ، عالم المعرفة ،(جدة ، 1985 م) ، ص 71.

(4) في سبتمبر 2005 قامت صحيفة دانمركية مشهورة (يلاندز بوستن) بإقامة مسابقة لرسم كاريكاتير للرسول محمد- صلى الله عليه وسلم - وقامت الصحفية باختيار 12 رسمة من الرسوم المرسلة وفيها استهزاء وسخرية من ا لرسول – صلى الله عليه وسلم - وكانت إحداها تظهر الرسول وهو يلبس عمامة على شكل قنبلة بفتيل.= محمد سعد ياقوت " كتاب نبي الرحمة "http:/www.saaid.net (2\1\2009.)

(1) ينظر:رودي بارت :الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية(المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه). ،ت:

أمَّا المؤرِّخون العربُ والمسلمون ، فقد أوردوا تعريفاتٍ كثيرةٍ للاستشراق ، فمنهم مَنْ عرّفه بأنه نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه ([2])، متناولاً بذلك الاستشراق من خلال أهدافه السِّياسيَّة ، فالاستشراق– حسب هذا التعريف - يهتم بجميع أحوال الشَّرق ويعملُ على الكشف عَنْ عقليَّات شعوبه ، وأسراره وحضارته ، وتلمسُ مواضعَ الضَّعف والقُوَّة؛ تمهيداً لحملات الاستعمار الاقتصادي والسِّياسي والثَّقافي لشعوبِ الشَّرق،بصفةٍ عامَّةٍ، وشعوب الشَّرق الأدنى بصفة خاصَّة([3])،و هذه الصيغة لتعريف الاستشراق برغم صِدْقها ، فإنَّهُا لا تُعد تعريفاً وافياً للاستشراق ؛ فهي،علاوةً على اقتصارها على تعريف الاستشراق من حيث أهدافه فقط ، اكتفت بالغايات السِّياسيَّة والاستعمارية للاستشراق ،ونفسُ القولِ ينطبقُ على مَنْ تناولَ تعريفَ الاستشراق مُتناولاً الأغراض الدِّينية التَّي انبثق منْها ، حَيْثُ عرَّفَهُ بعضُ الباحثين المسلمين ،بأنَّه :

"دراسات (أكاديمية) يقوم بها غربيون –من أهل الكتاب بوجه خاص- عَنْ الإسلام والمسلمين، من شتَّى الجوانب ... ؛بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التَّبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدَّعي العلمية والموضوعَّية، وتزعمُ التَّفوقَ العنصري والثَّقافي للغرب المسيحي على الشَّرق الإسلاميِّ"([4]).

وهناك فريقٌ آخر عَرَّفَ الاستشراق، بأنَّهُ أسلوبٌ في التَّفكير ؛ لدرس كيفية النفوذ المُتبادل بين الشَّرق والغرب ([5])،وهو بذلك يمثِّل علاقة تبادلية بين الشَّرق والغرب ، قائمة على التأثير والتأثر ،وهذا معناه أن الاستشراق، ليس مجرَّدَ موضوعٍ سياسيٍّ ،أو حقلٍ بحثيٍّ ينعكسُ سلباً باختلاف الثقافات والدراسات أو المؤسسات وليس تكديساً لمجموعة كبيرة من النُّصوص حَوْلَ المشرق ، إنَّهُ المجالُ المعرفيُّ الذَّي يُتوصَّلُ به إلى الشَّرق بصورة منظَّمّةٍ كموضوعٍ للتَّعلُّمِ والاكتشافِ والتَّطبيقِ ، وباختصارٍ: واقعٍ معرفيٍّ مارسْته أوربا على الشَّرق([6]).

والخلاصة : أنه حين التركيز على عَلاَقَةِ الاستشراق بالإسلامِ والمسلمين وتاريخهم ، وسيرة رسولهم،(**محمد**)-صلَّى الله عليه وسلَّم -دون شعوبِ أو مناطقِ أو ثقافاتِ وأديانِ الشَّرق

مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، (القاهرة، ب ت)، ص 11.

(2) ينظر:عمر فروخ : "الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة "، الإسلام والمستشرقون ، مجموعة الأبحاث التي قدمت في الندوة العلمية عن الاستشراق والمستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند ، (جدة ، 1985م) ، ص 125.

(3) See: Edward Said : : Orintalism , P 120 .

(4) ينظر: ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية ،1\1\ 20.

(5) ينظر :أحمد عبد الحميد غراب : رؤية إسلامية للاستشراق ، المنتدى الإسلامي ، ط2(بيرمنجهام، 1411ه) ص 7.

(6) ينظر:أحمد عبد الرحيم السائح :" الحركة الاستشراقية" ، 1\ 163

(1) ينظر:سالم حميش : الاستشراق في أفق انسداده ، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية(الرباط، 1991م)، ص7.

الأخرى ، يمكن القول - دون أن التعرض لأهدافِ تلْك الحركة - : أن كلمة استشراق، أطلقت على تلك المُحاولة التَّي قام ، ويقوم بها مفكرّو الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافة الشَّرق وعلومِهِ ([1]).

4- مَنْ هُوَ المُسْتشرقُ ؟:

يُعتبرُ الاستشراق مهنةً وحرفةً كالطَّبِّ والهندسةِ والمُحاماةِ ، كما أَنَّ حدودَه واسعةٌ، وفي كثيرٍ مِنَ الأحيان غَيْرُ واضحةٍ ، إذ يختلط ميدانه بميادين العُلوم الأخْرى ؛ لأنَّ المستشرق يشارك في عِلمه: عالِمَ الآثَار والحفريَّات، والمؤرِّخَ، وعالِمَ الصَّرفْ والاشتقاق،وعالِمَ الأصْواتِ ،والفيلسوف ،وعالِمَ اللَّاهوت ،والموسيقيِّ والفنَّان ([2]).

وكما أنَّ كلمة استشراق لم ترِدْ في المعاجمِ اللُّغوية ، فَكَذَلِكَ اسم الفاعل منها **(مستشرق)** لَمْ يَرِدْ مَعْناهُ في المعاجمِ العَّربية المُختلفةِ ([3])، وذلك سَببُه- كما سَبَقَ ذِكْرهُ - أنَّ هذه المفاهيم حديثةُ المنشأ ، حيث ظهرت كلمةُ (مُستشرِقْ) عام(1048هـ / 1638م)، وكان المدلولُ الأصْليُّ لهذا المُصْطلح، يَعْنى أَحدَ أَعْضاءِ الكنيسةِ الشَّرقيَّةِ أو اليونانيَّة، و يُعرِّفُ قاموسَ أكسفورد المُستشرق بأنَّه **"مَنْ تَبحَّرَ في لُغاتِ الشَّرقِ وآدابه"** ([4]) وبِناءً على ذلك فإنَّ المستشرقين هم أولئك الغربيين –رجالاً ونِساءً- الذَّين كرَّسوُا حياتهم للدِّراساتِ الشَّرْقيَّة ولأغراضٍ مُتباينة ([5]) ،أمَّا الباحثون المسلمون فقدْ عرَّفُوا المُستشرق بأنه :

" كُلُّ عالم غربي اهتم بدراسةِ الشَّرق كُلِّه : أقْصاه ، وَوَسطه ، وأدناه ، في لغاته وآدابه ، وحضارته ، وأديانه"([6])

وَلوْ كانَ هذا العالِمُ يابانياً أوْ أندنوسياً أو هندياً أو حتَّى عربّياً ، لما أستحق أنْ يُوصف بالمستشرق؛ لأنَّهُ شرقيٌّ بِحُكْم مولده وبيئته وحضارته ، غَير أنَّ فِئة أخْرى مِنَ الباحثين لا تشترطُ أنْ يكونَ المستشرقُ غربياً ، وَهُمْ يُصنِّفون جماعةً مِنَ الباحثين العربِ مِنْ ضمن هؤلاء المستشرقين ،أمثال([7]): **عزيز عطية سوريال([1])**، و **فيليب حتي([2])**.

---

(2) ينظر:عبد الشافي محمد عبد اللطيف : السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، قراءة ورؤية جديدة ، دار السلام (القاهرة ،2007م)، ص 421.
(3) ينظر:أحمد عبد الرحيم السائح :" الحركة الاستشراقية وكيفية مواجهتها" ، ص 163- 166.
(4) ينظر:منير البعلبكي: المورد ، ص 638.
(5) ينظر:أ.ج.آربري : المستشرقون البريطانيون ، ت: محمد الدسوقي النويهي (لندن ، 1946م) ، ص 7- 8.
(6) ينظر: نبيه عقل : " المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي "، مجلة دراسات تاريخية ، ع 9، 10، (دمشق ، 1982م)، ص 168.
(1) ينظر: محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص 18.
(2) ينظر:أحمد عبد الرحيم السائح : "الحركة الاستشراقية وكيفية مواجهتها " ، ص 166.

والخُلاصـةُ: أنَّ الاستشـراق، هـو حركـةٌ قادهـا مفكـرُّون مِـنْ شـتَّى بقـاعِ العـالمِ الغربـيّ؛ لدراسةِ الشَّرْق على وجه العموم ، تاريخهِ وحضارتهِ وأدْيانهِ ولُغاتِه ، وقدْ تركزت دراساتهُ على الإسلام ،وأنَّ المستشرقين هُمْ جماعةٌ مِنَ المفكِّرين الغربيين (غير مسلمين) تعمَّقوا في دراسـةِ الشَّـرق بعامَّـةً، و دراسـةِ الإسـلام وتحقيـقِ تراثـه العلمـي علـى وجْـهِ الخُصـوصِ ، لأغـراضٍ وأهدافٍ متباينةٍ سأتناولها بالدّراسةِ والتَّحقيقِ في المباحثِ القادمةِ .

ثانياً / بدايةُ الاستشراق وتطوره:

لاَ يوجدُ دليلٌ قاطعٌ يدلُّ على البدايةِ الحقيقيةِ والمنظَّمةِ للاستشراق ؛ فالمصـادرُ التَّـي تَعَرَّضَتْ لهذا الموضُوعِ تختلفُ في تحديدِ بدايته الحقيقيـةِ والمنظَّمـةِ ، وَمـعَ ذلك يمكنُ القولُ أنَّ التَّأريخ لبدايةِ الاستشراق هو التَّأريخ للعلاقات بَيْنَ الشَّرقِ والغَرْبِ ، وحيث إن موضُـوعَ البَحْـثِ يخـتصُّ بالتَّـاريخِ الإسـلاميّ خاصَّـة ، وبالسَّـيرة النَّبويـة تحديـداً ، لـذلك سـأحاولُ أن أحـدد بدايـة الاستشراق، طبقاً للعلاقة بين الاستشراق والتَّاريخ الإسلاميّ([3]).

يُرِّجعُ بَعْضُ المؤرخِّين بداية الاستشراق إلى ظُهور الإسلام واحتكاكه بالعـالم المسيحي، ويـرون أنَّ المُجادلـة والمُنـاظرة التَّـي تمْـت بَـيْنَ الرَّسـول –صـلَّى الله عليـه وسـلَّمَ - واليهـودِ والنَّصارى في صَدْرِ الإسلام([4])، كانتْ أوَّلَ عَمَلٍ استشراقي ، وأنَّهُ بذلك قَدْ بدأ في الشَّرق نَفْسِـهِ قَبْلَ أنَّ يَعْرِفـه الغرب ، ثُمَّ أتخذ صـورةً أكثر تحـدياً على أيدي رجـال الَّلاهوت المسيحيّ في الكنائِسِ والأديرةِ ، مِنْهم ،القديس **يوحنَّا الدمشقيّ** (81-138 هـ/700-755م) ، الَّذي كـان واحداً مِنْ كِبـار رجـال الكنيسـة فـي الشَّـام ، وكـانَ شـديدُ البغض للإسـلام والمسلمين ، وقد دأبَ على التشَّكيكِ في الإسلامِ ، والإساءةِ إلى الرَّسول- صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - ،وكـانَ يُلقن أتباعـه قصصـاً

---

(3) مصري مسيحي ، كان أستاذاً بجامعة الإسكندرية ، وهو الآن يدرس بإحدى الجامعات الأمريكية ، وُصف بأنـه شديد الحقد على الإسلام والمسلمين ، وكثير التحريف للتعاليم الإسلامية ، له بعض الكتب عن الحروب الصليبية .= صابر طعمة : أخطار الغزو الفكري على العلم الإسلامي ، عالم الكتب(بيروت ،، 1404هـ-1984م) ، ص 82.

(4) لبناني مسيحي ، حصل على الجنسية الأمريكية ، كان أستاذاً بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا، ثم رئيساً لهذا القسم ، والآن مستشار غير رسمي لوزارة الخارجية الأمريكية في شئون الشرق الأوسط ، وُصف بأنه يحاول دائماً الانتقاص من دور الإسلام في بناء الثقافة الإنسانية ،من أهم كتبه (تاريخ العرب).= صابر طعمة: المرجع السابق ، ص 82، 83 .

(5) ينظر:محمد فتح الله الزيادي :" المستشرقون في الميزان " ، مجلة رسالة الجهاد ، ع98، العام العاشر ، (طرابلس ، 1991م)، ص91.

(1) على سبيل المثال ، قدم عشرون نصارنياً ، من أهل نجران ، إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، وقرأ عليهم القرآن ، وفاضت أعينهم بالدمع ، عند سماعهم القرآن ، وأسلموا. ينظر : محمد عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية ، دار الفجر للتراث ، (القاهرة ، 2004م)2\ 30.

وأخباراً مُلفَّقةً ومُزورةً([1]) عَنْ النَّبي- صلى الله عليه وسلم -، ويروجها على نطاقٍ واسعٍ ، حتَّى وجدتْ طريقَها إلى كتبِ التفسيرِ([2]).

بينما يرجع مؤرخون آخرون تاريخ حركة الاستشراق-في علاقتها بالإسلامِ - إلى القرنِ الأول الهجري / السَّابعِ الميلاديِّ ، ويقسِّمُ المؤرِّخين – الَّذين عُرفوا في تلك الفترة- إلى فئتين :

-الفئة الأولى : مُؤرِّخون غَيْرُ مسلمين ، عاشُوا وكتبوا على أرضِ الإسلام ، وفي ظلِّ دولته ، ويعتبر **أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون الملطي** (624-685هـ/1226-1286م)، الملقب **بابن العبري Ban Hebraeus** ،أنموذجاً لهذه الفئة ، صاحبُ كتاب '' تاريخ مختصر الدول'' ، الَّذي اعتمدَ في صياغته على النَّقلَ والتَّلخيص المشوهِ عَمَّنْ سبقه مِنْ مُؤرِّخين مُسلمين وغَيْرِ مسلمين ، وهذا الكتابُ فيه دسٌ وتحريفٍ واضحٍ ، مِنْ ذلكَ فِريته المشهورة بأنَّ عُمْرَ بن الخطَّاب قد أَمَرَ بِحَرْقِ مكتبةِ الإسكندريةَ ([3])، وقد اعتمد عليه أغلب المستشرقون اعتماداً كبيراً.

أما الفئة الثَّانيةُ ، فهم مؤرِّخون –أيضاً غيرُ مسلمين - كتبوا عَنْ تاريخ الإسلام ،في أرْضٍ غير إسلامية ، وإذا أُعتبر **هيرودوت** ، أبو التَّاريخ ، أولهم على الإطلاقِ ، فإنَّ المؤرِّخَ والكاهن **ثيوفانس** (141-203هـ/ 758-818م)، كان أشهرُهم ، وقد اشتهر بحوليته الَّتي تغطي ما بين (331 ق-198هـ /284-813م) ([4]).

ويرى فريقٌ آخرٌ مِنَ المؤرِّخين أنَّ الاستشراق بدأ عندما وصلَ الإسلامُ إلى الأندلسِ في القرنِ الثاني الهجري / الثَّامنِ الميلاديِّ ، وبدأ يُزيل الظلام والتخلف ، و أصبحَ المسلمون حملةَ مشاعلِ الحضارةِ إلى الغرب ، وصارت الجامعاتُ الإسْلاميةُ قِبلةً لِطُلاَّبِ العلمِ المسيحيين، فتعلَّموا لُغة العربِ ؛ ليقتبسوا من حضارتهم وعلومهم ([5])، و ازدهرت العلوم والآدابُ بسبب انتشار التَّعليم والمدارس التي توافد عليها المستعربون وغيرُهم ، فكان ذلك بدايةَ الإرهاصاتِ الأولى للاستشراق ([6]) ،ففي عهد **الحكم الثاني** (350 -366هـ/ 961 -976م)، كانت قرطبة تعجُّ

---

(2) من أمثلة ذلك : الفرية التي أفتراها عن زواج النبي من السيدة زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة ، فقد زعم أن ذلك الزواج ، كان وراءه قصة عشق بين النبي وزينب وهذه الفرية راجت ، وقبلها مفسر كبير كابن جرير الطبري في تفسير سورة الأحزاب ،الآية 37، وتناقلها عنه غيره، ثم أخذ بها المستشرقون بعد ذلك، سيراً على منهجهم الذي يأخذ بالضعيف والشاذ . ينظر ابن جرير الطبري : تفسير الطبري (جامع البيان) ، دار الكتب العلمية (القاهرة ن 1999) ، 12\ 22.

(3) ينظر :عبد الله بن محمد البابطين :" منهج كتابة التاريخ العربي " مجلة المؤرخ العربي ، تصدر عن رابطة المؤرخين العرب ع43، العام السادس عشر (بغداد، 1990م)،ص205.

(4) ينظر: نبيه عقل : " المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي ، ص 169.

(1) ينظر: نبيه عقل : " المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي ، ص 170.

(2) ينظر :محمد عبد الشافي عبد اللطيف : السيرة النبوية ، ص 426 ،427.

(3) ينظر :عبد الله بن محمد البابطين : منهج كتابة التاريخ العربي ، ص 205.

بمُختلف العلُومِ ، وظهرتْ فيها المكتباتُ الخاصَّةُ والعامَّةُ،على رأسها خزانةُ الكُتُبِ التي أنشأها الحَكمُ الثَّاني نَفْسِهِ ([1])، و اشتملت على أمَّهاتِ الكُتُبِ في شتَّى العلوم ،جعلتْ العِلم في متناولِ الجميعِ وليسَ حِكْراً على العربِ والمسلمين وحدهم ،بل وجد يهود أسبانيا – المضطهدين قبل الإسلام- مكانةً خاصّةً جعلتهم يقومون بدور الوسيط بين العرب والمسيحيين في المناظرة والمناقشة والترجمة ،إلا أنهم كانوا يُترجمون كُتُبَ العلُوم وينسبونها إلى أنفسهم، وبعضِ جماعتهم([2]) ، وهي تواليفُ المسلمين ، وهذه الروح الخبيثة هي التي رسمت منهج الإستشراق،ثُمَّ لعبت المراكزُ الحضاريَّةُ في صقلّية وجنوب إيطاليا دوراً واضحاً في انتقالِ التُّراثِ الإسلاميّ إلى أوروبا ،حيث انتشرتْ مدارس الترجمة مِنَ العربية إلى اللَّاتينية في مختلف الأنحاء الأوربية ، وكانت أشهر هذه المدارس ، مدرسة ساليرنو بجنوب إيطاليا الَّتي كانتْ بالفعل بدايةَ نهايةِ عصرِ الظَّلام في الغرب([3]) ، وقد بلغت هذه المدارسُ([4]) أوجها في القرنيين (السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) ، فقد زاد عدد المترجمين فيها عن مائتي مترجم ، بلغت أعمال بعضهم، إلى ترجمة سبعين كتاباً من العربية إلى اللاتينية،وخير مثال لذلك الإيطالي **جيرارد الكريموني Gerad of cremona** (508-583هـ/ 1114- 1187م)،كما أنبهرَ العديدُ من حكَّام الغربِ بالحضارةِ الإسلامَّيةِ ،مِنْهُمْ (روجر الثَّاني) (525-549هـ/ 1130- 1154م) الذي أولع بالثقافة العربية الإسلامية، و **فردريك الثاني** وهو الآخر كان مولعاً بالثقافة العربية ؛لأنه تربى في كنفها ، وقد أفاض المؤرخون في وصفهم لحب فردريك للمسلمين واعجابه بحضارتهم وعلومهم ، وتقريبه لهم واستخدامهم في حاشيته ، و قدْ أدَّى بالتَّالي إلى زيادة الاهتمام الاستشراقي، وأصبحتْ بِذلكَ صقليةُ أهَمَّ مراكزِ الاستشراق في الغربِ الأوربيّ([5]).

---

(4) كانت تحتوي على نحو أربعمائة ألف مجلد في كافة العلوم ، وكان الحكم يحمل معه مكتبة على ثلاثين جملاً أينما حل – ينظر أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تح: إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، 1968م)،260/1، 395.

(5) من ذلك ما فعله قسطنطين الأفريقي حيث ترجم العديد من الكتب ونسبها إلى نفسه ، منها كتاب (زاد المسافر) لأبن الجزار ، وأدعى أنه مؤلفها . ينظر :زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ت :فاروق بيضون وكمال الدسوقي ، (بيروت ، 1982م)، ص 292. ينظر:نجيب العقيقي : المستشرقون ، 1\ 121.

(6) ينظر :محمد ياسين عريبي :الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية (الرباط ، 1991م) ، ص 139.

(7) من أهم مدارس الترجمة المدرسة التي أنشأها رئيس أساقفة طليطلة :ريمون مارتيني Raymond Martini (1130-1150) والتي عملت على نقل التراث العربي الإسلامي في العلوم من العربية إلى اللاتينية،ثم تتابع بعدها إنشاء المدارس العربية في أوربا ،فأنشأ القديس الملك جيمس الثاني(1291- 1327م) عام1276م كلية الثالوث المقدس في ميرامار في الشمال الشرقي من جزيرة ميورقة ؛ وذلك لتدريب المبشرين وتعليمهم اللاهوت واللغات الشرقية4 ، ثم أنشأ = =البابا : هونوريوس الرابع معهداً لتعليم اللغات الشرقية عام 1285م. عن-محمد ياسين عريبي :المرجع السابق ، ص 139.

(1) ينظر :عفاف صبرة : المستشرقون ومشكلة الحضارة ، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع (القاهرة ، 1985م) ، ص 21.

يكادُ معظم المُحقِّين يُجمعون على أنَّ بداية هذه الحركة ،كانتْ مع نهايةِ القرنِ الرابع الهجري/ العاشرِ الميلاديّ ،وأوائل القرن الحادي عشر ميلادي ([1])، وأنَّ الرَّاهب الفرنسيّ **جربير دي أوريـاك G.de′Aurillac**(390-394هـ/ 999-1003م) ، كان أوَّلُ المشتغلين بعلوم الشَّرق، والعالم الإسلاميّ ، وارتبطتْ باسمه بدايةُ حركة الاستشراق([2]) ،ويعتبر بعضهم ، أنَّ **بطرس المبجَّل Petrus Venerabilis** (485-551هـ / 1092-1156م) رئيس دير كلوني ، هو المُؤسِّسُ لحركة الاستشراق، وهو الَّذي أستقر رأيه على ترجمة ''القرآن الكريم''([3])،وقد تمت هذه الَّترجمة عام(537هـ/ 1143م)([4]) وقد علَّل بُطْرسَ اتجاهه لترجمة القرآن بقوله :

" إذا لمْ يُمكن بهذه الطريقة إعادة المسلمين إلى المسيحية الصَّحيحة ، فلا أقل من أن يستفيد العلماء المسيحيون من عملنا هذا في مجال دعم إيمان المسيحيين السُّذَّج الذين يمكن أن تَضُرَّ هذه الصغائر عقيدتهم " ([5]).

وبعد سقوط الأندلس ،تلقَّفتْ فرنسا الكُرة ، وحمل لواء التبشير([6]) فيها المبشر والمستشرق **جيروم بوستيل Guillaume Postel** ،وتبعه عددٌ آخرُ مِنَ المستشرقين منهم

منهم على سبيل المثال : **أدلر أوف باث** (463-530هـ/ 1070- 1135م)([7]) ،وقد لعبت المراكز الثقافية في طليطلة وصقلية - بعد سقوط غرناطة- آخر معاقل المسلمين في الأندلس ، دوراً كبيراً في تطُّور حركة الَّترجمة من العربيَّة إلى اللُّغات الأوربية، وظلَّتْ طُليطلة طوال قرنيين مُلتقى طُلاَّب العِلم ، يفدون عليها مِنْ مُخْتلف البُلدان الأوربية ، ينهلون من الثَّقافة العربيَّة ، ثم يعودون بها إلى بلدانهم ليذيعوها هناك ([8]).

---

(2) ينظر :مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ، المكتب الإسلامي ، ط2 (بيروت ،1979م)، ص 14

(3) ينظر: محمد السيد الجليند :الاستشراق والتبشير ، قراءة تاريخية موجزة ، دار قباء لطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة ، 1999م)، ص 13.

(4) ينظر:يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق(الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين ، ت : عمر لطفي العلم ، منشورات دار المدار الإسلامي ، ط2 (بيروت ، 2001 م)، ص 15- 20 .

(5) ينظر: محمد ياسين عريبي: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي ، ص 145.

(6) ينظر:ريتشارد سوذرن : صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى ، ت: رضوان السيد ، دار المدار الإسلامي ، ط 2، (بيروت ، 2006م)، ص 82.

(1)بدأ التبشير بالمسيحية بعد مرور أكثر من ثلاثمائة عام من ظهور دعوة السيد المسيح ، وذلك في عهد قسطنطين، وهو أول ملك أظهر دين النصارى. ينظر: . محمد أحمد مشهور الحداد : الإسلام في وجه التحديات ، دار الفتح (ب م ، 1971م)، ص 19.

(2)ينظر:محمد القاضي :" الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف "مجلة التاريخ العربي ، ع 26، (المغرب ، 2003م)، ص 179.

(3)..See:Runciman.S :Ahistory of the crusades,(cambridge , 1957), Vol I,P 88

بينمـا هنـاك مَـنْ يـرى أنَّ حركـة الاستشـراق قـد واكبـتْ فـي بـدايتها الحمـلات الصليبية(489-690هـ/ 1095م- 1291م) ،التي كانتْ ذاتَ طـابعٍ دينـيٍّ خـالصٍ ([1])، حيث أخذ الكثير من الصليبيين ، منذ الأيام الأولى للحملات ، بتدوين الكتب التي تبحث في تاريخ المشرق وجغرافيته وحضارته ([2])، وقد كانت جميع مؤلفات هذه الفترة تصف المسلمين بأنهم (**الكفرة**) ، (**السراسنة**) ([3])، وكانت تلصق بهم أبشع التهم وأسوأ الفعال ، وأشهر هؤلاء الكتاب **وليم الصوري William Of Tyre** ؛ وذلك لأن كتاباته تعتبر أول تاريخ شامل للحروب الصليبية ([4]).

وبعد انتهاء العمليات العسكريَّة الصَّليبية _ بطرد آخر الجنود الصليبين من عكا عام(690هـ/ 1291م)_ قفل العديد من الصليبيين عائداً إلى بلاده([5]) ، ورافق ذلك الاستيلاء على الآلاف من المخطوطات والكتب العربية ، وبدأ حكام الغرب بعد هزيمتهم في الشَّرق يتبنون أيّةَ فكرة تخدم أغراضهم للنيل من الشَّرق وزعزعته ، لتعويض ما فاتهم في بلادِ الشَّرق

، فأخذ الملوك والحكام يرعون نشاط المستشرقين ، ويمهدون أمامهم طريق دراسة الشَّرق،و الإحاطة بتراثه العلميّ على اختلافِ أنواعه([6]).

ويُرجِّعُ بعضُ الباحثين ، البداية الحقيقيَّة للاستشراق إلى قرار مجمع فيينا([7])، حيث صدر القرار بإنشاء كراسي للغات العربيَّة والعبريَّة والكلدانيَّة في باريس وروما وأكسفورد وبولونيا ([8])، وقد استمرتْ تلك الجامعات تدرِّسُ اللُّغة العربيَّة – لُغة العِلم - واللُّغة الأكثرُ

---

(4)ينظر:عبد القادر أحمد اليوسف : العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنيين الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين ، منشورات المكتبة العصرية ، (بيروت ، 1969م) ص 33- 34. ، وكذلك :محمود سعيد عمران : تاريخ الحروب الصليبية ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، 1990م) ، ص 11

(5)ينظر: محمود حمدي زقزوق، الإسلام والإستشراق، 168.

(6)اسم أتى من اليونانية واللاتينية القديمة، و هو أكثر اسماء المسلمين شيوعاً. أطلق على العرب قبل مجيء الإسلام بقرون عدة. عُرفت به في القرن الميلادي الأول قبائلُ عربية شمال غرب الجزيرة العربية، وصار فيما بعد اسماً عاماً على كل العرب داخل و خارج الحدود الرومانية.و بعد انتشار الإسلام كان الاسم يحمل في طياته مشاعرَ الكره والاستخفاف بالمسلمين خاصة أيام الحروب الصليبية. و بدأ اللفظ بالأفول في أوروبا الغربية في أواخر العصور الوسطى 1500م ،لكن بقي مستعملاً في أماكن أخرى حتى القرن العشرين See:Norman Daniel. Islam and The West (Oxford,1993). p 132

(7)ينظر:عفاف صبره: المستشرقون ومشكلة الحضارة،دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع (القاهرة، 1985م) ، ص 14.

(8)ينظر:محمود سعيد عمران: المرجع نفسه ، ص 12.

(1) ينظر:محمد الدسوقي : الإسلام والمستشرقون ،(القاهرة ، 1972م)، ص 23. وساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية ، 1/1ً 50.

(2) عقد في فيينا ، عاصمة النمسا سنة712هـ/ 1312 م، يؤرخ الغرب النصراني لبداية الاستشراق الرسمي بصدور قرار المجمع ، بإنشاء عدد من الكراسي للغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية ،ومنح الأساتذة المعاشات الضخمة لتدريسها .=محمود حمدي زقزوق : الإسلام والاستشراق، ص 168.

(3) ينظر:ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية ، 1\ 45.

شيوعاً يومذاك([1])، وتعتمد على الكُتُبِ العربيَّة وتعتبرها المراجعَ الأصليةَ للدرّاسةِ قرابة ستة قرون ([2]).

وهُناك رأيٌ أخر يرى أنَّ البدايَّة الحقيقيَّة للاستشراق ،كانتْ عندما بَنَتْ أورُبا نهْضتها الصّناعيَّة والعلميَّة وأصْبحَ فيها العديد مِنَ الجامعات ، ومراكز البحوث ، التَّي انطلقتْ مُنْذُ القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ،حيثُ بدأتْ الطباعة تُصدر الكِتاب تِلوَ الآخر،ثُمَّ أزْدادَ النشَّاط الاستشراقي بَعْدَ تأْسِّيس كراسيّ لِلُغة العربيَّة في عددٍ مِنَ الجامعات الأوربيَّة ([3])،والتي كانتْ تهْدفُ إلى التبشّيرِ بالديانَة المسيحية بين المسلمين؛ تمهيداً لاستعمار العالم الإسلاميّ ([4]).

ومع نهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، بدأتْ أوَّل درَّاسة مُنتظَّمة للإسلام ، وذلكَ بمساندةِ البابويَّةِ الرومانيَّةِ بتأسِّيسِ مدرسةِ اللُّغاتِ الشَّرقيَّة الحيَّة في فرنسا عام(1210هـ/1795م)، ،الَّتي كانتْ تُعَدُ قِبلةً المستشرقين الأوربيين ، وساهمتْ في صبغِ الاستشراق بالصبغة الفرنسيَّةِ مدة مِنْ الزمنْ([5]).

و كانَ تأسِيسُ الجمعيَّاتِ العِلميَّة ، الَّتي كانتْ تُصدرُ المجلاَّتِ الَّتي تَخُصُّها ، مثلُ : الجمعيَّة الملكيَّة الآسيويَّة البريطانيَّة عام(1239هـ/ 1823م)وغيرها ، والتي رافقها انعقادُ المُؤتمرات الَّتي تَجْمَعُ المُستشرقين مِنْ كافَّةِ العالمِ الغربي ، بِمثابةِ الانطِلاقةِ الكُبْرى للاستشراق ، حيثُ تضافرتْ العناصِرُ العِلمِيَّةُ والماليَّةُ والإداريَّةُ ، فسَاهمتْ كُلُّها في البحثِ والاستكشافِ ، والتعرُّفِ على عالمِ الشَّرقِ وحضارتهِ([6]).

وخُلاصة القُولِ :إنَّ الاستشراق في مجالِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ قدْ اقترن بِظُهُورِ الإسلامِ،وأنَّهُ قدْ ارتبط بالتبشيرِ مُنْذُ بِدايته ، وأنَّهُ قدْ بَدأ بِمحاولاتٍ فرديةٍ كانَ القَصْدُ مِنْ ورائها الحطُّ مِنْ مكانة الإسلام و قدْر نبيَّه ، وأنَّهُ قدْ استمر بالمجهود الفرديّ ،و حصلَ على دَعْمِ الكنيسةِ والملوكِ والحكَّامِ ، لكنَّه لمْ يبدأ بدايةً رسمية ومُنظمة إلاَ بقرارِ مَجْمع فيينا الكَنَسِيّ، وهذا دليل على أن الاستشراق انطلق من بواعث دينية خالصة .

---

(4) ينظر:ألبرت حوراني : الإسلام في الفكر الأوربي ، الأهلية للنشر والتوزيع (بيروت ، 1994م) ، ص 21.
(5) ينظر:مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ، ص 14.
(6) ينظر:أحمد سما يلو فتش: فلسفة الاستشراق، وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، ص 81.
(7) ينظر: أبو الحسن علي الحسني الندوي : " الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين " ، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون ، مجموعة الأبحاث التي قدمت للندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند ، عالم المعرفة ،(جدة ، 1985م)، ص 87.
(8) ينظر :نجيب العقيقي : المستشرقون ، 1\ 9.
(1) ينظر: أحمد سما يلو فتش : المرجع السابق ، ص 81.

ثالثاً /مراحلُ الاستشراق:

بعدَ هذه النظَّرةِ المُوجزةِ عَنْ بدايةِ الاستشراق وتطوره ، يتبين أنَّ الاستشراق قد مرَّ بخمسِ مراحلَ :

المرحلـةُ الأولـى : تمتـدُّ منـذُ احتكـاكِ العـالمينِ الإسـلاميّ والمسـيحيّ فـي القـرنِ الأوَّلِ الهجريَّ /السَّابعِ الميلاديّ ، إلى الفتْحِ العربيّ للأندلسِ ،وانتشارِ مدارسَ الَّترجُمةِ في جميعِ أنْحاء أوروبا ، ومَا نشأ عنْها مِنْ انتقال العُلُومِ والمعارفِ الإسلاميَّةِ وتأثيرهَا في أورُوبَا ([1]).

وقدْ تميزتْ هذهِ المرحلـةُ برغبـةِ الغربِ فـي الاطـلاع علـى مَـا حقَّقـهُ الإسـلامُ مِـنْ مـآثِر حضـاريَّةٍ ، فأنشـأتْ مـدارس الترجمـةِ ، وأنكـبَّ العُلمـاءُ الغربيُّـون (الرُّهبـانُ مـنهم علـى وجـهِ الخُصُوصِ باعتبارِ أنَّ العلمَ كانَ مُقتصِراً على هذهِ الفئـة بالذَّاتِ) ، علـى المَخْطُوطـاتِ العربيَّـةِ ينقلونهـا إلـى الَّلاتينيـة، ويقومـونَ بتدريسِـها فـي المـدارسِ الَّتـي تأسَّسـتْ فـي أنحـاءٍ كثيـرةٍ مِـنْ أورُوبَا([2])، فكانُوا النَّواة الأولى للاستشراق ([3]) .

لقدْ أتَّخذ إقبالُ الأوربيينَ علـى الاستفادة مِنْ الحضـارةِ العربيَّـة الإسـلاميَّةِ شكْلاً مُنظَّمـاً، ممّـا جعلـهُ- فـي بدايتـه - إستشـراقاً يقـومُ علـى أسُـسٍ عِلمَّيـةٍ ثابتـةٍ واضـحةٍ ، فقـدْ اهتمـتْ الـدُّولُ الأوربيَّةُ بإرسالِ بعثاتٍ علميَّةٍ إلـى الأنْدلسِ ، لدراسـةِ العلُومِ والفنونِ والصِّناعات ، ومِنْ ذلكَ وُصُولُ بعثاتٍ عِلمَّيةٍ مِنْ إنجلترا وفرنسا إلى أسبانيَا العربيَّة الإسلاميَّة ، وصلَ عددُ طُلاَّبِها إلـى نحوِ سبعمائةِ طالبٍ ؛ لِتَلقيّ العِلمَ هُناكَ ([4]).

ولكـنَّ تلـكَ الرَّغبـةُ فـي النَّهلِ مِـنْ العُلـومِ والحضـارةِ العربيَّـةِ قـدْ لوثتْهـا اتْجاهـات دينيـة أخُـرى، فقـدْ اهـتم الغربيُّـونَ بـالتُراثِ الإسـلاميّ ؛لكـي يتمكَّنـوا مِـنْ تَنْصـير المُسـلمين ، وذلـكَ بتشَّكيكهم في دينهم أوّلاً، فعملوا على دراسةِ الإسلامِ، وقامَ **بُطرس المُبجَّل** بالعملِ علـى ترجُمـةِ القُرآنِ ، لاَ لِشيء سِوَى أنْ يتمكَّنَ مِنَ الرَّدِّ على مَا سَمَّاهُ (بالهرطَقةِ المُحمَّديةِ) ([5]).

---

(2) ينظر: خليق أحمد النظامي : " عهود متعددة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم " الإسلام والمستشرقون ، مجموعة الأبحاث التي قدمت للندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين التي عقدت بدار المصنفين بالهند ، (جدة ، 1985م)، ص 104.

(3) ينظر: أحمد عبد الرحيم السائح : الحركة الاستشراقية وكيفية مواجهتها ، ص 171.

(4) ينظر:محمد الدسوقي : في الثقافة الإسلامية ، منشورات جامعة الفاتح ، ط2،(طرابلس ، 1977م) ، ص 179.

(1) ينظر: عبد الشافي محمد عبد اللطيف : السيرة النبوية ، ص 426،427.

(2) ينظر: عمر لطفي العالم :" بصمات يهودية على حركة الاستشراق"،مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، ع 21، كلية الدعوة

المرحلةُ الثانية :وهذه المرحلة بدأت منذ بداية الحُروبِ الصليبيَّةِ ، وقدْ لُوحِظَ تطورٍ كبيرٍ في وجهةِ نظرِ المستشرقين ومناهجِ بَحْثهم وتفكيرهم بعد الحروب الصليبيَّة ، فلمْ تكُنْ ناحية مِنْ نواحيّ تَعاليم الإسلام والسِّيرة النبويَّة والحضارة الإسلاميَّة، في مأمَنٍ مِنْ عصبيّتهم، وقدْ بدأ الاستشراق في هذه المرحلة بكتاباتٍ فرديةٍ غيرِ مُنظَّمةٍ ، ثُمَّ أصْبَحَ بحثاً منظَّماً ورسميَّاً يتمُ في مؤسساتٍ رسميةٍ وتحتَ إشرافها ، أمَّا مِنْ حيثُ مُحتواه ، فقدْ اتسمَ في مُجْملهِ بالعداءِ للإسلامِ ، وساده اتِجاه لاهوتيٌّ خرافيٌّ مُتطرف ، وقدْ ظَّلت الصَّورةُ المشَّوهةُ الَّتي قدْمُوها عَنْ الإسلام ، ظلّتْ كحقيقةٍ تاريخيةٍ في أورُوبَا ومُستعمراتها مدةً طويلةً مَنَ الزَّمن ([1]).

المرحلةُ الثالثَّة : بدأتْ عندما أثارتْ الَّثورة الصِّناعية في الدَّولِ الأوربيةِ مطامعٍ جديدةٍ للاستعمارِ واحتلالِ البلادِ الإسلاميَّة ، وكان شنَّ الحملة العلنية على الإسلام آنذاك يتنافى مع المصالح السياسيَّة ، في نفس الوقت يتحتم دراسة عميقة لتاريخ المسلمين ، والاطلاع الواسع على ميولهم السياسية وأفكارهم الدينية ؛ لأنَّ نجاح الحاكم يتوقف على تغيير ميول المحكومين ونزعاتهم ، وتسابقت الدَّول الأوربية في هذا المضمار ، وجمعت كل منها ما وقع تحت أيديها من المخطوطات ، وأنكب علمائها على تحقيقها واختصارها ودراستها ([2]).

المرحلةُ الرابعة : وتبتدئ مِنْ ظهور حركات التحرر في البلاد الإسلاميَّة ، فتطلبَ ذلكَ تغيير الهدف الَّذي تسعى إليه الدَّول الأوربيَّة وهو إبْقاءُ السيطرةُ عليها ،من خلال طرح موضوعات تظهر الاحترام للإسلام ونبيَّه ، وقدْ تأثر الاستشراق في هذهِ المرحلةِ بالنزَّعة الإنسانيَّة وحركة التَّنوير(النزَّعة العقْليَّة) أوْ الفلسفة الوضَّعيَّة ([3])، الَّتي سادتْ أورُوبَا ابتداءً مِنْ عصرِ النهضّة حيث ظهرتْ ثلاثة اتجاهات:-

(أ) شعور نفعي وإمبرياليّ بالتفوقِ الغربيّ ملئ بالازدراءِ للحضارات الأخْرى.
(ب)ميّل رومانسيّ لكُلِ ما هو غرِيب يبتهج بالسحرِ الشرقيّ الذي كانَ فقره يعطيّ سحرهُ مذاقاً خاصاً .
(ج) تخصُّص عِلميّ انْصب مُعظم اهتمامه على العصورِ الماضيَّة .

الإسلامية (طرابلس ، 2004م) ، ص 749.
(3) ينظر :خليق أحمد النظامي : عهود متعددة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم ، ص 105.
(4) ينظر: المرجع نفسه ، ص 107.
(1) الفلسفة الوضعية : كل فلسفة تعتمد على معرفة الوقائع وعلى التجربة العلمية كفلسفة سبنسر وستيوارت وريناالد وغيرهم .- عن هشام جعيط : أوروبا والإسلام ، ت: طلال عتريسي ، دار الحقيقة للنشر ،(بيروت ، 1980 م) ، الهامش ، ص 51 .

وكانت محصلة هذه الاتجاهات الثلاثة ظهور مؤلفات عامَّة عَنْ الإسلام والحضارة الإسلاميَّة والأدب الإسلاميّ ، تضمنتْ آراءً أقلَ عنفاً مِنْ سابقتها ([1])نتج عنها دراسة للشرق الإسلامي أكثر موضوعية،ويعدُ كِتاب ''الديَّانة المحمديَّة'' **إدريانوس ريلاند Hadrian Reland** ، الَّذي صدرَ باللاتينيَّة عام(1117هـ/ 1705م) أوَّل مُحاولة علمية جادة للتعرفِ على الإسلامِ ، في جزئين عرضَ في أولهما العقيدة الإسلاميَّة مُعتمداً على مصادر عربيَّةٍ ولاتينيةٍ ، وفي الجزء الثانيّ قامَ بتصحيح الآراءِ الغربيَّة التي كانتْ سائدة حينذاك عَنْ الإسلام ، وقدْ أثارَ الكتابُ اهتماماً كبيراً لدرجة توجيه الاتهام إليه بأنَّه كانَ يُروج للإسلامِ ، وأدرجتْه الكنيسةُ الكاثوليكيَّةٌ في قائمةِ الكتبِ المُحرمةِ ، ورغم ذلك فقد تُرجم إلى الإنجليزيَّة والفرنسيَّة والألمانيَّة والهولنديَّة([2]).

المرحلةُ الخامسةُ : بدأت بظهور الذهبُ الأسود في البلادِ العربيَّةِ ، وأصبحتْ البلادُ العربيَّةُ بالتالي مركز الثُقل للعالمِ كلَّه ، بعد أنَّ كانَ تحررها اقتصادياً ضربَةً قاسيَّةً لمطامعِ الاستعمارِ ومخططاته ، فرّكز المستشرقون جهودهم على الاستفادةِ مِنْ هذه الثروةِ ، وأهملوا دراسة الإسلام في عهوده الأوَّلى ،وانصرفت عنايتهم إلى دراسةِ الحركات الدينيَّةِ الحاضِرة ،والنزَّعات الاجتماعيَّة، والإمْكانيات الاقتصاديَّة ، واهتموا باستعراضِ الأوضاع الداخليَّة والخارجيَّة للبلادِ الإسلاميَّة، وتحليلها أكثر مِنْ دراسة الفكِر الإسلاميّ وتحليله([3]) .

إلى جانب تأثير التعاليم الإسلاميَّة الأصليَّة في تفكيرِ الشعوبِ الإسلاميَّة المعاصرةِ ، وما بينَ تلكَ الشعوب مِنْ مظاهر الاتفاق والاختلاف أو النزعات وألوان التفكير ، وتوافقها مع الدين الإسلاميّ ومقتضيات الحياة العصرية([4]) .

وما يزالُ هذا الاتجاه سائداً في الدولِ الغربيّةِ ، حيث تُدرس أحوال الشرق الإسلاميّ الحديث، والتصوف الإسلاميّ في جامعة أكسفورد كامبردج ، وجامعات أوروبا كافَّةً، كما أنَّ الإسلام هو المادة الرئيسة في كليةِ الدراسات الشرقيَّة والأفريقيَّة في لندن .([1])

(2) ينظر: أبو الحسن الندوي : الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين ، ص 76.
(3) ينظر :عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : أجنحة المكر الثلاث وخوافيها (التبشير ، الاستشراق، الاستعمار) ، دار القلم ، (بيروت ، دمشق ، 1975م) ، ص 77.السائح ، الحركة الاستشراقية وكيفية مواجهتها ، ص 173.

(1) ينظر :خليق أحمد النظامي : عهود متعددة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم ، ص 110.
(2) ينظر :عفاف صبره : المستشرقون ومشكلة الحضارة ، ص 36.

وينبغي لي تأكيد نقطة مهمة ، تتلخص في إنّ تحديد مراحل الاستشراق في خمس مراحلٍ تاريخيةٍ ، لا يعني موت هذه الحركة ، فهي ما تزال تتسع في منظومات معرفية ، لها معرفة وطيدة بمُجريات الأحداث في عالم اليوم([2]).

رابعاً / إتجاهات المستشرقين في دراسة التاريخ الإسلامي :

لقد كانت الاتجاهات التي سار عليها اهتمامهم بالإسلام وتاريخ المسلمين ، وسِيّرة رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم – تنقسم إلى اتجاهين :

1- : اتجاه الكشف عن كتب التُّراث الإسلاميَّة ، التي كانت تزخر بها المساجد، والمكتبات الخاصة والعامة([3])،وكرَّسوا حياتهم وطاقاتهم في جمعها وصونها وتقويمها وفهرستها ونشرها، وتحقيقها ([4]) ، ويكُونُ مِنْ المُكابرة والتَّقصير أنْ لا ينطلقُ اللِّسانُ بمدحها والثَّناء عليها ، فبفضلِ جهودهم برزتْ الكثير مِنْ نوادر العلم ، الَّتي لمْ تر ضوء الشمس منذ

قرون، إلى التحقيق و النشر ، وكمْ مِنْ مصادر علمية ووثائق تاريخية لها مكانتها وقيمتها صدرتْ لأوَّل مرَّة بفضل جهودهم ([5]) ، فعلى سبيل المثال: ''طبقات ابن سعد ''، و''تاريخ الطبري ''، و '' الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر'' ، قدْ رأت النَّور أول ما رأتْ على يد مستشرقين قضوا في تحريرها جانباً كبيراً مِنْ حياتهم ،ثُمَّ أخرجوها في حلةٍ وافيةٍ صحيحةٍ([6]) ،وهمْ بذلكَ- وكما يتفق معظم الباحثون المسلمون - قدْ قدمَّوا للمسلمين خدماتٍ جليلةً حينَ قاموا بتحقيقِ تلكَ الكُتب ، الَّتي كادتْ أنْ تقضي عليها الحشراتُ والقوارضُ ، واتجاهاتُ الحُكَّام والغُزاة([7]).

---

(3) ينظر :زكريا هاشم زكريا : المستشرقون والإسلام ، لجنة التعريف بالإسلام ، يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (القاهرة ، 1965م) ، ص 169.

(4) ينظر: محسن جاسم الموسوي : الاستشراق في الفكر العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ، 1993م) ، ص 28.

(5) كانت المساجد والجوامع تؤدي مهمة التعليم ونشر الثقافة بجانب الدور الديني ، وكانت تزخر بالمئات من الكتب ، مثل مكتبة جامع ابن طولون في مصر التي كانت تحتوي على 814 كتاب ، كذلك المكتبات الخاصة التي أشأها الأمراء والوزراء والعلماء...أشهرها مكتبة الوزير (الصاحب بن عباد) ، ومكتبة المؤرخ الواقدي التي احتاج إلى مئة وعشرين بعيراً لنقلها إلى مقره الجديد في بغداد ، والكثير من المكتبات العامة مثل مكتبة دار الحكمة في بغداد ، التي وصل عدد كتبها إلى المليوني كتاب ، ومكتبة الجامع الأزهر والمكتبة الظاهرية بدمشق ، ومكتبة القيروان في تونس ومكتبة القرويين في فاس وغيرها = محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، ط5، (دمشق ، 1986م)، ص 84- 116.

(6) ينظر :نجيب العقيقي : المستشرقون ، 2\ 16.

(1) ينظر:أبو الحسن الندوي: الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين ، ص 16، 17.

(2) ينظر:عمر فروخ :" الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة" ، ص 131.

(3) من ذلك ما فعله التتار /المغول بمكتبات بغداد ، حيث ألقوا بالكتب في نهر دجلة ، حتى قيل :أن ماؤه ظل مسوداً أربعين يوماً من كثرة ما ألقي فيه من كتب ، وأن (هولاكو) قد بنى اصطبلات الخيول ، وطاولات المعالف بكتب العلماء عوضاً عن اللبن (حجارة البناء)، .. كذلك أحرق الصليبيون مكتبات في طرابلس الشام ، والقدس ، وعسقلان ، وغزة وغيرها ، وقد قدر المؤرخون الكتب التي أحرقت في طرابلس الشام بثلاثة ملايين مجلد = محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام ، ص 204.

والسؤال الذي يطرح نفسه ؟ لماذا قام المستشرقون بتلك الخطوة ؟ أخدمةً للعلمِ وحفاظاً على التراث العلميّ الإنسانيّ- باعتبار أنَّ كُتب الحضارة الإسلامية هي الأكثر والأهم في مجالِ التُراث الإنسانيّ عموماً ؟ أم محبةً في العربِ والمسلمين، ورغبةً في خدمتهم ؟، أمْ هي كمَا يصفها بعض الباحثين العرب مِنْ باب أعرف عدوك؟([1]) ، أمْ كانتْ لهم أهداف وغايات أخرى؟.

إنَّ أغلب هؤلاء المستشرقين- و نقول أغلب –لأنه وجد فريق منهم كانتْ لهم غايات علميَّة خالصَّة - قدْ قاموا بتحقيق كُتب التُراث العربيَّة والإسلاميَّة لأحدِ الأسبابِ الآتية:

أ- كانَ جمْعهم للمخطوطات العربيَّة وكُتب التُّراث العلميَّة القيمة ، عملٌ مبنيٌّ على وعْيٍّ تامٍ بقيمةِ هذه المخطوطات ([2])؛ خدمةً لأنفسهم ولحضارتهم التي قامتْ على أنقاض حضارة العرب والمسلمين؛ لعلمهم بما احتوته تلك الكُتب التي حققوها مِنْ كنوز ومعارف ، وخير دليل على ذلك أن عدد المخطوطات في بريطانيا وحدها أكثر من 5000مخطوط ، وفي إيطاليا 15000مخطوط ، وفي أسبانيا ما يقارب 3000 مخطوط ([3]).

ب- الشغف بجمع العاديات والتحف والآثار للزينة أو للتجارة ،وهم لم ينشروا الذي نشروه لرفع مستوى التعليم عند العرب والمسلمين، بل لرفع المستوى الثقافي في بلدانهم ([4]).

ت- كانت لكثيرين منهم أغراضٌ شخصيةٌ، ماديَّةٌ أو وظيفية ، حتَّى إنَّ بعضهم قدْ نسب بعضْ الكتب العربية المترجمة والمحققة إلى نفسه أو بعض جماعته ،وقد سبق الإشارة إلى أشهر شخصية في هذا المجال ، ألاَ وهو **قسطنطين الأفريقي([5])**.

ث- مِنْ أهْم الأسباب التي دعت المستشرقين إلى الاتجاه إلى تحقيق المخطوطات الإسلاميَّة ، هو العمل على تشكيك المسلمين في حضارتهم ، حيث ادعوا أنها ليست من صنع المسلمين ، إنما هي مأخوذة من الحضارة اليونانية و الرومانية والفارسية القديمة ([6]).

---

(4) ينظر:بسام داوود عجك : التراث الإسلامي والاستشراق ، ص 207.

(5) كان الحكام والملوك في أوروبا يفرضون على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق أن تحضر معها بعض المخطوطات ، كما أرسل فيلهلم (مللك بروسيا) عدد من الأشخاص لشراء المخطوطات = ،محمود حمدي زقزوق :الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص 61.

(1) ينظر: بسام داود عجك: المرجع السابق ، ص 172- 176.يتصرف .

(2) ينظر: قاسم السامرائي : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، دار الرفاعي ،(الرياض ، 1983م)، ص 14.

(3) ينظر : زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ، ص292.

(4) ينظر: أحمد سما يلو فتش : فلسفة الاستشراق، وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، ص 169.

ج- الانتقاصُ مِنْ الإسلام والمسلمين ، والدليل على ذلك أن أغلبهم كان يختار مِنْ كُتب التراث ما يحقِّقُ غايةً معينةً ، و أن الكثير من الكتب المحققة ، كانت لآراء شاذَّة أو تختصُّ بفترات نزاعٍ وخصومةٍ مذهبيَّةٍ أو طائفيةٍ ، أو مغلوطةٍ ومنحرفةٍ أو مُبالغٍ فيها([1])، مثل إحياء المخطوطات التي تحمل سموم الإلحاد والإباحية، أمثال شِعر **بشار بن برد،** وكُتب **الحلاَّج([2])** ، وغيرهما من ذوي الأفكار المنحرفة،والتي طُمست وكَشف زيفها أعلام الفكر الإسلاميّ ، في الوقت الذي يشددون فيه الهجوم على **الغزالي والمتنبي و ابن خلدون** ؛ لإضعاف ثقةِ المسلمين في دينهم وتراثهم أولاً ، وإعطاء صورة مشوَّهه عن العربيَّ المسلم في الغرب([3]).

2- : اتجاه التأليف الاستشراقي عن الإسلام والمسلمين وسيرة الرَّسول – صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - والحضارة الإسلامية ، و أقول تأليف استشراقي ، وليس تأريخ ؛ لأنَّ الاستشراق يختلف عن التأريخ كون هذا الأخير يحاول أن يفهم فقط ، ولا يضع موضع الشك أسس المجتمع الذي يدرسه ، بينما الاستشراق يعطي نفسه حق الحكم بل وحتى الاتهام والرفض ([4])، والمؤلفات الاستشراقية في هذا المجال كثيرة لا حصر لها ، تناولت مختلف عصور التاريخ الإسلامي ، بعضها كان منصفاً ، وأغلبها كان بعيداً عن الحقيقة .

خامساً / دوافع الإستشراق:

نظراً لأنَّ هذه الدراسةِ تخْتص بعلاقة الاستشراق بالإسلام والرَّسول ، **محمد**– صلَّى الله عليه وسلَّمَ – فإن البحث ينحصر في أهداف المستشرقين ودوافعهم ،على هذه العلاقة ،دون إلتفات لدراساتهم الخاصة ببقية أنحاء الشرق.

---

(5) ينظر :بسام عجك : التراث الإسلامي والاستشراق ، ص 190.

(6) جعل لويس ماسينوس (ت 1962م) همه دراسة " التصوف المتطرف "، فيما يتعلق بالحلاج خاصة ، وجمع به نصوص ، ترجمها إلى الفرنسية باسم (أخبار المنصور الحسين بن منصور) ، والحلاج كما هو معروف قد أدعى الألوهية فقتله العباسيون بذلك ، ولكن أتباعه قالوا أنه لم يمت ، ولكن (شبه) ألقي على غيره فقتل العباسيون شبهه هذا ولم يقتلوه هو (تشبهاً بالمسيح) = عمر فروخ : "الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة "، ص 135.

(7) ينظر :عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : أجنحة المكر الثلاث وخوافيها، ص 91.

(1) ينظر: هشام جعيط : أوروبا والإسلام ، ص 74.

لقد تباينت دوافع المستشرقين التي دفعتهم إلى دراسة الإسلام ، والتأليف في تاريخ المسلمين وسيرة نبيهم – صلى الله عليه وسلم - ، ويمكننا أن نحددها ،على النحو الآتي :

1- الدافع الديني :-

من الثابت أن طلائع المستشرقين كانوا من الرُّهبان ،([1]) فهم كانوا يشكلون وحدهم الطبقة المتعلمة و الأكثر تنوراً في أوروبا، وكانت مهمتهم الدينية تقتضي عدة أمور منها إرساء نهضة الكنيسة على أساس من التراث الإنساني الذي تُمثل الثقافة العربية الإسلامية جزءاً أساسياً منه ([2])، و السعي لنشر الديانة المسيحية لدى سكان البلاد الشرقيَّة([3]) ، فقد لاحظت الكنيسة أن الحضارة الإسلامية أصبحت مطلباً للمفكرين المتمردين عليها حيث وجدوا الفرصة للتفكير والتخلص من قيودها ، وإظهار إعجابهم بالإسلام ،ليس لسماحته فقط وإنما لأنه بعيدٌ عن التعقيدات وطلاسم العقيدة النصَّرانية، ولأنه نظام حياة كامل ، فخاف رجال الكنيسة على مكانتهم السياسيَّة والاجتماعية في العالمِ النصَّراني ، ورأوا مِنْ الواجب الوقوف في وجه الإسلام ([4]) ، وأصبح هم الكنيسة الطعن في الإسلام وتشويه محاسنه ، وتحريف حقائقه، ؛ لتثبت للجماهير الخاضعة لسلطانها أنَّ الإسلام هو العدو اللدود للمسيحية ، وأنَّهُ دينٌ لا يستحق الانتشار([5]) ، وأن المسلمين قومٌ همجٌ لصُوص وسفّاكو دماء ، يحثهم دينهم على الملذات الجنسية ، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي ([6])؛ ولذلك كانت الكتابات الاستشراقية الأولي شديدة التعصب ،وتنضحُ بالحقد العنيف.

لقد كان الفاتيكان أكبر المراكز الدينية وأكثرها اهتماماً بالاستشراق، ونشره ، وكان المعين الذي أمد طلائع الاستشراق بأوائل رجالاته ، كما أمر بإدخال اللغة العربية واللغات الشرقية الأخرى في مدارس الأديرة والكاتدرائيات ، وعمل على إنشاء كراسي لتلك اللغات في الجامعات الأوربية ،وفي الفاتيكان نفسه؛ لتخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين، قام بالتدريس فيها، علماء اللاهوت وعددٌ مِنَ المستشرقين الذين أجادوا تلك اللغات ،مع تكليفهم بترجمة النصوص ؛للرد على منتقدي الدين المسيحي([7]).

---

(2) ينظر: ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية ، 1\1\ 43.
(3) ينظر : نبيه عقل : المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي، ص 179.
(4) ينظر:ميشال جحا : الدراسات العربية والإسلامية في أوربا ، معهد الإنماء العربي ،(بيروت ، 1983م) ، ص 6. أحمد عبد الرحيم السائح : الحركة الاستشراقية وكيفية مواجهتها ، ص 172
(5) ينظر :عرفان عبد الحميد: الاستشراق، دار الإرشاد (بغداد 1969م)، ص6.
(1) ينظر:عبد الله بن محمد البابطين : منهج كتابة التاريخ العربي ، ص 205، 206.
(2) ينظر:عبد الرحمن حسن الميداني : أجنحة المكر الثلاث وخوافيها ، ص 91.
(3) ينظر:ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية ، 134/1/1.

كما دفعت الحروب الصليبية- ذات الصبغة الدينية البحتة - الأوربيين إلى دراسة الإسلام ، وقد نشط اللاهوتيون المسيحيون في ذلك الوقت ضد الإسلام ،وزعموا فيما زعموا أنَّ الإسلام قوة خبيثة شريرة،وأنَّ **محمداً** – في نظرهم ، وحاشاه اللهُ أن يكون كذلك - ليس إلا صنماً أو إله قبيلة أو شيطاناً ، وغذَّت الأساطير الشعبية خيال الكُتاب الصليبيين ([1]).

وقد استمر الهدف الديني هو الباعث الغالب لحركة الاستشراق،فبعد أن تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوربيين ما تركته من آثار عميقة ، وعمت حركة الإصلاح الديني المسيحي ، أوروبا بعد عصر النهضة ، شعر المسيحيون ، بالحاجة الملحة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية ، فاتجهوا إلى الدراسات العبرانية ، وهذه قادتهم إلى الدراسات الإسلامية ، لأن الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى ، وبخاصة ما كان منها متعلقاً بالجانب اللغوي ، بالإضافة إلى الهدف الأول ، وهو رغبة المسيحيين في التبشير بدينهم ([2])، فاقبلوا على الاستشراق؛ ليتسنى لهم تجهيز المبشرين وإرسالهم إلى العالم الإسلامي([3]).

وفي العصور الحديثة ، اشتدت حاجة المسيحيين للهجوم على الإسلام ونبيِّه - باعتبار أن الرَّسول **محمد** –صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - هو الرَّكيزة الأساسيَّة التي يقوم عليها هذا الدين، فلو أمكنَ لهم أنْ يثبتوا أنَّه كاذبٌ أو مدعي ، أو على أقل تقدير : مصلحٌ إجماعيٌّ أو صاحبُ فكرٍ خلاَّق ، لأمكنهم زعزعه ثقة المسلمين به ، وبالتالي بالدين الذي جاء به ، وإثبات أنه ليس ديناً سماوياً ، وإنما فكرٌ عبقريٌ خلاَّق ، وفي هذه الحالة يتمكنون من إثبات التهمة الأساسية التي سعوا إلى تأكيدها وهي الكذب ([4])؛ لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة ، وهم يعلمون- تمام العلم - ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ، ثم الحروب الصليبية، ثم الفتوحات العثمانية في أوربا في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام ، ومن كره لأهله ، فاستغلوا هذا الجو النفسي لتحقيق أهدافهم ، وكانت الصورة المشوهة التي اصطنعوها عن تعاليم الإسلام وتاريخه ، مُدبَّرةً على أساس يضمن التأثير في موقف الغرب ، ممن يسمونهم (الوثنيين)([5])، وهذا شيء لا زلنا نلمس تأثيره في التفكير الغربي إلى يومنا هذا ، فاحتقار العرب والسخرية منهم ، وصورة المسلم الإرهابي ، ما تزال تنطق بها تصريحاتهم السياسية ، ومعاملاتهم اليومية ، بل وحتى أفلامهم وبرامجهم الثقافية، ونذكر في هذا الخصوص عبارة

---

(4) ينظر:أبو الحسن الندوي : الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين ، ص 73.
(5) ينظر:محمد متولي الشعراوي : شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها ، مكتب التراث الإسلامي (القاهرة ، ب ت) ، ص 22.
(6) ينظر: محمد البهي :" المبشرون والمستشرقون " ، حولية كلية الدعوة ، ع 2 ،(القاهرة، 1986م) ، ص 374.
(1) ينظر:عبد الرحمن حسن الميداني : أجنحة المكر الثلاث وخوافيها ، ص 92.
(2) ينظر:بركات عبد الفتاح دويدار : الحركة الفكرية ضد الإسلام ، دار التراث العربي للطبع والنشر(ب م ، ب ت) ص 78.

قالها **(بوش الصغير)** في تصريح له أمام حشد من الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء ، بعد حادثة الحادي عشر من سبتمبر قال : **" إنها الحملة الصليبية العاشرة "** ([1]) ،والقول نفسه يصدق على اليهود ، فقد أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية ، وسعوا إلى محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه ، بإثبات فضل اليهودية على الإسلام ، وقد أستطاع اليهود أن يكيفوا أنفسهم ليكونوا عنصراً أساسياً في إطار الحركة الاستشراقية المسيحية ([2]).

2- الدافع الاستعماري :

بعد هزيمة المسيحيين في الحروب الصليبية ، والتي كانت حروباً دينية قلباً وقالباً ، لم ييأس الغرب من العودة ومحاولة السيطرة على البلاد العربية والإسلامية([3]) ، و بتشجيع من رجال الدين ([4])،اتجه المستشرقون إلى دراسة تلك البلدان ، في كل شؤونها ، من عقيدة وعادات وأخلاق ، ولهجات ،وثروات، وتراث وحضارات، واقتنع زعماء الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق([5]).

ولما تم لهم السيطرة العسكرية عليها ، بدأو في دعم الاستشراق([6]) ،فأحسنت كل دولة إلى مستشرقيها ، وضمهم ملوكها إلى حاشيتهم ،أمناء أسرار وتراجم ، وانتدبوهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية إلى بلدان الشرق ، وولوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات، والمدارس الخاصة،والمكتبات العامة، والمطابع الوطنية ، وأجزلوا عطاءَهم في الحل والترحال ، ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية([7]).

---

(3) ينظر: رمضان البركي : الحملة الصليبية على كتاب الله والتيارات الفكرية المعادية له ، مطبعة الزحف الأخضر ،(بنغازي ، 1425هـ/ 2005م)، ص 129.

(4) ينظر:محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 49.

(5) عفاف صبره : المستشرقون ومشكلة الحضارة ، ص 15.

(6) كان مما قاله سكرتير التبشير في برلين ، عن مؤتمر أدنبرج التبشيري الذي عُقد في أدنبرج 1910 م" لقد امتاز بوجوب إجماعه ضم المقاصد السياسية والاقتصادية إلى الأعمال الأخلاقية والدينية في سياسة الإستعمار....باعتبار أن نمو ثروة الإستعمار متوقف على أهمية رجال الدين الذين يذهبون إلى المستعمرات" .ينظر:محمد أحمد مشهور الحداد : الإسلامفي وجه التحديات ، ص 56- 57.

(1) ينظر:أحمد عبد الرحيم السائح ، الحركة الاستشراقية ، ص 167.

(2) رافق جمع من المستشرقين حملة نابليون بونابرت على مصر ، وكانوا مترجمين ، ويكتبون المنشورات السياسية الدينية ويطبعونها، وينشئون الجرائد ويطبعونها ، ويشرفون عليها وعلى توزيعها، منهم (ج.ج.مارسيل)، الذي أنشأ فيها المطبعة العربية. = محمد عبد المنعم خفاجي ، عبد العزيز شرف : الإسلام والغزو الفكري ،دار الجيل (بيروت ، ب ت)، ص 203.

(3) ينظر:نجيب العقيقي : المستشرقون ، 3\ 604.

وبدأ المستشرقون يتعاملون بأسلوب جديد مع شعوب هذه المناطق ([1])،و حرصوا على إشاعة أيديولوجية تهدف إلى التفريق الواضح بين الشرق والغرب([2]) ، والنص على وجود فرق واضح بينهما، لا في أسلوب الحياة المادية اليومية والعادات ، بل في طريقة التفكير ونوعية العقل والتكوين الفكري ،كما عملوا على تشكيك المسلمين في كل ما بين أيديهم من تراث وحضارة ودين وحتى لغة ، وذلك لإضعاف الروح المعنوية ، وزعزعة الثقة بالنفس ، والتمكن من السيطرة على عقولهم ومقدراتهم ([3]).

والجدير بالذكر أن الكثير من المستشرقين ، لم يكونوا علماء أو أساتذة جامعات ، أو رجال بعثات أثرية ، بل كان العديد منهم جواسيس ، وموظفين في وزارات الخارجية ، والمستعمرات ودوائر الاستخبارات ، وكان منهم القناصل الذين كانت مهمتهم الاتصال بالعملاء ، وبرجال الفكر والصحافة ؛ لمعرفة أسرار البلدان ، واتجاهات الرأي العام ، ونشر ما يريدونه من اتجاهات كآراء ([4])، و أختلط الأمر في كثير من الأوقات بين المستعمر والمستشرق، بل بلغ الأمر حد شحن الجندي الغربي بروح الاستشراق المعادية للإسلام قبل إرساله إلى المعركة وخير دليل على ذلك أن النشيد الذي يردده الجيش الإيطالي ،عندما كانت فرقهم الغازية تتوجه إلى ليبيا عام(1329 هـ/ 1911م) ، تقول كلماته في عداء صليبي سافر:

" يا أمي أتمي صلاتك ،ولا تبكي بل أضحكي وتأملي ، ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني ، وأنا ذاهب ،إلى طرابلس فرحاً مسروراً ؛ لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ، ولأحارب الديانة الإسلامية ، سأقاتل بكل قوتي لأمحو القرآن ، وإن لم أرجع فلا تبكي عليّ ، وإن سألك أخي عن عدم حزنك عليّ ، أجيبيه : إنه مات محارباً الإسلام " ([5])

بل أن يد التبشير لا تزال تدفع الاستعمار إلى الأمام، ومن دلائل ذلك في العصر الحديث أن فرنسا تشترط أن يكون رئيس وزرائها من الطائفة الكاثولكية ؛ لأن فرنسا تفتخر

---

(4) ينظر:محمد السيد الجلنيد : الاستشراق والتبشير ، ص 20- 22.

(5) كما قال الشاعر الاستعماري المشهور كبلنج Kipling :- "الشرق شرق، والغرب غرب ، ولن يلتقيا ". نقلاً عن : أبو الحسن الندوي : الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين ، ص 86 .

(6) انتشرت خلال القرن التاسع عشر ،الكثير من النظريات التي تؤكد ذلك ، كان من أهمها : نظرية غوبينو Gobineau(18161-1882م) العرقية التي ضمنها كتابه (بحث حول عدم التساوي بين العروق الإنسانية) .وكذلك أرنست رينان E.Rena (1823-1892م) ، صاحب النظرية العرقية التي تضمنها كتابه (أديان الساميين)، حيث ذكر أن الساميين منحدرون من أصل واحد ، يتميز أفراده بتشابه لغاتهم وعقليتهم ونظرتهم الجزئية إلى الأشياء ، وتأثرهم بالغيبيات ، وميلهم إلى السذاجة في التفكير ، وهم بذلك عكس الجنس الآري الراقي الذي ينحدر منه الأوربيون ، وهي النظرية التي طورها هتلر والنازية فيما بعد = نبيه عقل : المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي، ص 181.

(1) ينظر: مصطفى نصر المسلاتي : الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين (أطروحة) ، دار اقرأ للطباعة والترجمة والنشر والخدمات الإعلامية (طرابلس ، 1086م) ، ص 264، 165.

(2) رمضان البركي : الحملة الصليبية على كتاب الله والتيارات الفكرية المعادية له ، ص 127.

بأنها تحمي الكثلكة في العالم ، وكذلك لا يكون رئيس وزراء بريطانيا ، وكبار القادة فيها إلا من البروتستانت ؛ لأن بريطانيا تفخر بأنها تحمي المذهب البروتستانتي في العالم ([1]) .

3- الدافع الاقتصادي :-

في بداية عصر النهضة الأوربية ، كانت الثورة الصناعية التي اجتاحت أوربا ، في حاجة إلى المواد الخام ؛ لدعم الصناعة ، كما كانت في حاجة إلى أسواق لتصريف منتجاتها ، وبالمقابل كان الشرق الإسلامي والدول الأفريقية والآسيوية ، بمثابة مغارة على بابا التي ستجلب الرخاء والثروة، فنشطت الكشوف الجغرافية ، والدراسات اللغوية والثقافية ، ولا زالت ثروات الشرق وخيراته أهم الأهداف التي يسعى الغرب إلى تحقيقها ، فأنشأ الأسواق التجارية والمؤسسات المالية ([2])،وأقام الصناعات التقليدية في البلاد الإسلامية ، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الآلية الغربية ([3]).

كما شهدت الصحارى العربية الرحالة والمغامرين ، ممن انصبت اهتماماتهم على اكتشاف كنوزها ، واستطلاع آفاق البلاد العربية ؛ لوضع الخرائط ودراسة المجتمعات الصحراوية ، دراسة علمية ؛ لتأمين طرق التجارة أولاً ؛ ولمعرفة أسرار مجتمعات الصحراء ثانياً([4]).

ولم يتوقف الهدف الاقتصادي عند بدايات الاستشراق،فما زال هذا الهدف أحد أهم الأهداف لاستمرار الدراسات الاستشراقية ،فمصانعهم ما تزال تنتج أكثر من حاجة أسواقهم المحلية، كما أنهم ما زالوا بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي([5]).

4- الدافع العلمي :

ويُقصدُ به الدراسة والبحث لأغراض علمية بحتة ، وصولاً إلى الحقيقة المجرَّدة،وقد قاد هذا المنهج بعض المستشرقين إلى انتقاد أخطاء المستشرقين الآخرين([1]) وكشف زيفهم وادعاءاتهم ، فقد كتب **توماس كارليل** :

---

(3) ينظر محمد أحمد مشهور الحداد : الإسلام في وجه التحديات ،ص 58.
(4) ينظر: مصطفى خالدي ،وعمر فروخ .التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي،منشورات المكتبة العصرية (بيروت ، 1982م) ص69-168
(5) ينظر: عبد الرحمن حسن الميداني : أجنحة المكر الثلاث وخوافيها، ص 93.
(1) ينظر: مصطفى نصر المسلاتي : الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص 264.
(2) ينظر: أحمد سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق، وأثرها في الأدب العربي المعاصر ،ص 46 ، وكذلك ، مكسيم رودنسون : صورة العالم الإسلامي في أوروبا ،ص 57

" لقد أصبح من العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى تلك الإتهامات التي وجهت إلى الإسلام وإلى نبيه ، واجبنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة "([2])

وهذا الصنف على قلته([3]) ، وعلى إخلاصه في البحث والتَّحريِ ، فإنه لم يسلم من الوقوع في الخطأ، والاستنتاجات البعيدة عن الحقيقة ؛ وذلك إما لجهلهم بأسرار اللغة العربية، أو عدم استيعابهم للبيئة الإسلامية التاريخية،فيحبون تصورها كما يتصورون مجتمعاتهم الحالية،متجاهلين أو متناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية، التي تفرق بين الأجواء التاريخية، التي يدرسونها، وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها ، وهؤلاء سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم ، وكثيراً ما يتهمون من غيرهم من المستشرقين بالانحراف العلمي، أو الانسياق وراء العاطفة ، أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم ،كما فعلوا مع **توماس أرنولد Thomas Arnold**([4]) (1281-1349هـ/ 1864-1930) الذي أعجب بالإسلام وأنصف المسلمين في كتابه '' الدعوة إلى الإسلام ''، والذي برهن فيه على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين على عكس غيرهم معهم([5]) .

وقد أوصل البحث العلمي الجاد بعض هؤلاء إلى اعتناق الإسلام ، بل والترويج له والدفاع عنه ، منهم المستشرق الفرنسي **دينيه**([6])، الذي عاش في الجزائر ، فأعجب بالإسلام واعتنقه (1346 هـ/ 1927م)، وتسمى باسم:**ناصر الدين دينيه** ، وكتب كتاب '' أشعة خاصة بنور الإسلام ''، بين فيه تحامل قومه على الإسلام ونبيه ([7]).

سادساً / أهداف الإستشراق:

وبعدَ أنْ عرفنا الدَّوافع الَّتي دفعتْ المستشرقينَ إلى دراسةِ الإسلامِ وتاريخهِ ،يمكنُ أنْ نستنتج الأهداف الَّتي سعى هؤلاءِ المستشرقينَ إلى تحقيقها ، وهي :

---

(3) ينظر: محمد فتح الله الزيادي : المستشرقون في الميزان، ص 87.
(4) الأبطال ، ت : محمد السباعي ، كتاب المعارف ، دار المعارف ، (القاهرة ، 1986م)، ص 62.
(5) ينظر: عبد الرحمن حسن الميداني : أجنحة المكر الثلاث وخوافيها ، ص 93.
(6) ينظر: عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ،ط3، (بيروت ، 1993م)، ص 9-11.وكذلك ، عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ،مكتبة مدبولي (القاهرة ، 1990م)، ص86.
(1) ينظر:عبد الرحمن حسن الميداني : المرجع نفسه ، ص 93
(2) ينظر: أتيين دينيه : محمد رسول الله ، دار المعارف (القاهرة ، 1966م) ، مقدمة المترجم ، ص 7-41.
(3) ينظر: عبد الله بن محمد البابطين : منهج كتابة التاريخ العربي ، ص 206.

1- تطويق المدّ الإسلاميّ ، والعمل على انحساره ، ووقف نموه المطرد ، وذلك عَنْ طريق التشكيك في دستور الإسلام الخالد " القرآن الكريم " ، وإنكار أنَّهُ كلام رب العالمين، وإثبات أنَّ الرَّسول – صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ – قدْ ألفه واسْتمد مصادره مِنْ اليهوديَّة والمسيحيَّة ،وحينَ يُواجهون بالأدلة والردود العِلميَّة الصحيحة ، لا يجدُ الكثيرُ منهم إلا أنْ يقولَ ، أنَّ القُرآن راجعٌ إلى ذكاءِ (**محمد**) ، وعبقريَّته وقُوةِ بيانهِ وبالتَّالي إنكارِ نبوّته ، وإرجاعِها إلى الخيالِ الذِّهنيّ الخلاَّق ،و التشَّكيك في صحةِ الأحاديث النبويَّة ، والسنة النبويَّة ([1]).

2- تفكيك الأمة الإسلامية ؛ ليتمكنوا من السيطرة عليها ، والحد من تقدمها وتأخير أخذها بأسباب الرُّقي ، وذلك عن طريق إثارة الخلافات الدينية في الفكر الإسلامي ، والعمل على إحياء الآراء الشاذة للفرق المغالية ، ليشغل المسلمون أنفسهم بها عن التفكير في عظائم الأمور ([2]).

3- التشكيك في تطور اللُّغة العربية ومواكبتها لتطور العصر ؛ لتبقى الأمة العربية مشدودة إلى الغرب؛ ولتبقى عقدة النقص تكبلها ، وتشجيع العاميَّة واللَّهجات المحلية([3]) ،وهذا ما نلمس أثره واضحاً من خلال الإعلام العربي ، الذي يستعمل اللهجات المحلية حتى في برامج الأطفال أو البرامج المدبلجة بدلاً من اللغة العربية الأم .

4- زعزعةُ ثقةِ المسلمِ في نفسه ، وجعلهِ يبحثُ عَنْ هويَّةٍ وإنتماءٍ تُعيدُ لهُ تلكَ الثِّقةَ الضَّائعةَ ، فيرتمي في أحضانِ الغربِ ، وذلكَ عَنْ طريقِ التشكِيكِ في تُراثِ الإسلامِ والحضارةِ العربيَّةِ ، والقول بأنَّ الفلسفة والفكر الإسلاميّ منقولان عن اليونان([4]).

5- إضعاف روح الانتماء العربي الإسلامي ، عن طريق وضع مفاهيم جديدة وطرحها على الرأي العام من خلال الإعلام ،و إحياء القوميات المندثرة، كالفرعونية ، والكردية، والفارسية والتركية وغيرها([5]).

6- التشكيك في التراث الحضاري الإسلامي ، وهذا مبعثه شعور الغرب بأفضلية العرب وفضلهم عليهم، باعترافات المستشرقين أنفسهم ، **فغوستاف لوبون** يقول :

---

(4) ينظر: محمد فتح الله الزيادي : ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ،(طرابلس ، 1983م) ، ص 93- 95.

(5) ينظر: محمد السيد الجلنيد : الاستشراق والتبشير ، قراءة تاريخية موجزة ، ص 16، 17.

(1) ينظر: محمد فتح الله الزيادي : ظاهرة انتشار الإسلام ، ص 95.

(2) ينظر: محمد السيد الجلنيد : الاستشراق والتبشير ، قراءة تاريخية موجزة ، ص20- 22.

(3) ينظر: مصطفى نصر المسلاتي : الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، ص 264، 266.

"الحق أن أتباع محمد ظلوا أشد مَنْ عرفتهم أوربا من الأعداء ، إرهاباً عدة قرون ، وعندما كانوا لا يرهبوننا بأسلحتهم ، كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العربية الساحقة ، ونحن لم نتحرر من نفوذهم إلا بالأمس القريب "([1]).

سابعاً / وسائل الإستشراق:-

تمَّيز المستشرقون بالعمل الجادِّ والصبرِ والدأب على إنجاز العمل في أكمل الصُّور ، بل وأوقف بعضهم حياته بكاملها على دراسة موضوع مُعَّين ، والبحث والاستقصاء لاستيفاء كافة جوانبه ؛ ولهذا نجد أنَّ لديهم معرفة جيدة بكل ما ينشر عن الدِّراسات العربية والإسلاميَّة في بلادنا العربيَّة ([2])، وفي سبيل تحقيق أهدافهم، سلك المستشرقون العديد من السُّبل ، واتخذوا العديد من الإجراءات التي تكفل لهم النَّجاح في مهامهم ومنها :

(1) إنشاء كراسي للُّغات الشَّرقية في الجامعات الأوربية ، مثل السُّوربون في باريس، والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ودمشق وطهران وتونس ، وكراسي اللغات الشرقية في جامعات إنجلترا ، وغيرها من البلدان الأوربية ([3]).

(2) إنشاء المكتبات الشرقية : التي تحتوي على ملايين الكتب والمخطوطات العلمية والأدبية والتاريخية ، أهمها : مكتبة باريس الوطنية ، ومكتبة المتحف البريطاني في لندن ، ومكتبة الأسكوريال في أسبانيا ، ومكتبة فيينا الوطنية ، ومكتبة جامعة ليدن بهولندة ، ومكتبة برلين الوطنية ، بالإضافة إلى المكتبات الخاصة ([4]).

(3) إنشاءُ المطابع الشرقية ،التي تحتوي على الحروف العربية مثل، مطبعة مايستري في مدريد، والمطبعة الإمبراطورية في النمسا ، ومطبعة ليدن في هولنده وغيرها([5]).

(4) تأليف الكتب ، ونشر العديد من الأبحاث ، بهدف صرف أنظار المسلمين عن تراثهم ،والاتجاه إلى مؤلفات المستشرقين، والاعتماد عليها في التَّعرُّف على الإسلام و التَّاريخ

---

(4) محمد عبد المنعم خفاجي : الإسلام والغزو الفكري ، ص 62.
(1) ينظر: أبو الحسن الندوي: الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين ، ص 83.
(2) ينظر: عفاف صبره : المستشرقون ومشكلة الحضارة ، ص 30 ، 31.
(3) ينظر: المرجع نفسه ، ص 31.
(4) ينظر: المرجع السابق ، ص 32.

الإسلامي حتى ننسلخ بمضي الزمن تاريخياً وعقائدياً ونصبح غربيين روحاً وفكراً ، هذا إلى جانب السبب الرئيس وهو التأثير في الإنسان الغربي وصرف نظره عن الإسلام، ولعل أخطر ما قام به المستشرقون ، في هذا المجال ، هو إصدار '' دائرة المعارف الإسلامية'' ، بعدة لغات ([1]).

(5) توجيهُ الدِّراساتِ العليا في الجامعات الأوربية ، إلى موضوعات معينة مِنَ التَّاريخ

الإسلامي تخدمُ أغراضهم، مثل القرامطة([2])والخوارج **([3])**،والخرمية([4])،وغيرها ، فالمستشرقين هم الأساتذة الذين حصل على أيديهم أبناء المسلمين على درجاتهم العلمية ، وعادوا أساتذة في الجامعات العربية يقودون البحث ويوجهونه ، وبالطبع على نحو ما علمهم أساتذتهم المستشرقين ([5]).

(6) تأسيسُ الجمعيات الشرقية ، وإصدار المجلات المتخصصة ، فقد أنشأ الفرنسيون (جمعية المستشرقين) وألحقوها بأخرى عام(1236هـ/1820م) ، وأصدرت ''المجلة الآسيوية''، وفي انجلترا تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الاستشراقية عام(1239هـ/1823م) ، وأصدرت مجلة '' الجمعية ألآسيوية الملكية '' ، وآخر مجلات المستشرقين مجلة ''العالم الإسلامي ''([6]) التي أنشأها **صموئيل زويمر** (1329هـ/ 1911م)، وتصدر من هارتفورد بأمريكا وطابعها تبشيري سافر([7])،وقد بلغ عدد البحوث والدِّراسات التي كُرست لسيرة النبَّي في هذه المجلة بين

---

(5) ينظر: أحمد عبد الرحيم السائح : الحركة الاستشراقية وكيفية مواجهتها ، ص 180.

(1) نسبة للدولة القرمطية و قامت إثر ثورة اجتماعية و أخذت طابع ديني و هناك من يعتقد إنها خرجت من المباركية أحد فرق الطائفة الاسماعيلية، و قد عرفها أتباعها باسم الدعوة الهادية، كانت لديهم العديد من الأفكار الشاذة .لمزيد من التفاصيل عن هذه الحركة ينظر :أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري : مقالات الإسلاميين وإختلافات المصلين ، تح :محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1969م) ، 1\ 101،100.

(2) فرقة من الفرق الإسلامية التي ظهرت مبكرا في عهد الصحابة رضي عنهم، وكانت لها آراء أحدثت شرخا سياسيا في بناء الأمة.وكان أول ظهور لها تحديدا في معركة صفين التي جرت أحداثها بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.ينظر : الأشعري : المصدر السابق ، 1\167-234.

(3) تعتبر حركة بابك الخرمي من أكثر الحركات الدينية والسياسية خطراً على الدولة العباسية خاصة، وعلى الإسلام والمسلمين عامة. هذه الحركة التي استمرت زهاء اثنين وعشرين عاماً ا. عن: لمزيد من التفاصيل ، ينظر : عبد العزيز عبد الرحمن سعد : حركة بابك الخرمي الدينية والسياسية (201- 223هـ/ 816- 838م) ،دار العلم للملايين ، (بيروت ، 2005).

(4) ينظر: عبد العظيم الديب : " المستشرقون والتاريخ ": الإسلام والمستشرقون ، مجموعة البحوث التي قدمت للندوة العلمية التي أقيمت بدار المصنفين بالهند ، (جدة ، 1985م) ص 280.

(5) للمزيد من الإطلاع حول هذه المجلة ، يُنظر : ناصر عبد الرازق الملا جاسم : "الإتجاهات التبشيرية لمجلة العالم الإسلامي "، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، ع25، (دبي 2003م)، ص 389-423.

(6) ينظر: أحمد عبد الرحيم السائح : الحركة الاستشراقية وكيفية مواجهتها ، ص 179، 180.

عامي (1329-1354هـ/ 1911- 1935م) نحو (24) دراسة([1]) ، بأقلام عدد مِنْ المستشرقين المشهورين أمثال **صموئيل زويمر ، وهنري لامانس ، ومرجليوث** وغيرهم ، وكلهم مِنَ المُتعصبين ، وقد كانوا يراعون في تلك المجلات جمال الإخراج وجودةُ الطباعة لتجذب الأنظار وتلفت الانتباه ، وقد أصبح لهذه الدَّورياتِ مكانتها الملحوظةَ ، وأثرها البارِز في عالمِ التربيةِ والثقافةِ الغربيَّةِ ([2]).

(7) إنشاء المتاحف الشَّرقية، التي تحتوي على مجموعات كبيرة من الكُتب والمؤلفات الشَّرقية ، إلى جانب مجموعة من الآثار الشَّرقية ، ومِنْ أهمها : المُتحف البريطانيّ، ومُتحف فِكْتُوريا ، ومُتحف جراتس في النمسا ، ومُتحف الفنِّ الإسلاميّ في برلين، والمُتحف الوطنيّ في باريس([3]) .

(8) عقد المؤتمرات والنَّدوات العلمية ،وقد بلغتْ مؤتمرات المستشرقين الدَّولية (1290-1388هـ /1873-1968م) 30 مؤتمر ، ضمَّت مئاتِ العُلماء من أعلامِ المستشرقين والعرب([4]).

ومن أشهر تلك الندوات : الندوة التي انعقدت في مدينة ستراسبورغ عام(1400هـ/1980م) تحت عنوان (حياة الرَّسول من خلال أعمال المؤرخين في القرون الثلاثة الأولى للهجرة) ، وقد شارك فيها مستشرقون من فرنسا وإنجلترا وأمريكا وألمانيا ، إضافة إلى باحثين عرب يعملون في جامعات أوربية([5]).

ثامناً / مدارس الإستشراق:

1- المدرسة الفرنسية:

---

(7) ينظر:ناصر عبد الرازق الملا : الإتجاهات التبشيرية لمجلة العالم الإسلامي ، ص 402- 403.
(8) ينظر:عفاف صبره : المستشرقون ومشكلة الحضارة ، ص 16.
(1) ينظر: عفاف صبره : المستشرقون ومشكلة الحضارة ، ص 32، 33.
(2) ينظر: نجيب العقيقي : المستشرقون ، 3\ 365-367
(3) ينظر:محمد القاضي : الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف ، ص 199- نقلاً عن : نزيه كسيبي " رسالة ستراسبورغ ، على هامش الندوة الاستشراقية حول حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم -" ،مجلة المعرفة السورية ، ع 227، (دمشق ،1981م)، ص 210- 217 .

إن علاقة فرنسا بالشرق والعالم الإسلامي كانت ولا تزال قائمة على مصالحها هناك، حيث تعاظم اهتمام الفرنسيين بالشَّرق بتعاظم الدَّور البريطاني في الهند ،الذي ألهب حماسة الفرنسيين وجعلهم يبحثون عن دور مماثل لهم في الشَّرق ([1]).

تعدُّ المدرسةُ الفرنسيةُ مِنْ أهمِّ المدارسِ الاستشراقية ،وبخاصَّة مُنْذُ أنْ أنشأ الفرنسيونَ جمعيَّة للمستشرقين عام(1202هـ/ 1787م)([2]) ،كما كان للمدرسةِ الوطنية للُّغات الشَّرقيَّة الحيَّة عام(1210هـ/ 1795م) ، أهمية كبيرة في تزويد نابليون بالعلماء والمترجمين إثناء حملته على مصر، كما أنشأ كرسيٌّ للدِّراسات الإسلاميَّة في جامعة السُّوربون ، وألحق به معهدٌ للدِّراسات الإسلاميَّة ، بعد مجمع فيينا ([3]) ، واستمرت الأعمالُ الاستشراقية الفرنسية بعد ذلك، فأنشيء المعهدُ الفرنسيُّ للآثار الشَّرقيَّة عام(1298هـ/ 1880م) في القاهرة ، ومعهد الدِّراسات العُليا في تونس ، ومدرسة الآداب العالية في الجزائر، ومعهد الدِّراسات المغربيَّة العُليا والمعهد الفرنسيُّ في دمشق وغيرها، وامتلأتْ خزائن المكتبات الفرنسية بآلاف المخطوطات العربية التي تحصل عليها السفراء والقناصل والتُّجار بمختلف الطُّرق ، منها السرقة الرسمية التي قامت بها البعثات العلمية الاستكشافية ، أو السرقات الشخصية التي قام بها بعض الأفراد ، أو الشراء ، أو تقديمها كهدايا تحت ما يسمى بالتبادل الثقافي ([4]) .

كما صدرت العديد من المجلات المتخصِّصة في الدِّراسات الشَّرقيَّة ، أشهرها ''مجلة الدِّراسات الإسلاميَّة'' التي صدرت في باريس عام(1346هـ/ 1927م) ، وقد تناولَ المستشرقون الفرنسيون مختلف أنواعِ المعرفة الشَّرقيَّة ، مِنْ لُغات وجغرافيا ، وتاريخ ، وآداب وآثار وقانون وديانات وغيرها ، ودرسوا الشَّرق الأقصى دونَ تعمق كبير ، بينما كانتْ دراساتهم لشمال أفريقيا ولغربها خاصَّة أكثر عُمقاً ؛ وذلكَ لأسبابٍ سياسيَّةٍ ودينيَّةٍ تبشيرية([5])،خاصة مع تزايد الهجمة الاستعمارية على الشَّرق في بداية القرن الرابع عشر الهجري / العشرين ميلادي ،حيث تركَّزت الدِّراساتُ الاستشراقية الفرنسيَّة كغيرها على خدمة الاستعمار ، فاهتموا باللَّهجات العربية العامَّة في المغرب، وكتبَ غيرُهم عن تاريخ الأدب ، والشِّعر العربي والجغرافيا والدِّراسات الإسلامية ، ويعتبر **سِلفستر دي ساسي Silvester de sacy**([6]) ، من أهم المستشرقين الفرنسيين ، أما أهم مَنْ كَتَبَ عَنْ السِّيرة النبَّوية من الفرنسيين

---

(4) ينظر: محمد فتح الله الزيادي : " مدارس الاستشراق"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، ع 3،(طرابلس، 1986م) ، ص 289.

(5) ينظر: صابر طعمة : أخطار الغزو الفكري على العلم الإسلامي ، ص 74.

(1) ينظر :ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية ،1\1\ 119.

(2) ينظر :بسام داود عجك ، التراث الإسلامي والاستشراق ، ص 168.

(3) ينظر:ساسي سالم الحاج : المرجع السابق ، 1\1\ 120.

(4) ينظر:عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، ص 52، 53.

فهو **هنري لامانس** وقد تحامل في كتاباته على السِّيرة النبويَّة تحاملاً شديداً ، ودفعه تعصبه الأعمى إلى الافتراء على الإسلام([1]).

2- المدرسة الإيطالية :

كان للمراكز العلمية في جامعة بولونيا عام(469هـ/ 1076م) ، ونابولي عام(621هـ/ 1224م) ، ثم جامعات مسيينا وروما وفلورنسا ، ثم الجامعة الجريجورية التي اعتنت بصورةٍ خاصَّة بالدِّراسات الإسلامية ([2])، أثرها الكبير في نقل التُّراث الإسلامي وترجمته ، ثم أنشأ البابا **غريغوريوس الثالث عشر** ، الكلية المارونية عام(992 هـ/1584م) ، واهتمت بتدريس اللُّغات الشَّرقية ، وفي عام(1033هـ/ 1623م)، كما أسس الكردينال **دي ميتشي** مدرسة اللغات الشرقية في فلورنسا، وتأسَّستْ معاهد للدراسات الشرقية منها : المعهد الشرقي الذي تأسس عام(1339هـ/ 1920م) ، واهتم بصفة خاصة بالشرق الإسلامي ([3]) ،بالإضافة إلى المكتبات المتخصِّصة بالدِّراسات الشَّرقية ، كالمكتبة الفاتيكانية ، التي تضم نوادر المخطوطات العربية والإسلامية ([4])، والمكتبة البروزيانية التي تضم ألف وأربعمائة مجلد عربي ، ومكتبة بولونيا التي تضم 450 مخطوط شرقي وغيرها ([5]).

ألَّف المستشرقون الإيطاليَّون في جميعِ مجالات الدِّراسات الشَّرقيَّة والإسلاميَّة ، فمنهمْ مَنْ كتبَ في اللُّغةِ ، ومنهم مَنْ كتبَ في التَّاريخِ ، ويُعدُّ **رمبولدي G.B.Rampoldi** (1175-1252هـ/ 1761- 1836م) ، أوَّل مَنْ عُنِيَ بالتَّاريخِ الإسلاميّ ،و اشتهر بكتاب ''حوليات إسلامية''، وهو كتابٌ ضخمٌ يقعٌ في اثنا عشر مجلداً ، ظهر في ميلانو بين عامي (1238-1242هـ/ 1822-1826م)، وفيه سَرَدَ الأحداث التَّاريخيَّة الإسلاميَّة على نظام الحوليَّات ، وكان ذا نزعة عقلية ، جعلته مُتحرراً مِنْ الأحكام السابقة المُغرضة عَنْ الإسلام ، ولذلك كتبَ عَنْ حياة النبَّي ورسالته دونَ تحامل سابق([6]).

---

(5) ينظر: المرجع نفسه ، ص 184، 185.
(1) ينظر: ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية ، 1/1/ 131 .
(2) ينظر:محمد فتح الله الزيادي : مدارس الاستشراق، ص 288
(3) ينظر:ميشال جحا : الدراسات العربية والإسلامية في أوربا ، ص 97.
(4) ينظر:ساسي سالم الحاج : المرجع السابق ، 1/1/ 132.
(5) ينظر: عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، ص 46- 47.

والاستشراق الإيطالي كغيره من مدارس الاستشراق الأخرى قد انبعث واستمر لأهداف دينيَّة وسياسيَّة واستعماريَّة ، ومن المستشرقين الطليان ، الذين ساهموا في توطئةِ الاحتلالِ الاستعماريّ لليبيا ، مثل **باولو ديللا شيلا** الذي فاجأته الحرب الإيطالية على ليبيا هو وبعثته في فزان ، وكان يُساهم في إعطاء المعلومات اللازمة للاحتلال ([1])، كما ركَّز المستشرقون الإيطاليون في دراساتهم على ليبيا ([2])،و على الدِّراسات العربيَّة والإسلاميَّة في الشَّرق الأدنى وشمال أفريقيا ، وأفريقيا الشرقيَّة التي احتلتها إيطاليا كالحبشة وإريتريا والصومال ([3]).

3- المدرسة الألمانية:-

اهتم الباحثُون الألمان بالدِّراسات العربيَّة الإسلاميَّة مُنْذُ عهدٍ مبكِّرٍ، وقدْ تمَّيز المستشرقونَ الألمان بالجدِّيةِ في البحثِ حيثُ أظهروا اهتماماً علميَّاً جادّاً بالإسلام ،في وقتٍ مبكرٍ عَنْ غيرها مِنَ المدارسِ الاستشراقية الأوروبيَّة،والسِّمةِ الغالبةِ على الاستشراق الألماني،هي تركيزه على نشر التُّراث الإسلامي، بدرجةٍ يستحيلُ معها أنْ يخرج مَجْمَعٌ عِلميٌّ ما أخرجهُ مستشرقٌ واحدٌ ([4]).

والجدير بالذِّكر أنَّ أوَّلُ مَنْ عُنِيَ بتدريس اللُّغة العربيَّة من الألمان هو المستشرق **كرستيان Christian: Fridrich Seybold**(1129-1188هـ/ 1716- 1774م) عندما وضع كتاباً لتعليم الحروف العربية وكيفية كتابتها ([5]).

اتَّصفَ المُستشرقون الألمان بالتفاني في العمل والصَّبر والمُثابرة ، فكان منهم من فقد بصره مثل **وستفنلدH. F. Wustenfeld** ، ومنهم مَنْ أفنى عمره باحثاً ومنقباً ودارساً مثل: **يُوهان رايسكهJohann Jacob Reiske** ، الذي سُمِّي بشهيد الأدب العربي ، ومِنْ أشهر المستشرقين الألمان كذلك، كارل بروكلمان **Carl Brocklma** (1284-1376هـ/ 1867-

---

(6) ينظر:ساسي سالم الحاج : المرجع السابق ، 1\1\ 135.

(7) كتب أنجيلو دوكاتي (العرب والبربر في ليبيا) عام1933م ، وفرانسيسكو بيجوينو (لغة البربر) ، و(نماذج من علم النفس عند العرب والبربر) ، و(شعب طرابلس)، و(سكان نفوسة) ،و(متفرقات عربية وبربرية) ، و(قواعد علم نفوسة) ، و(الإسلام في شمال أفريقيا) ، و(العرب والبربر في ليبيا) ، و(الكتابات البربرية في الصحراء وليبيا) ويلاحظ تركيز تلك الموضوعات على= =العرب والبربر في ليبيا ، والغرض من ذلك واضح وهو دس الشقاق بينهما لتسقط ليبيا لقمة سهلة في أيدي الطليان ، واستمرت هذه السياسة بعد انحسار المد الاستعماري لليبيا عام1915م فكتب اغسطينو (سكان ليبيا) = و(سكان برقة) ، وهو يهدف كذلك إلى التفرقة ومنهم المستشرقة بانتا Penetta التي كان من آثارها= =(تقاليد وعادات شعبية من ليبيا) ، و(العادات الشعبية في بنغازي) ، (الأمثال العربية في بنغازي) ، ونشرت في حوليات المعهد الشرقي في نابولي (دراسات حول الطب والصيدلة في ليبيا وبرقة المجهولة) ، ومنهم شيربللا الذي كتب عن (مدارس القرآن في ليبيا)، و(رسالة في أعياد المسلمين). في طرابلس . عن: ساسي سالم الحاج : المرجع السابق ، 1\1\ 135، 136.

(1) ينظر:المرجع نفسه، 1\1\ 136.

(2) ينظر :محمد فتح الله الزيادي : "مدارس الاستشراق" ، ص 287.

(3) ينظر:ميشال جحا : الدراسات العربية والإسلامية في أوربا ، ص 185.

1956م) ،اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي ولهُ في هذا المجال كتابٌ مشهورٌ: (تاريخ الشعوب الإسلامية) ولكِنَّه مليء بالمغالطات والافتراءات على الإسلام ([1]).

4- المدرسة الأمريكية

سعى الاستشراق الأمريكي إلى أخذ حصَّته في مجال الدِّراسات الاستشراقية ،الإسلامية منها على وجه الخصوص ، فتأسست الجمعية الشرقية في الولايات المتحدة عام (1258هـ/1842م)، وأرسلت باحثيها إلى العالم العربي الإسلامي، وحرصت بعض الجامعات الأمريكية أن تنال نصيبها من المخطوطات الإسلامية فاشترت جامعة برنستون Princeton كمية من المخطوطات حتى أصبحت تضم ثاني أكبر مجموعة مخطوطات إسلامية([2])،كما أُنشأت المدارس التنصيرية التي كانت تهدف إلى تنشئة أجيال من أبناء المسلمين وإعدادهم إعداداً خاصاً على التعايش مع الغرب بل و قبول الغرب والإعجاب به . فقد وصلت، في عام(1307هـ/ 1889م)إلى البصرة بعثة تنصيرية برئاسة المستشرق الشَّهير **صموئيل زويمر**، واستمرتْ هذه البعثة حتى عام(1393هـ/ 1973م) ،وأُنشأت بعض الجمعيات التنصيرية الأمريكية في عام(1300هـ/ 1882م) مثل:(مدرسة ثانوية في أزمير بتركيا) ، التي انضمت إلى عضوية المجلس الأمريكي للإرساليات عام(1320هـ/ 1902م) ،وأطلق عليها(كلية أزمير الدولية) ،ثم انتقلت إلى بيروت في عام(1355هـ/ 1936م) ؛ لتكون القسم التحضيري في الجامعة الأمريكية([3]).

شهد الاستشراق الأمريكي نهضة شاملة بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري /العشرين الميلادي ، ووجد الأمريكيون أنهم في حاجة إلى عددٍ كبيرٍ مِنَ المتخصِّصين في شؤون الشَّرق الأوسط، فعملت الحكومة الأمريكية على تشجيع الجامعات على افتتاح أقسام الدِّراسات العربيَّة الإسلاميَّة، واستقدم لذلك خبراء في هذا المجال مِنَ الجامعات الأوروبية،ومِنَ الدِّول العربية ([4]) ،وتميَّز الاستشراق الأمريكي باهتمامه الخاصِّ بالحركات الإسلامية (

(4) ينظر: محمد فتح الله الزيادي : المرجع السابق ، ص 285.
(1) ينظر:محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية ،ص45-46
(2) ينظر: المرجع نفسه ،ص45-46
(3) استعانت الجامعات الأمريكية بالعديد من العرب والشرقيين لتدريس اللغة العربي مثل : شارل مالك ، وجورج مقدسي ، وجورج حوراني ، وعزيز عطية ، وإيلي سالم ، ومنهم من تجنس بالجنسية الأمريكية مثل : فليب حتي ، وعفيف طنسون وغيرهم ، بالإضافة إلى المستشرقين من البلدان الأخرى ، خاصة بريطانيا ، التي قدم منها : هاملتون جب ، و جوستاف فون جرونباوم .عن :ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية ،1\1\ 177 . ينظر أيضاً، نجيب العقيقي: المستشرقون ، 981/3.

الأصولية)، وقد عُقدتْ العديد مِنَ المؤتمرات ؛ لمناقشةِ هذا الموضوع، منها :مؤتمر:(الأصولية والسياسة العامة وصياغة العالم الجديد)([1]).

مِنْ أشَّهر المستشرقين الأمريكان : **دنكان بلاك ماكدونالد Dunckan Black MacDonald** (1280-1362 هـ/ 1863م-1943م) ، الذي كَتَبَ : ''عِلمُ الكلاَّم في الإسلامِ ''، و''الدين والحياة في الإسلام'' ، و''عرض المسيحية للمسلمين '' ([2]).

5- المدرسة الهولندية:

كغيره ، انطلق الاستشراق الهولندي مدفوعاً بالرُّوح التنصيريَّةِ، ويدور في الفلك البابوي الكاثوليكي([3])، وقد اهتم المستشرقون الهولنديون، باللُّغة العربيَّة ومعاجمها كما اهتموا بتحقيق النُّصوص العربية، ومِنْ أبرز المستشرقين الهولنديين **سنوك هورخرونيه Snouk Hurgronje**(1274- 1355 هـ/1857م-1936م) ، ومما يميز الاستشراق الهولندي وجود مؤسسة برل ،التي تولت طباعة دائرة المعارف الإسلامية ونشرها في طبعتيها الأولى والثانية، كما تقوم هذه المؤسسة بطباعة كثير من الكتب حول الإسلام والمسلمين ([4]).

6- المدرسة الإنجليزية:

لقد انطلق الاستشراق البريطاني من دوافع ذاتية تمثلت في اتِّصال العلماء البريطانيين بالأندلس وصقلية لتعلم اللغة العربية ، والاطلاع على الفلسفة اليونانية من خلال ما ترجم منها إلى العربية ، ثم تطورت هذه الدوافع بعد ذلك إلى دوافع دينية كان الهدف منها تنشيط حركة الإرساليات التبشيرية بتعليم اللغة العربية وبعض العلوم الدينية ، ثم ظهرت الدوافع الاستعمارية([5]).

كان الاستشراق الإنجليزي بين أول وأوسع ما عرفته أوروبا من استشراق منذ اتصال بريطانيا بالشرقين الأوسط والأقصى اتصالاً ثقافياً وعسكرياً واقتصادياً واستعمارياً([6]) ، ولقد أنشئت أول أقسام اللغة العربية في الجامعات البريطانية عام(1244هـ/ 1828م) ،ثم انتشرت

(4) يطالع :مازن مطبقاني : بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر (1999م) .htt:llwww.scribd.com، 7 / 8/ 2008م.
(5) ينظر: نجيب العقيقي : المستشرقون ، 3\ 136-137.
(1) ينظر :قاسم السامرائي : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، ص 103
(2) ينظر: المرجع نفسه ، ص 103
(3) ينظر: ميشال جحا : الدراسات العربية والإسلامية في أوربا ، ص 30.
(4) ينظر:نجيب العقيقي : المرجع السابق ، 2 /7.

المراكز الاستشراقية في الكثير من الجامعات البريطانية ، وأنشئت كراسي اللغات الشرقية التابعة لبريطانيا في مستعمراتها في الشرق([1]) ،واهتم المستشرقون البريطانيون بجمع المخطوطات ، وأنشئت لها المكتبات الخاصة والعامة، مثل مكتبة المتحف البريطاني ، التي يحتوي فهرس مخطوطاتها المصنف في جزئين على أكثر من أربعة آلاف مخطوطة عربية([2])،كما أنشأوا الجمعيات الآسيوية ، والمجلات الشرقية ، مثل الجمعية الملكية الآسيوية(1239هـ/ 1823م) ، والتي أصدرت مجلة باسمها (1250 هـ/1834م) ، و جمعية الهند الشرقية في لندن (1283 هـ/1866م) ، والتي أصدرت مجلة باسمها عام (1304هـ- 1886م) ([3])،كما عملوا على إصدار ''الموسوعة البريطانية Encyclopedia Britannica'' عام (1182هـ- 1768م) ، والتي تُعد أول وأشهر الموسوعات باللغة الإنجليزية المستمرة حتى اليوم، ومنذ ذلك الوقت خرج منها خمس عشرة طبعة ([4]).

برز العديد من المستشرقين البريطانيين ، وتخصص كل منهم في مجال فمنهم من اهتم بتحقيق المخطوطات ونشرها ، ومنهم من اهتم باللغة العربية وآدابها ،ومن كتب في التاريخ والاجتماع والسياسة والطب والجغرافية والآثار وغيرها، ومِنْ الرَّعيل الأوَّل من المستشرقين الإنجليز : **جورج سيلGeorge Sale** (1109 -1149 هـ/1697م-1736م) الذي كانت أبرز أعماله ترجمته لمعاني القرآن الكريم التي قدم لها بمقدمة احتوت على كثير من الافتراءات والشبهات، وقد ذكر في تلك الترجمة :

"أن الله قد أرسل محمداً عقاباً للكنيسة المسيحية التي لم تكن تعش بموجب الديانة البالغة القداسة التي تسلموها ([5]).

ومن بين المستشرقين الإنجليز :**سيمون أوكلي**(1089- 1133هـ/ 1678-1720)،الذي نشر كتاب'' تاريخ المسلمين العرب '' ،والذي أكد فيه أنه بفضل صفات النبي **(محمد)** المتميزة ، وإيمانه الراسخ بأنه أرسل لإعادة الديانة الحقيقية ، وحماسته وحصافته وذكائه الخارق ، ومقدرته على إصدار الأحكام ، وطبعه السمح ، وتصرفه المُهَّذب المستحب، قد حمل العرب إلى أوربا أشياء ذات أهمية عالمية أهمها ، الخوف من الله والتحكم بالشهوات،والإدراك الذكي

(5) ينظر: ألبرت حوراني : الإسلام في الفكر الأوربي ، ص 22
(6) ينظر:ميشال جحا : الدراسات العربية والإسلامية في أوربا ، ص 75-76.
(1) ينظر: نجيب العقيقي : المستشرقون ،2\ 36، 37.
(2) وليد بن بليهش العمرى :السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية:دراسة تحليلة لما كتب تحت مادة (محمد : النبي ورسالته) ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (المدينة المنورة ، 1999م) ، ص 3.
(3) ينظر:المرجع نفسه ، ص 23- نقلاً عن : .Also see: G.Sale : The Koran (london ,1734) P 38

للكون ، والسلوك الرصين ([1])،كما اشتهر كل من : **وليم موير ، و ديفيد صموئيل مرجليوث، ومنتيجمري وات** ، بما كتبوه عن السيرة النبوية ،كذلك **توماس وولكر آرنولد Sir Thomas Walker Arnold** (1281-1349 هـ- 1864م-1930م)،صاحب كتاب ''الدعوة إلى الإسلام ''، وكتاب ''حول العقيدة الإسلامية ''وشارك في تحرير كتاب''تراث الإسلام'' في طبعته الأولى ،كما اهتم باللغة بتاريخ الإسلام وانتشاره **سير هاملتون جيبSir Hamilton R. A. Gibb** ،و من كتبه''الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى'' ومن المستشرقات الإنجليزيات ، نذكر **مرجريت سميث Margaret Smith**([2]).

لقد حاول المستشرقون الإنجليز خلال القرن الثالث عشر الهجري /التاسع عشر الميلادي ، أن يستخدموا حياة محمد ورسالته وسيلة غير مباشرة لانتقاد المسيحية ، بحيث ينظر إلى **(محمد)** بأنه يبشر بدين أكثر عقلانية ([3])،فقد اعترف **فتوماس كارليل Carlyle,Thomas** (1210-1299هـ/1795-1881م) **بنبوءة محمد** ، وامتدح رأيه **ف.د.موريس** أحد كبار اللاهوتيين في إنجلترا ، ضمن سلسلة المحاضرات التي ألقيت ما بين (1261-1263 هـ/1845-1846م)، وتضمنها كتابه '' ديانات العالم وعلاقتها بالمسيحية'' ، والتي أدت إلى طرده من منصبه ([4]).

تاسعاً / تراجم مختصرة للمستشرقين الإنجليز ، موضوعُ الدِّراسة:

1- وليم موير ، Sir William Muir, (1235-1323 هـ/1819- 1905م):

مستشرق ومبشر وموظف إداري تعلم الحقوق في جامعتي جلاسكو وأدنبرة، عين في الإدارة المدنية لشركة الهند الشرقية في أقرا بالهند منذ عام(1264هـ/ 1847م) ([5])، وأثناء ذلك تعلم العربية وعني بالتاريخ الإسلامي ، ثم أُختير رئيساً لجامعة أدنبرة (1303 -1320 هـ/ 1885-1902 م) ([6]).

---

(4) ينظر: ألبرت حوراني : الإسلام في الفكر الأوربي ، ص 23- عن : Symon Okly :The History of saracens ,2nd edn (london ,1718) ,vol.II,p .ii.

(1) ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون ، 3\ 93.

(2) ينظر: المرجع نفسه ، ص 24، 25.

(3) See: F.Maurice : The Religions of The world and the world and their Relation with Christianity(london, 1847).pp 45,56.

(4) ينظر:يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ، ص 182.

(5) ينظر: نجيب العقيقي: المرجع السابق ، 2\ 53.

كان شديد التعصب للمسيحية ([1])، وكان مقتنعاً بحكم منبته في المسيحية الأرثوذكسية بأن الرسول – صلى الله عليه وسلم - قد خر صريع غوايات الشيطان ، كما كان بعيداً كل البعد عن تثمين الحضارة العربية الإسلامية وأهميتها بالنسبة لأوروبا ([2])،وقد نال لقب سير مكافأة له على تعصبه ضد الإسلام ، وجهوده المستميتة لتشويه صورة الرسول محمد-صلى الله عليه وسلم ([3]).

نشر عدة مقالات في مجلة (كلكتا) Calculta Review بين عامي (1280 -1281 هـ/1863-1864م)، تناول فيها تاريخ العرب قبل الإسلام ، ومصادر السيرة النبوية ، وحياة النبي حتى الهجرة ، وكلها كتبها بروح متعصبة خالية من الموضوعية، جمعها كلها في كتاب ''حياة محمد والتاريخ الإسلامي The Life of Mohamed and the Hisyory of Islam ''، الذي صدر في لندن ،في أربعة مجلدات ، خلال المدة من (1276-1281 هـ/ 1859-1864م) وهو من المراجع التي تعتمد عليها الجامعات الإنجليزية والهندية ، كما صدرت منه طبعة جديدة في أدنبرة عام (1342هـ/ 1923م) ،كما كتب **موير** عن الخلافة كتاب ''حوليات الخلافة ، صعودها وانحدارها وسقوطها'' ، تناول فيه الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين حتَّى سُقوط الدولة الأموية في 470 صفحة عام(1301هـ/ 1883م) ، وطُبع ثانيةً عام(1307هـ/1889م)،وعام (1310هـ/ 1892م)،كما كتب ''دولة المماليك في مصر''،وكتب عدة مقالات عن شُعراء العرب ([4]).

عُرف موير بتحامله الشديد على الإسلام ، في كتابيه '' القرآن ، تأليفه، وتعاليمه'' الذي صدر عام(1294 هـ/1877م) ،و '' الجدل مع الإسلام '' الذي صدر عام(1315هـ/ 1897م) ، وقد توفي موير في أدنبرة (1323هـ/ 1905م)([5]).

2- ديفيد صموئيل مرجليوث David Samuel Margoliouth (1275 -1359 هـ/1858م-1940م)

(6) ينظر :عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، ص 203.
(7) ينظر:يوهان فوك : المرجع السابق ، ص 182.
(1) أنور محمود زناتي : معجم إفتراءات الغرب على الإسلام ، ص 194، http\scribd.com,13.5.2009.
(2) ينظر: عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، ص 203 ، وكذلك :عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ،ص 379
(3) ينظر: عبد الحميد صالح حمدان : المرجع السابق ، ص 203.

تخرج باللغات الشرقية من جامعة أكسفورد ، وأتقن العربية وكتب بها بسلاسة ، وعين أستاذاً لها في جامعة أكسفورد عام(1307هـ/ 1889م) ، فعُد من أشهر أساتذتها ، وترأس تحرير مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ، ونشر فيها العديد من البحوث، وأنتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق ، والمجمع اللغوي البريطاني ، والجمعية الشرقية الألمانية وغيرها ([1]).

اهتم بالتراث العربي فنشر كتاب ''معجم الأدباء لياقوت الحموي''، وكتاب ''رسائل أبي العلاء المعري'' وغير ذلك ([2]).

يعد **مرجليوث** في نظر كثير من الباحثين من أخبث المستشرقين، ومن أشدهم بغضا للإسلام ورسوله ،فقد أثار الكثير من الافتراءات والأكاذيب حولهما ([3])، إذ كان يعتمد في معظم دراساته على الروايات الضعيفة([4]) ،وهو من الداعين إلى اعتماد اللغة العامية المحكية المحلية في الكتابة والنشر، كما دعا إلى اعتماد الحرف اللاتيني بدل الحرف العربي ([5])،ومن أبرز أعماله في التاريخ الإسلامي كتاب'' تاريخ القرن الرابع الهجري'' الذي كتبه بالتعاون مع **هنري فريديرك أميدروز** في السنوات(1271-1336هـ/1854-1917م) ، والذي كانت خاتمته المجلد السابع '' أفول الخلافة العباسية'' عام(1339-1340هـ/ 1920- 1921م)([6])، كما أصدر كتاب ''القاهرة والقدس ودمشق ، ثلاث عواصم'' ، وأيضاً ''سلاطين مصر'' في 301 صفحة عام(1325 هـ/1907م) ، وترجم الجزء الرابع من ''تاريخ التمدن الإسلامي'' **لجرجي زيدان** الذي نشرته لجنة جب التذكارية ، ليدن – لندن(1325 هـ/1907م) ، كما أصدر العديد من الكتب منها :''الإسلام''عام(1330هـ/ 1911م)و''الثقافة الإسلامية'' عام(1348هـ/1929م) ،و''المسلمون'' عام(1340هـ/ 1921م) ، و''العلاقات بين العرب واليهود'' عام(1341هـ/ 1922م) ، و''قراءة المؤرخين العرب ''عام(1357هـ/ 1938م) ، أما ما يخص السيرة النبوية فقد كتب : ''محمد ونهضة الإسلام'' في 481 صفحة ، الذي صدر في نيويورك عام(1323هـ/ 1905م)([7]).

---

(1) ينظر:عبد الحميد صالح حمدان طبقات المستشرقين ، ص 199.
(2) ينظر:نجيب العقيقي: المستشرقون ،2\ 77.
(3) ينظر:صابر طعمة : أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي ، ص 85.
(4) ينظر:مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ، ص41،وكذلك : محمد ياسين عريبي·:"الخلفية الدينية للاستشراق "، مجلة رسالة الجهاد، ع84، س الثامنة،(طرابلس ، 1990م) ، 95 ·
(5) ينظر: نجيب العقيقي، المرجع السابق، ج3، ص78.
(6) ينظر:يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ، ص286.
(7) ينظر: صابر طعمة : أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي ، ص 85.

ومن مباحثه وتحقيقاته وترجماته التي نشرها في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية في الفترة بين(1326 ه/1908م -1352ه/ 1933م) : "تاريخ الأمويين والعباسيين لجرجي زيدان"، و"سيرة بعض الصوفيين" ، و"أصول الشعر الجاهلي " ، و"القرآن" ، و"في العالم الإسلامي الحديث" ، و"الاعتبارات التاريخية في الخلافة" ، و"الخلافة" ، و"نصوص القرآن" ، و"هاروت وماروت" ، و"جنوب الجزيرة العربية والإسلام" ، و"الأفكار والمثل في الإسلام الحديث" ، و"الزندقة في الإسلام والمسيحية" ، وله أيضاً عدة مقلات في المجلة الآسيوية الفرنسية وفي مجلة تاريخ الهند ، ومجلة إسلاميكا([1]).

3- مونيجمري وات Montgomery watt

عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرة ([2]) ولد في كريس فايف عام:(1327ه/ 1909م)، والده القسيس **أندرو وات**، وقد درس الابن في كل من أكاديمية لارخ خلال السنوام: (1333-1338ه/ 1914-1919م) ،وفي كلية جورج واتسون بإدنبرة وجامعة أدنبره خلال السنوام:(1346-1349ه/1927م-1930م)،وكلية باليول بأكسفورد خلال الفترة:(1349-1352ه/1930م-1933م) وجامعة جينا بألمانيا عام(1352ه/1933م)،وبجامعة أكسفورد وجامعة أدنبرة في الفترة من:(1357 ه/1938م إلى1359 ه/1939م) ومن (1359 ه/ 1940م إلى1363ه/ 1943م) على التوالي، عمل رئيساً لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة أدنبره في الفترة من(1367-1399ه/ 1947-1979م)،نال درجة الأستاذية عام(1384ه/ 1964م) ، ووُجهت له الدعوة للعمل أستاذاً زائراً في كل من الجامعات الآتية: جامعة تورنتو في الفترة(1383-1398ه/ 1963-1978م)، وكلية فرنسا في باريس عام(1390ه/ 1970م) ، وجامعة جورج تاون بواشنطن خلال الفترة (1398-1399ه/ 1978-،1979م)، وعمل راعياً لعدة كنائس في لندن وفي أدنبرة و تخصص في الإسلام لدى القس الأنجليكاني في القدس وقد تقاعد منذ فترة قريبة، وعاد راعياً لتلك الكنائس([3]) .

يعتبر من أشهر المستشرقين الغربيين ، وبخاصة فيما يتعلق بالسيرة النبوية ([4]) ،ومن أهم كتبه ''تاريخ الجزيرة العربية '' الذي صدر عام(1346 ه/1927م)، والجز الأول من كتابه الخاص بالسيرة النبوية والذي حمل عنوان '' محمد في مكة ''، صدر في لندن عام(1376ه/

(1) ينظر:نجيب العقيقي : المستشرقون ، 3\77- 79. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ، ص379
(2) ينظر:نجيب العقيقي : المرجع السابق ، 3\ 132.
(3) ينظر: نجيب العقيقي : المستشرقون ، 3\ 132.
(4) ينظر: حسين أحمد أمين : " تأملات في تطور كتابة سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم - في الشرق والغرب " ، مجلة العربي ، ع 215، (الكويت ، 1976م)، ص 112- 113.

1956م)، ثم ألحق به الجزء الثاني ''محمد في المدينة'' عام(1378هـ/ 1958م)، وأعيد طبعه في عام(1397هـ/ 1977م)، وهما معالجة شاملة لكتابه المختصر ''محمد: نبي ورجل دولة '' الذي صدر عام(1381هـ/ 1961م) وأعيد إصداره في عام (1394هـ/ 1974م) بواسطة المؤلف ، كما كتب ''ما هو الإسلام''([1]) ،و''الإسلام والجماعة الموحدة'' عام(1381هـ/ 1961م) ،كما أصدر العديد من المؤلفات الأخرى نذكر منها : ''تاريخ أسبانيا ''، بمعاونة مستشرق آخر هو (كاكيا) جامعة أدنبرة عام(1385 هـ/1965م)، وقد ترجم إلى الفرنسية والأسبانية والروسية ، و''من هو العربي؟'' و''الفلسفة الإسلامية والعقيدة'' و''الفكر السياسي الإسلامي'' و''تأثير الإسلام في أوروبا القرون الوسطى'' و''الأصولية الإسلامية والتحديث'' و''العلاقات الإسلامية النصرانية'' ومن آخر كتبه ''حقيقة الدين في عصرنا''عام(1416هـ/ 1996م) وكتاب '' الفترة التكوينية للفكر الإسلامي''عام(1418 هـ/ 1998م و''موجز تاريخ الإسلام'' عام(1415هـ/ 1995م) ، كما نشر العديد من المقالات منها:"اللغة العربية" في صحيفة الجمعية الأمريكية الشرقية عام(1345هـ/ 1926م)، و"عوامل انتشار الإسلام " في مجلة الفصول الإسلامية عام(1375هـ/ 1955م) و"الجدل الديني" في مجلة عالم الإسلام عام(1381هـ/ 1961م)([2]).

(1) ترجم الأستاذ محمد فتح الله الزيادي الفصل الأول من هذا الكتاب (طبيعة الرؤية المحمدية) ، ونشر في مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، ع9، (طرابلس ، 1992م)، ص 625- 637.

(2) ينظر: نجيب العقيقي : المستشرقون ، 2\ 132.

الفصل الثاني
تاريخ تدوين السيرة النبوية

أولاً: أسباب اهتمام المسلمين بتدوين السيرة النبوية ----------70
ثانياً: تاريخ تدوين السيرة النبوية عند المسلمين----------71
ثالثاً : مصادر السيرة النبوية عند المسلمين----------79
8. القرآن الكريم ----------79
9. كتب الحديث----------80
10.كتب الشمائل----------81
11.كتب الدلائل----------81
12.كتب المغازي والسير----------81
13.كتب الأدب واللغة----------82
14.كتب التاريخ العام----------82
رابعاً/ منهجية المؤرخين المسلمين في تدوين السيرة النبوية----------83
خامساً / أسباب اهتمام المستشرقين بالسيرة النبوية----------84
سادساً/ أصناف المستشرقين ----------86
- الصنف الأول : المتحاملون المتعصبون----------86
- الصنف الثاني : الكتاب المنصفون----------86
- الصنف الثالث :الكتاب الموضوعيون----------88
سابعاً/ مصادر المستشرقون----------88
6. ترجمة معاني القرآن----------89
7. أول معجم عربي----------90
8. كتاب مختصر تاريخ الدول لأبي الفرج غريغوري ، ----------90
9. المصادر العربية----------91
10.المصادر غير العربية----------92
ثامناً/ مناهج المستشرقين في دراسة التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية----------94
7. منظور الرؤية المسيحية----------94
8. سيطرة النظرة الغربية----------97
9. التفسير المادي للتاريخ----------98
10.استخدام لغة التحاشي----------99
11.منهج الانتقاء الكيفي واعتماد الضعيف والشاذ----------100

12.منهج البناء والهدم----------101
تاسعاً/ أثر فكر القرون الوسطى في الكتابات الحديثة حول السيرة النبوية----------102

تاريخُ تدوينِ السِّيرة النَّبويَّة

لقدْ نالتْ شخصيَّةُ الرَّسولِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - مِنْ عناية العُلماء، قديماً وحديثاً، مُسلمينَ وغيرِ مُسلمين ،ما لم تنله أية شخصيَّةٌ تاريخيَّةٌ أخرى على الإطلاق ، لدرجةِ يصعبُ معها التَّنبؤ بحجمِ مَا كُتب أو قيلَ في هذا الشَّأن ([1])، وقد صنَّف المؤرِّخون بعامَّةً ، في كتابة حياته – صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - الكثيرَ مِنَ المؤلَّفاتِ ،كانتْ لِكلٍّ منها أسلوبها وطريقتها في عرضِ الأحداثِ بحسبِ المراحلِ التَّاريخيَّة الَّتي مرَّ بها التَّدوين .

وقد رأيتُ أهمية إدراج فصلٍ عن تاريخ تدوين السِّيرة النَّبويَّة الشَّريفة ، عندَ المسلمين و عند غيرهم ؛ لتوضيح المصادر التي اعتمد عليها المستشرقون، والمنهج الَّذي ساروا عليه، في التَّأريخ لحياة الرَّسول – صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ – ؛ لمعرفة مدى موضوعيتهم التي وصفوا بها أنفسهم ، أو وصفهم بها بعض الباحثين المسلمين ، وسأحاول أولاً أنْ أوضح أسباب اهتمام المؤرِّخين المسلمين بتدوين السِّيرة النَّبويَّة ، ومِنْ ثُمَّ سأعطي فكرةً موجزةً عن المصادر التي استقى منها المؤرِّخون المسلمون معلوماتهم عن السِّيرة ، ثم سأوضح المراحل التَّاريخية التي مرَّ بها تدوين السِّيرة في التَّاريخ الإسلاميّ ، مع نبذةٍ مختصرةٍ عَنْ أوائل كُتَّابِ السِّير والمغازي ، وسأعطي فكرةً عَنْ منهج المسلمين في كتابة السِّيرة النَّبويَّة .

ومن جانبٍ آخر ، سأحاولُ أنْ أوضح أسباب اهتمام المستشرقين بالكتابة عَنْ حياة الرَّسول – صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، و أصناف المستشرقين الذين كتبوا عنها ، وصولاً إلى المصادر التي اعتمد عليها المستشرقون والمنهج الذي ساروا عليه في أبحاثهم حول السِّيرة النَّبويَّة الشَّريفة .

أولاً /أسباب اهتمام المسلمين بتدوين السيرة النبوية:

حظيت السِّيرة النَّبويَّة على مَرِ السِّنين ،بكثيرٍ مِنَ العناية والاهتمام مِنْ قِبل المؤرخين المسلمين ؛ وذلك للأسباب الآتية :

---

(1) ينظر: عمر لطفي العالم : بصمات يهودية على حركة الاستشراق ، ص 55.

إنَّ دراسة حياة الرَّسول المثالية في كُلِّ جوانبها ، متعةٌ روحيةٌوذهنيةٌ؛ لأنَّ الإنسانَ يبحثُ دائماً عن المثل الأعلى والقدوة الحسنة([1])، وهي ليست أخباراً وأحداثاً تُنقل للعِلم فقط كباقي أخبار التَّاريخ، بل هي وسيلة للإقتداء بهدي النَّبي- صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - والتَّأسي به([2])، مصداقاً لقوله- سبحانه وتعالى- :**{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسنة لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}** ([3])،وقد رُويّ عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – أنه قال : **"لَمْ يَكُنِ النَّبِي فَاحِشاً وَلاَ مُتَفَاحَشّاً ، وَكَانَ يَقولُ : إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ احْسَنَكُمْ أَخْلاقا"**([4]) ،فحياته – صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ – كانت تجسيداً حياً لتعاليم الإسلام ، وهي وسيلةٌ عمليةٌ لِفهم القرآن ([5]).

(1) إنَّ السِّيرة النَّبويَّة أصحُّ سيرةٍ باقيةٍ مِنْ سير الأنبياء والمرسلين ، فقد أورد القرآن الكريم جوانب عديدةً منها، وتتبع المؤرِّخون المسلمون ما يتعلَّقُ بصاحبها -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - مُنذ زواج والديه حتَّى وفاته ، ولم يهملوا منها صغيرةً ولا كبيرةً **(**[6]).

(2) إنَّ دراسة السِّيرة النَّبويَّة ، تُوضِّح تطوُّر الدَّعوةِ الإسلاميَّة ، والمراحل الَّتي مرَّتْ بها ، والصُّعوباتِ الَّتي واجهتها ، وأسباب نجاحها ([7]).

(3) إن تدوين السيرة النبوية الشريفة وسيلةٌ لتزويد الخلفِ بتراثِ الإسلامِ ،والحرصِ على تمجيد الفتوح الإسلاميَّة([8]).

(4) ولعلَّ أهمَّ أسباب الاهتمام بالسِّيرة النَّبويَّة في العصر الحاضر على وجه الخصوص، هو ما لها مِنْ دورٍ رائدٍ ومُهمٍّ في جمع الأمة الإسلاميَّة،باعتبار أنَّها الجُزء التَّاريخي المشترك بينها جميعاً، على اختلاف ألوانها و ألسنتها وبلدانها ([9]).

ثانياً /تاريخ تدوين السِّيرة عند المسلمين:

---

(1) ينظر:عبد الشافي محمد عبد اللطيف : السيرة النبوية ، ص 18.
(2) ينظر: عبد العزيز الدوري: نشأة علم التاريخ ، (بيروت ، 1960م) ، ص 19-20.، أحمد أمين :ضحى الإسلام (القاهرة ، 1938م) 2\ 325.
(3) سورة الأحزاب ، الآية 21.
(4) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي – صلى الله عليه وسلم - رقم الحديث 3559.
(5) ينظر: فاروق حمادة : مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، دار الثقافة (الدار البيضاء ، 1980م) ، ص 13.
(6) ينظر: عبد الحميد الهرامة: "لماذا ندرس السيرة ؟"، ندوة السيرة النبوية ، جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس ، 1986م) ، ص 13.
(7) ينظر: فاروق حمادة : المرجع السابق ، ص 16.
(8) ينظر :محمد رجائي ريان : " علم التاريخ عند المسلمين وتطوره في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) " مجلة دراسات تاريخية ، ع 33، 34 ، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق ،العام العاشر ، (دمشق ، 1989م)، ص76.
(1) ينظر: عبد الحميد الهرامة: المرجع السابق ، ص 13.

بدأ الرَّسولُ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ -،في التَّبشيرِ بالقرآنِ الكريمِ ورسالة التَّوحيدِ سَّراً وجهراً ، وخشي أن يضيف الناس شيئاً من كلامه إلى القرآن أو يخلطوه به ، فنهى عن كتابة الحديث في بداية الأمر([1])، ويُروى عن **أبي سعيد الخدري**، عن الرسول– صلى الله عليه وسلم– قوله:

" لا تكتبوا عني غير القرآن ، ومن كتب شيئاً فليمحه" ([2])

ويبدو أن ذلك كان في بداية الأمر فقط ،فقد أباح في فترة لاحقة ، لأصحابه كتابة الحديث([3])،وقيل أن النهي خاص بمن يُخشى منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ ([4])، مستدلين بحديث آخر،عن **أبي هريرة**- رضي الله عنه - قال :

" قلت يا رسول الله : إني اسمع منك حديثاً كثيراً ، فأحب أن أحفظه فأنساه ، فقال الرسول : استعن بيمينك، وأومأ بيده للخط "([5])

وفي زمن الخلفاء الرَّاشدين (11- 40هـ/ 632- 660 م) ، لم تكُن هناك حاجةٌ لتسجيل أحداث السِّيرة ([6])؛ لاستغنائهم بالمشاهدة والحفظ ، ولانشغالهم بالغزوات والفتوحات([7])،إضافة إلى أن السواد الأعظم ، من المسلمين ، في صدر الإسلام ، كانوا لا يحسنون الكتابة، ولا القراءة ،وأن أدوات الكتابة كانت غير ميسورة ، وهذا ما أخَّر التَّدوين لفترةٍ غير قصيرةٍ ([8]) غير أنه لم يكد جيل الصَّحابة يختفي ، حتى ظهرت، في القرن الثَّاني الهجري / الثَّامن الميلادي([9]) ، الحاجة إلى تدوين السِّيرة النَّبويَّة ، فظهر جيلٌ من التَّابعين في المدينة المنورة ،من أبناء كبار الصَّحابة ، الَّذين أخذوا العلم عن آبائهم ، بل أنَّ منهم مَنْ كان على صلةٍ قريبةٍ ووثيقةٍ من البيت النَّبوي ([10]) .

هناك ما يشير إلى أن بداية تدوين الحديث كانت في عهد الخليفة الخامس **عمر بن عبد العزيز** (99- 101هـ/ 717- 719م) ، حيث تذكر المصادر أنه كتب إلى أهل الآفاق ؛ ليجمعوا

---

(2) ينظر :محمد بن محمد بن سليمان المقري : جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد ، تح: سليمان بن دريع العازمي ، مكتبة الرشد (الرياض ، 2005م) ، ص 68.، وأيضاً الخطيب البغدادي: تقييد العلم (دمشق ، 1949م) ، ص 33.

(3) رواه الترمذي باب العلم عن رسول الله ، ما جاء في كراهة كتابة العلم ، حديث رقم 2589.

(4) ينظر: محمود عبد الحليم : القرآن والنبي ، دار النصر للطباعة (ب م ، ب ت) ، ص 319-324

(5) 4 ينظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تح :عبد العزيز بن عبد الله بن باز وآخرون ، المكتبة السلفية ومطبعتها، ط 3، (القاهرة ، 1407هـ) ،1\ 251.

(6) رواه البخاري ،كتاب العلم ، باب حفظ العلم ، حديث رقم 119.

(7) ينظر:أحمد أمين: ضحى الإسلام ، (القاهرة ، 1983م)، ص 209.

(8) ينظر:عبد **الشافي** محمد عبد اللطيف ، السيرة النبوية ، ص 18- 20 .

(1) ينظر: حسين الحاج حسن : حضارة العرب في العصر العباسي ، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع (بيروت ، 1994م) ، ص 94.

(2) ينظر: محمد بن محمد أبو شهبة : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار الطباعة المحمدية ، الأزهر (القاهرة ، 1970م)ص 22.

(3) ينظر :عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، السيرة النبوية ، ص 18- 20 .

الحديث الشريف ، أما عهد المدونات الكبرى فقد بدأ على أيام الخليفة العباسي **المنصور** (136-158هـ/ 753-774م) ([1]).

تركّز اهتمام هؤلاء العلماء المسلمين في بداية الأمر على دراسة الحديث الشَّريف([2])، فقاموا بجمع الأحاديث النَّبوية الشَّريفة من الصَّحابة الذين كانوا على قيد الحياة في تلك الفترة،وتدوينها ليفسروا بها القرآن ، ويستنبطوا منها أحكام الدين([3]) ، وكان من هذه الأحاديث جملة وافرة تتعلق بحياة الرَّسول – صلى اللهُ عليه وسلَّمَ - والصَّحابة ، فجُمعت ، وكانت أساس كُتب المغازي والسِّير([4]) ، ويُعد القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ، أجلّ عصور الحديث وأسعدها ، فقد ظهر فيه كبار المحدثين وجهابذة المؤلفين وحُذاق الناقدين ([5]) ،وقد قسم المؤرخين والباحثون كتاب المغازي خلال القرون الثلاثة الأولى إلى ثلاث طبقات ([6])هي :

الطبقة الأولى ، ومنهم :

(1) أبان بن عثمان(101-105 هـ /652-720م) :هو ابن الخليفة **عثمان بن عفان** ، ولد في المدينة المنورة ، وتوفي فيها في خلافة يزيد **بن عبد الملك بن مروان** (101-105هـ/719- 723م) ، روى عن أبيه وغيره من كبار الصحابة ، كما تتلمذ على يديه كثيرون من كبار المحدثين والفقهاء ، أمثال : **الزهري**([7]).

اشتهر بمعرفة المغازي والسير معرفة دقيقة فوق شهرته في الفقه والحديث، وقام بأول محاولة لكتابة السيرة ([8])، ويبدو أن هذه المغازي التي رويت عن **أبان**، لم تكن إلا صحفاً فيها

---

(4) ينظر: محمد بيومي مهران : السيرة النبوية الشريفة ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، 1990م) ،1\ 32.

(5) See: Hamilton.A.R.Gibb: Studies On The Civilization Of Islam,The Beacon Press,(Boston,1962),P 146.

(6) ينظر: محمد بن محمد أبو شهبة : المرجع السابق ، ص22.

(7) ينظر: حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي عند العرب ، منشورات إقرأ ، ط2 ، (بيروت ، 1980م) ، ص 15.

(8) ينظر: محمد بيومي مهران :المرجع السابق 1\ 32.

(9) ينظر: السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهليةحتى سقوط الدولة الأموية)، دار النهضة العربية (بيروت ، 1986م) ، ص 696، .

(1) ينظر: محمد بن منيع ابن سعد الزهري : الطبقات الكبرى ، أعد فهارسها : رياض عبد الهادي ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، 1996م) ، 5\ 179.

(2) يُذكر أن سليمان بن عبد الملك ، الذي كان ولياً للعهد عام(82)، أمر أبان بن عثمان أن يكتب له سير الرسول ومغازيه ، فقال أبان : هي عندي قد أخذتها مصححة ممن أثق به ، فأمر بنسخها ، وأُلقي فيها إلى عشرة من الكتاب ، فكتبوها في رق ، فلما صارت إليه نظر فيها ، فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين ، وذكر الأنصار في بدر ، فقال : ما كنت أرى = =لهؤلاء القوم هذا الفضل ، فإما أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم ، وإما أن يكونوا ليس هكذا ، فقال أبان : أيها الأمير ،ما يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه ، أن نقول بالحق ، هم على ما وصفناه لك في كتابنا هذا، قال : ما حاجتي إلى أن أنسخ ذلك حتى أذكره لأمير المؤمنين لعله يخالفه ، فأمر بذلك الكتاب فحُرق. عن :محمد جاسم حمادي : "أثر دراسة التدوين والإسناد في الحديث على نشؤ وتطور الفكر التاريخي " مجلة المؤرخ العربي ، ع23، (بغداد ، 1983م) ، ص 277.

أحاديث عن حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأيامه ومغازيه([1]) ، و قد ضاعت ، ولم يأخذ عنها أحد من كُتَّاب السِّيرة المتأخِّرين([2]).

(2) عروة بن الزبير(26- 94 هـ/ 646-712م): ولد بالمدينة المنورة ، وكان من معاصري **أبان** ،ومن علماء المدينة وهو ابن الصحابي الجليل **الزبير بن العوام** ، أمه **اسماء بنت أبي بكر** ، وجدته **صفية بنت عبد المطلب** ، وخالته **عائشة بنت أبي بكر** ، وعمته **خديجة بنت خويلد** ([3]).

اشتهر بأنه من أكبر علماء السيرة والمغازي ،لم يقتصر على الرواية الشفهية ،التي استند فيها إلى روايات أهل بيته ، وبقية الصحابة المعاصرين للرسول- صلى الله عليه وسلم- بل دون بعض الأحاديث في رسائل كان يرسلها إلى **عبد الملك بن مروان** (65- 86هـ/684-705م) بناء على طلبه([4]) ، وقد وصل إلينا بعضها في صفحات **ابن إسحاق** ، و**الواقدي** ، و**الطبري** ،وهذه الكتابات تمثل أقدم المدونات التي وصلت إلينا عن السيرة النبوية، كما تمثل أقدم نصوص النثر التاريخي الإسلامي ([5]) ،وأكثر من روى عن **عروة** : ابنه **هشام والزهري** ،([6]) ونجد رواياته في مجموعات الأحاديث ،كما نجدها في كتب السيرة ، وغالباً ما تكون رواياته عن **عائشة** إلى جانب غيرها من الصحابة ، ويبدو أن **عروة** كان كثير التأليف أيضاً ، فقد قيل أنه أحرق يوم الحرة([7]) عدة كتب وقد حزن على فقدها فيما بعد([8]).

(3) **شرحبيل بن سعد (م:124هـ/741م) :**نشأ في المدينة المنورة ، وتلقى عن جمع من الصحابة ، مثل **زيد بن ثابت** ، **وأبو هريرة** ، **وأبو سعيد الخدري**، وغيرهم ، وروى أنه لم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريين منه ، وبرهن **موسى بن عقبة** ، أن **شرحبيل** دون قوائم بأسماء المهاجرين إلى المدينة ، وأسماء الرجال الذين اشتركوا في غزوتي بدر وأحد([9]).

(4) **وهب بن منبه (34- 110هـ/654-728م)** : من التابعين ، ومن نفس جيل العلماء سابقي الذكر ، من ذمار بجوار صنعاء ، وأصله فارسي ، تولى القضاء في بلده مدة من

---

(3) ينظر:محمد أبو شهبة : السيرة النبوية ، ص 24.
(4) ينظر: محمد جاسم حمادي : المرجع السابق ، ص 277.
(5) ينظر :ابن سعد : المصدر السابق ،5\ 133.
(6) ينظر: عبد الشافي محمد : السيرة النبوية ، ص 21.
(7) ينظر :يوسف هوروفتس : المغازي الأولى ومؤلفوها ، ت : حسين نصار ، شركة مطبعة البابي وأولاده (القاهرة ، 1949م) ، ص 22-19.
(8) ينظر:السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص 696.
(1) وقعة الحرة الشهيرة بين ثوار المدينة وجيش الخليفة الأموي يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عام63هـ. . لمزيد من التفاصيل ينظر ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء ،مراجعة وتعليق : جمال محمود مصطفى ، دار الفجر للتراث (القاهرة ، 2004م) ،ص166.
(2) ينظر:ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 5\ 133.
(3) ينظر:يوسف هوروفتس : المغازي الأولى ومؤلفوها ، ص 72.

الزمن، وقد عاش عيشة زاهدة كان في عام(100هـ /718م)في مكة ، ولقي فيها طائفة من العلماء المشهورين ([1]) ، وقد روى عن **ابن عباس** ، و**جابر** و**أبي هريرة** وغيرهم ، وقد حفظت حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني له قطعتين من المغازي ، الأولى عن فتح مكة ، والثانية عن وفاة الرسول ، كما اهتم أيضاً بأخبار أهل الكتاب، وهو من الثقاة المعتمدين في قصص الأنبياء ، وتناول تاريخ العُباد ، أي الأولياء الذين لم يصلوا إلى مرتبة النبوة ، واعتمد في جمعها على أهل الكتاب ([2])، وقد أسهم إسهاماً طيباً في إثراء حركة التأليف في المغازي والسير وعاش حياة علمية ثرية ([3])، وقد عثر المستشرق الألماني **كارل هينرش بيكرBekker** (1293-1352هـ/ 1876-1933م) على قطعة من مغازي **بن وهب** بين مجموعة أوراق بردي محفوظة بهيدلبرج([4]) .

الطبقة الثانية ، ومنهم :

(1) **محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (51- 124هـ/ 671-741م)** :ينسب إلى بني زهرة ، أخوال الرسول – صلى الله عليه وسلم –([5]) استقر في دمشق ، ولكنه كان كثير الذهاب إلى المدينة ،اشتهر بسعة معارفه ، وقد حَوَتْ مكتبة الأمويين بدمشق أكوام من المجلدات التي ضمَّتْ المادة العلمية التي جمعها **الزُّهري** ([6]).

يصدر **الزهري** عامة أحاديثه بالإسناد ، وحين تختلف الروايات ينشيء منها خبر جماعي واحد يصدره بأسماء الرواة مجتمعين([7]) ، وهو يدخل الشعر بين الأحداث، ويبدو من الشذرات الباقية من كتابات **الزهري** أنه تناول حياة الرسول-صلى الله عليه وسلم -عامة ، ولم

---

(4) ينظر: ابن سعد : المصدر السابق، 5\396،

(5) ينظر: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، ط4، (بيروت ، 1984م)، 4\ 74-71.

(6) ينظر :عبد الشافي محمد : السيرة النبوية ، ص 24.

(7) ينظر :فاروق حمادة : مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، ص 47.

(1) ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس (بيروت ، 1972م)، 4 \177.

(2) ينظر: حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي عند العرب ، ص 62- 63

(3) See:Hamilton.A.R.Gibb:Studies On The Civilization Of Islam, ,146

يقتصرْ على الغزوات الفعلية وحدها ،و هو من أوائل العلماء الذين دونوا الحديث بأمر الخليفة **عمر بن عبد العزيز** ، بل قيل أنه أول من دوَّن الحديث على الإطلاق ، وسيرته أول سيرة ألفت في الإسلام ،وقد أخذ عن **عروة بن الزبير** ([1]).

ولقد صارت أحاديث **الزهري** أساساً لكتب في المغازي صنفها ثلاثة مؤلفين من الجيل اللاحق ، ضاع منها اثنان ، ولم تصلنا منهما غير شذرات متفرقة ، والثالث هو سيرة **ابن إسحاق** ([2])،.

(2) **عبد الله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري (م:135هـ/ 752م)**:ولد من أسرة مدنية ، جده الأعلى ،**عمرو** ، صحابي بعثه الرسول إلى اليمن ليفقههم في الدين، كان أبوه قاضياً على المدينة عام(93هـ- 711م)من قبل **عمر بن عبد العزيز** (99-101هـ/717-719م)،واشتهر بتبحره في العلم الذي أخذه عن **أبان بن عثمان** ، وقلده الخليفة **سليمان بن عبد الملك** (96- 99هـ/714-717م) ولاية المدينة (96هـ -714م)، وقد كان **لعبد الله** ابن أخ اسمه **عبد الملك بن محمد** قد ألف كتاباً في المغازي اخذ أخباره عن عمه([3]).

وقد حاول **عبد الله ابن حزم** ، في ذلك الزمن المبكر ، أن يبتكر الترتيب السنوي للأحداث فجمع قائمة بغزوات الرسول – صلى الله عليه وسلم - مرتبة ترتيباً سنوياً استعاره **ابن اسحاق** لكتابه ، كما عني بالوثائق مثل الرسالة التي كتبها الرسول –صلى الله عليه وسلم - لملوك حمير ، والوثيقة التي سلمها الرسول لجده الأكبر **عمرو بن حزم** ليأخذها معه حين عينه على نجران ، وكسابقيه ، يدخل **عبد الله** في الحوادث الأشعار على أفواه أولئك الذين كان لهم أثر ظاهر فيها([4]) ، وقد نقلت عنه أخبار كثيرة ، نقلها **ابن إسحاق** ، و**الواقدي** ، و**ابن سعد** ، و**الطبري** ([5]).

(3) **عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري (م:129 هـ /746م)** :ولد في أسرة مدنية ، كانت من السابقين إلى الإسلام ، كان جده **قتادة** أحد الأنصار الذين حاربوا في

---

(4) ينظر: أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد ابن برهان الحلبي : السيرة الحلبية النبوية (أنسان العيون في سيرة الأمين و المأمون) ، شرح وضبط وتعليق : محمد التونجي ،دار المعرفة (دمشق ، 1989م) 1\ ص 2.

(5) ينظر: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الأندلسي : الروض الانف في تفسير السيرة النبوية ، دار المعرفة (بيروت ،1978م) 1 \122.

(1) ينظر: شمس الدين أبي عبد الله بن أحمد الذهبي(م: 748هـ/ 1347م) : سير أعلام النبلاء ،تح : شعيب الأرنؤوط ، دار الرسالة (بيروت، ب ت) 5\ 314.

(2) ينظر: محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1987م) \1\ 756،852 ، 2\ 258، 282، 505.

(3) ينظر: محمد أبو شهبة : السيرة النبوية ، ص26.

بدر، وكان حامل لواء قبيلته في حنين ، وإبنه **عمر** روى عن أبيه ـ ورواها عنه **عاصم**([1]) ،وقد عانى من الفقر ، فوفد على **عمر بن عبد العزيز** ، فقضى عنه دينه ، وأمره أن يجلس في مجلس دمشق فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة ففعل ثم رجع إلى المدينة وهو يعد من الرواة الثقات واشتهر بأحاديثه عن حياة الرسول عامة ، وهو يصرح غالباً بأسانيده ، وكغيره يدخل الأشعار وروى عنه **ابن إسحاق** و **الواقدي** ، ونقل عنه **ابن سعد** و**الطبري** ، وتميز بأنه لم يقتصر على جمع الحوادث وروايتها بل كان يبدي رأيه فيها ويعلق عليها ([2]).

الطبقة الثالثة ، ومنهم :

(1) موسى بن عقبة(م:141هـ/ 758م) :من تلاميذ **الزهري** ، وهو من المتبحرين في المغازي ألف في المغازي كتاباً رواه عنه ابن أخيه **اسماعيل بن إبراهيم**(م:158هـ/774م)،وقد ضاع ، ولكن وردت عنه إشارات عند **ابن سعد** ، و**ابن حجر**، وقد وجدت قطعة من هذه المغازي في المكتبة البروسية الرسمية ، قام بترجمتها المستشرق إدوارد **سخاو** إلى الألمانية عام(1322هـ/ 1904م) ،ويتضح منها أنه تناول الهجرة والمغازي([3]).

وجه **موسى بن عقبة** أكبر عنايته للتاريخ الجاهلي وقد نقل عنه **ابن سعد** عن طريق أستاذه **الواقدي**، وقد وصفت مغازيه أنها أصح المغازي ([4]).

(2) **محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (85- 151هـ/ 704- 768م):** أصله فارسي ، من تلاميذ **الزهري**، ألف كتاباً غطى به على كل أولئك المؤرخين المتقدمين ، وجذب أنظار المتقدمين ، وهو '' كتاب المغازي'' ، ألفه للخليفة العباسي **المهدي**(158- 169هـ/ 774-785م)، بأمر **المنصور** (136- 158هـ/ 753-774م) ، و لم يصل إلينا في صورته الأصلية ([5])، ولكن وصل قسط عظيم منه في سيرة **ابن هشام** ،كما وردت مقتطفات عديدة منه عند **الطبري** والمؤرخين المتأخرين ، ومنها نستطيع تكوين صورة قريبة من الكمال عنه و الكتاب في أصله ، كان مقسماً إلى ثلاثة أجزاء : (المبتدأ) ويتناول التاريخ الجاهلي ، و(المبعث) ويشمل حياة الرسول- صلى الله عليه وسلم - حتى الهجرة ، و(المغازي) ويشمل حياة الرسول

---

(4) ينظر: المرجع نفسه ، ص 26.
(5) ينظر: محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم: الفهرست ،دار المعرفة (بيروت ، 1978م)، ص 144.
(1) ينظر: ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 5\ 310.
(2) ينظر: ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، 9\ 483.
(3) لم يظهر هذا الكتاب حتى الآن كاملاً ، وقد طُبع في المغرب قسم منه ، بتحقيق ، محمد حميد الله الحيد آبادي (فاس ، 1976م) ، وطُبع ثانية في المشرق بتحقيق سهيل زكار ، ولا يبعد أن يظهر في المستقبل كاملاً . عن :فاروق حمادة : مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، ص 50

في المدينة مع أول سهم أطلق في الحرب إلى وفاته وقد لقيت هذه السيرة منذ ظهورها عناية كبيرة ، فرواها خمسة عشر تلميذاً **لابن إسحاق** ([1]).

أدرك **ابن إسحاق** بعض الصحابة ممن طالت أعمارهم ، فقد رأى **أنس بن مالك** ، وتتلمذ على كبار التابعين من علماء المدينة ، منهم **أبان ابن عثمان** ، و**بن قتادة** و**بن حزم** ، وغيرهم ([2]).

أمتاز **ابن إسحاق** ،بأنه وسع أفق السيرة فجعلها تاريخاً للرسالة الإلهية بعامة ، والعناية بتأليف خبر عام موحد من الروايات المختلفة ، ويعلق في بعض الأحيان عن الأحداث برأيه ([3])، وقد اختصر سيرته ونقلها **ابن هشام** في سيرته المطبوعة. ([4])

(3) محمد بن عمر الواقدي (130 - 209/747-824م): كان شغوفاً بجمع المعارف المنتشرة في عصره ، فنسخ جميع الكتب التي أمكنه الحصول عليها ، ويروى أنه خلف بعد وفاته مئات الكتب ،([5]) وهي التي كانت أساس نشاطه الكتابي الذي شمل ميادين مختلفة، ويحوي كتاب الفهرست للنديم ،وكذلك معجم الأدباء لياقوت الحموي قائمة بمؤلفاته تتكون من ثمانية وعشرين كتاباً ،شملت الفقه والقرآن والحديث ،وحظي التاريخ منه باثنين وعشرين كتاباً للواقدي، ويضيف إليها **ابن سعد** كتاباً ، ولم يبق من تلك الكتب غير كتاب''المغازي ''، وهو يورد في بدايته قائمة تضم خمسة وعشرين راوياً ، أخذ عنهم منهم : **الزهري** و**موسى بن عقبة** ، وعنايته بالتاريخ تبدأ بظهور الإسلام ([6])،وقد امتاز بدقته في المادة و الأسلوب ، والعناية بالتاريخ و تحقيق تواريخ الأحداث وتوضيح الإطار الجغرافي المتصل بالمواقع([7]).

كانت كتبه مصادر للمؤرخين من بعده ، له كتاب ''التاريخ الكبير'' أقتبس منه **الطبري** كثيراً ، وله كتاب في الطبقات ، يُظن أن تلميذه **ابن سعد** قد تأثر به كثيراً في طبقاته، ولم يبق من كتبه غير (المغازي) ([8]) .

---

(4) ينظر: ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 4\ 321- 322. ، محمد بن عبد الملك ابن هشام : السيرة النبوية ، 1\2،
(5) ينظر: عبد الشافي محمد عبد اللطيف : السيرة النبوية ، ص33.
(6) ينظر: محمد أبو شهبة : السيرة النبوية ، ص 27.
(7) ينظر: محمد جاسم حمادي : أثر دراسة التدوين والإسناد في الحديث على نشؤ وتطور الفكر التاريخي ، ص 278.
(1) يقال أنه كان يحمل كتبه على عشرين ومائة وقر(الحمل الثقيل) ، وقيل كانت كتبه ستمائة قمطر (ما تصان فيه الكتب) .عن : ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار الجيل (بيروت ، 1974م) ، 1\ 18.
(2) ينظر: ابن النديم: الفهرست ، ص 98.
(3) ينظر: السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص 697.، عبد العزيز الدوري : نشأة علم التاريخ ، ص 30-31.
(4) ينظر: محمد أبو شهبة : السيرة النبوية ، ص 27.

(4) **محمد ابن سعد(م:130 هـ/747م):** ولد بالبصرة ،وعرف بكاتب **الواقدي** ، وهو يعد أول مؤلف بعد **ابن إسحاق** وصلتنا ترجمة كاملة له عن الرسول- صلى الله عليه وسلم في أجل كتبه '' الطبقات الكبرى''،وهو في ثمانية أجزاء ، خصص الجزأين : الأول والثاني ، لسيرة الرسول ومغازيه ، والأجزاء الأخر لأخبار الصحابة والتابعين ، مرتباً لهم حسب الأمصار ، ثم رتب علماء كل مصر حسب شهرتهم وزمانهم([1]).

كان ابن سعد يتحرى كثيراً في رواياته ،وهو يعطي في بعض الموضوعات تفاصيل أوفى من **ابن إسحاق** ، و يعتمد اعتماداً كبيراً على المادة التي جمعها أستاذه **الواقدي** ،أخذ عنه **الطبري** في تاريخه، وهو أحد شيوخ البلاذري ([2]) .

(5) **ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (م:218 /823م):**

أصله من البصرة، له كتاب ''أنساب حمير وملوكها '' ،'' وشرح ما وقع في أشعار السيرة من الغريب'' ، اشتهر بكتابه''السيرة النبوية''، وهو مختصر لسيرة بن إسحاق مع التصحيحات والتعقيبات والزيادات ،وقد تلقاها عن شيخه **زياد بن عبد الله البكائي** (م:182هـ /798م) ، فقد تعقب مما أورده ابن إسحاق بالتحرير والاختصار والنقد ، أو بذكر رواية أخري فات ابن إسحاق ذكرها ، وقد استبعد من عمل ابن إسحاق تاريخ الأنبياء من آدم إلى إبراهيم – عليهم السلام- ، وحذف من الأخبار ما يسيء ومن الشعر ما لم يثبت لديه ([3]).

ثالثاً / مصادر السِّيرة النّبوية عند المسلمين:-

مصادر التَّاريخ الإسلامي ، على وجه العموم ، واسعةٌ ومتعدِّدةُ المناحي ، منها المصادر التَّاريخيَّةُ المباشرة للأحداث والوقائع ، أو في التَّراجم والطَّبقات ، ومنها المصادر المساعدة، وهي التي تتحدَّث عن العلوم الأخرى لكن لها صلةٌ بالتَّاريخ مثل : عُلوم الشريعة والفتاوى والفِرَقِ ، أو النُّظم الإسلامية والجغرافيا والرَّحلات ، وكُتب الأدب بفنونه المختلفة([4]).

---

(5) ينظر: المرجع نفسه ، ص 29-30.
(6) ينظر: المرجع تفسه ، ص 29- 30.
(1) ينظر:محمد أبو شهبة : السيرة النبوية، ص29
(2) ينظر: محمد بن صامل السلمي : " منهج نقد الروايات التاريخية من منظور إسلامي " ، مجلة المؤرخ العربي ، ع 6 ،

وأمَّا مصادر السِّيرة النَّبوية فهي :

1- القرآن الكريم ، وهو أوَّل المصادر التي يرجع إليها لمعرفة الأحداث المتعلقة بحياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصدقها ، يقول الله –تعالى- في كتابه العزيز:{ **وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}(1)** ويقول- جل شأنه **-:﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }(2)**،ومن ثم فصحة الخبر الذي نقله القرآن الكريم لا جدال فيه وقد تعهده رب العالمين بالحفظ من التحريف والتزييف ، يقول- تعالى : **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون} (3)** وقد ذكر في القرآن طرفاً من شئونه- صلى الله عليه وسلم - قبل النبوة مثل يتمه وفقره وتحنثه(4) بغار حراء ، كما ذكر شؤوناً من حياته بعد النبوة مثل نزول الوحي وتبليغه إياه والإسراء وعداوة المشركين والهجرة ، وعلاقاته مع أصحابه ومع المشركين والمنافقين وكذلك اليهود والنصارى (5)ورغم أنه لم يذكر تفصيلاً شاملاً لسيرة الرسول الكريم بكل جزئياتها ، فإنه يتميز عن المصادر الأخرى بأنه أظهر لنا الجانب النفسي . (6)

ويلحق بالقرآن كتب التفسير مثل: تفسير يحى بن سلام (م: 200هـ/815م)تفسير **عبد الرازق بن همام الصنعاني** (م:211هـ/826م) ، وتفسير الحافظ **ابن ماجه القزويني** (م:275هـ/ 888م) ،و تفسير الإمام **محمد بن جرير الطبري** (م:310هـ/ 922م) ،وغيرها كثير(7).

2- كتب الحديث: الحديث هو وحي من الله – سبحانه وتعالى – غير متلو ،إذ قال الباري-عزوجل:{**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى }**(8) ،وهذه الكتب كثيرة ، وعلى درجات ؛ وذلك طبقاً للمنهج العلمي المُتبع فيها ، ويأتي في مقدمتها :كتب الحديث الستة مثل: و''الجامع الصحيح'' **لمحمد بن اسماعيل البخاري** (م:256هـ/ 840م) ، وصحيح **مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري** (م:261هـ/ 874م) ، وتليها المسانيد والسنن ، مثل مسند **أحمد بن حنبل** (146-241هـ/763م) سنن أبي **داوود ، سليمان بن الأشعث السجستاني** (م:275هـ/ 885م) ، وسنن

تصدر عن الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب ، (بغداد ،مارس ، 1998م)، 224.

(3) سورة الإسراء ، الآية 105.

(1) سورة فصلت ، الآية 42

(2) سورة الحجر ، الآية 9.

(3) هو التعبد واعتزال الأصنام = ابن منظور : لسان العرب المحيط ، مادة: حنث، 1\734.

(4) ينظر: محمد بيومي مهران : السيرة النبوية الشريفة ، 1\ 29.

(5) ينظر: سعدون محمود الساموك : السيرة النبوية ، دار الأوائل للنشر (عمان ، 2004م) ، ص 38.

(6) ينظر: فاروق حمادة : مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، ص 35-23.

(7) سورة النجم ، الآية 3.

الإمام **محمد بن يزيد بن ماجة القزويني** (م:273هـ/886م) ،وسنن الإمام **عيسى بن سورة الترمذي** (م:279هـ/ 892م)، والإمام **أحمد بن شعيب النسائي** (م:303هـ/ 915م)([1]) .

3- كتب الشمائل ،وهي الكتب التي قصد أصحابها التركيز على ذكر أخلاقه – صلى الله عليه وسلم ، وعاداته وفضائله ، وسلوكه القويم من أهمها : كتاب ''الشمائل'' للإمام **الترمذي** (210- 279هـ/825-892م) ،وكتاب ''أخلاق النبي وآدابه '' للحافظ **أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني** (م:369هـ/ 979م) ، وكتاب ''الشمائل'' **لأبي العباس جعفر بن محمد المستغفري** (م:432هـ/ 1040م) ، و'' الشفا بتعريف حقوق المصطفى'' للقاضي **عياض بن موسى اليحصبي** (479- 544هـ/1086-1149م) ، وغيرها([2]).

4- كتب الدلائل : وهي الكتب التي ألفها أصحابها بقصد جمع المعجزات التي ظهرت على يدي الرسول – صلى الله عليه وسلم – مما يدل على نبوته ، مثل كتاب :'' دلائل النبوة'' **لأبي إسحاق إبراهيم الحربي** (م:285هـ/898م) ، والعنوان نفسه حمله كتاب **لأبي زرعة الرازي** (م:264هـ/ 877م)،وكتاب'' أعلام النبوية '' **لأبي داوود السجستاني** ، و''دلائل النبوة'' **لأبن قتيبة** (م:276هـ/ 889م) وغيرها ([3]).

5- كتب المغازي والسير : وهذه الكتب تُعنى بصفة أساسية بمغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، حيث شكلت المؤلفات التي ألفت خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة الأساس الذي أعتمد عليه المؤرخون المسلمون المتأخرون في التأريخ للسيرة النبوية ، فظهرت العديد من المؤلفات نذكر أمثلة منها على سبيل المثال لا الحصر : كتاب''جوامع السيرة'' **لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي** (م:456 هـ/1063م) ،''عيون الأثر في فنون المغازي والسير''**لأبو الفتح محمد بن محمد المعروف بابن سيد الناس الأندلسي** (م:734هـ/ 1333م) ، في مجلدين ، ثم أختصره ، وسماه ''العيون في تلخيص سيرة الأمين و المأمون''، وقد شرحه الشيخ **برهان الدين إبراهيم بن محمد الحلبي** (م:841هـ/ 1437م) ، و''مختصر السيرة'' **لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني** (م:852هـ/1448م) ،الذي أقتصر فيه على أصح الأقوال وأقواها ،كتاب ''المواهب اللدنية بالمنح المحمدية'' للشيخ العلامة (**شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني** (م:923هـ/1517م) ،و''سبيل الرشاد في سيرة خير العباد'' المعروف بالسيرة الشامية ، للشيخ : **محمد بن يوسف الصالحي** (م:942هـ/ 1535م) ، و'' إنسان العيون في سيرة

(8) ينظر: فاروق حمادة : مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، ص 36- 37.
(1) ينظر: فاروق حمادة : مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، ص 42-43.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 44- 45.

الأمين المأمونّ'' المعروف بالسيرة الحلبية ، للشيخ **علي بن برهان الدين الحلبي** (م:1040هـ / 1630م) وغيرها كثير([1]).

6- كتب الأدب واللغة ،تعتبر هذه الكتب من المصادر الأصيلة لتدوين السيرة النبوية، لما احتوته من أخبار عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وما قيل في مدحه ،وذم أعدائه من أشعار ، وحفظت خطبه ، وأحاديثه البلاغية ، ومن هذه الكتب ، كتاب ''الكامل في اللغة والأدب'' **لمحمد بن يزيد** المعروف **بالمبرد** (م:285هـ/ 898م) ، وفيه ساق الكثير من خطب الرسول وأحاديثه وكلامه ([2]).

7- كتب التاريخ العام ، وهي التي تعنى بالتأريخ للأمم والدول بشكل عام قبل الإسلام وبعده ،نحتاج إلى الكثير من الجهد والوقت لحصرها ؛ لذلك سنكتفي بذكر أمثلة فقط ، مثل كتاب''مروج الذهب ومعادن الجوهر'' **لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي** (م:346هـ /957م) ،و '' الكامل في التاريخ '' **لعز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرب ابن الأثير**(م:630هـ/ 1232م) ،و ''تاريخ الإسلام'' **لأبي عبد الله محمد بن عثمان الدمشقي، المعروف بالذهبي** (م:748هـ/1347م)، و''البداية والنهاية'' **لاسماعيل بن كثير الدمشقي** (م:794هـ/ 1391م) ، وقد ذكر سيرة الرسول في نحو أربعة أجزاء ([3]) ، ومن الكتب التاريخية المهمة أيضاً، كتاب ''تاريخ الأمم والملوك'' **لمحمد بن جرير الطبري** (م:310هـ/932م) ،وهو يعتمد على من سبقه ، مثل ابن إسحاق والواقدي ([4])، وغير ذلك .

والخلاصة : أن مصادر دراسة السيرة النبوية ، في التراث العربي والإسلامي كثيرة ومتعددة ،وأن الاهتمام بالسيرة النبوية قد بدأ منذ أواخر القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي ، على يد طائفة من علماء المدينة ، وعلى الرغم من ضياع تلك الكتابات الأولى ، فقد وصل إلينا معظمها عن طريق النقل الشفهي ، وكذلك بعض الوثائق المادية ، التي اعتمدت عليها المصادر المتأخرة .

رابعاً / منهجية المؤرخين المسلمين في تدوين السيرة النبوية :

(1) ينظر: محمد أبو شهبة : السيرة النبوية ، ص 31.
(2) ينظر: فاروق حمادة : المرجع السابق ،ص 93-102.
(3) ينظر: محمد أبو شهبة : المرجع السابق ، ص 34.
(4) ينظر: فاروق حمادة : المرجع السابق، ص 80.

بدأ التدوين الفعلي للسيرة في منتصف القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي([1])، وقد سار المؤرخون المسلمون على منهج خاص في التدوين ، وتكبدوا الكثير من المشاق في سبيل الحصول على الرواية الصحيحة ، فرحلوا إلى الأمصار البعيدة رغم صعوبة المواصلات ،وعاينوا الروايات وقارنوها بغيرها ، بل ونقدوها ورفض الثقات منهم، الضعيف والشاذ منها([2]) .

لقد اتبع المحدثون المسلمون في نقد الروايات التاريخية أسلوباً دقيقاً محكماً ، ضمن صحة الخبر التاريخي من عدمه ،وقد اشترط المحدثون في رواة الحديث شروطاً معينة منها : العدالة والضبط ، والدين المتبين ، فاشترط المؤرخون ما اشترطه المحدثون في الروايات التاريخية([3]).

وقد اعترف بعض المستشرقين بأن منهج الإسناد الذي اتبعه علماء المدينة في تدوين الحديث والمغازي ، أحدث تغيّراً هائلاً في طبيعة الأخبار التاريخية عند العرب ودقتها المؤسسة على النقد ، وجعل الخبر يستند على أساس تاريخي قويم ([4]).

لقد كان المؤرخون المسلمون يكتفون بسرد أحداث السيرة النبوية ولا يهتمون، كثيراً ، بالتحليل والاستنباط ([5])،و كان الأسلوب المُتبع في سرد الروايات التاريخية عندهم يكاد يكون واحداً في كل المصادر على اختلاف أنواعها ،وهو يعتمد بصورة أساسية على الحديث المسند ([6])،و الاختلاف بينها ، نجده في طريقة العرض فقط ، فبعضها ترتب الأحاديث حسب الموضوعات كما في كتب المصنفات التي منها الكتب الستة ، أو على حسب اسماء الصحابة الذين ترفع لهم هذه الأحاديث كما في كتب المساند كمسند ابن حنبل ، أو على حسب السنين ووقوع الحوادث كما في كتب السيرة كمغازي **الواقدي** ([7]).

---

(1) ينظر: علي سالم البهنساوي : الغزو الفكري للتاريخ والسيرة بين اليمين واليسار ، دار القلم (الكويت ، 1985م)، ص 24.
(2) ينظر: عزية علي طه : منهجية جمع العاموجمع الأناجيل ، دراسة مقارنة ،دار البحوث العلمية (الكويت ،1987م)،ص345.
(3) ينظر: محمد جاسم حمادي : أثر دراسة التدوين والإسناد في الحديث على نشؤ وتطور الفكر التاريخي ، ص 280
(4) See:Hamilton.A.R.Gibb: Studies On The Civilization Of Islam ,146
(5) ينظر: عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي : السيرة النبوية في ضؤ القرآن والعام، المؤسسة العربية الحديثة ،(القاهرة ، ب ت)، ص 49.
(6) ينظر: محمد بن صامل السلمي : منهج نقد الروايات التاريخية من منظور إسلامي ، ص 224-226.
(1) ينظر: يوسف هوروفتس : المغازي الأولى ومؤلفوها ، ص 1. محمد بن صامل السلمي :المرجع السابق ، ص 224-226.

لقد انصب اهتمام المؤرخون المسلمون على الإسناد دون المتن ،وهذا يؤكد اهتمامهم بصحة الخبر ([1])، فكل واقعة يذكرونها ، كانوا يسندونها إلى رواتها حتى يوصلوها براويها الأول الذي هو شاهد عيان ،وبذلك كانوا أمناء في نقل الأخبار ، إضافة إلى أنهم كانوا يقدمون الروايات المختلفة حولها ([2])، وقد أدت هذه العناية بالروايات المختلفة والأسانيد المتنوعة ، إلى التكرار لدرجة الإملال ، إلا أن ذلك كان لازماً لإثبات صحة الرواية من عدمها ،ومع تقدم وازدياد سلسة الرواة للوصول إلى الراوي الأول ، اكتفى المؤرخون منذ القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي، بذكر الراوي الأخير ([3])، ومنذ ذلك التاريخ ، بدأ الإسناد يفقد وظيفته ، وتلاشت الصلة بين التاريخ وعلم الحديث ، وأخذ التاريخ يعلن استقلاله بمنهجه الخاص ، وأخذ العرض الأدبي يبرز في الكتابة التاريخية ، وخير من يمثل ذلك **المسعودي** ، الذي حذف الإسناد وأختصر الرواية([4])، و ظل الحديث هو العنصر الرئيس في تكون المادة التاريخية للسيرة ؛لأن السيرة جزء من الحديث نشأ بنشوء ، وتطور بتطوره ([5]).

خامساً / أسباب اهتمام المستشرقين بالسيرة النبوية :

استأثرت شخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم - باهتمامات المستشرقين ،والباحثين في الشرق والغرب ، على اختلاف أجناسهم وتوجهاتهم ، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو : لماذا كل ذلك الاهتمام الكبير بالسيرة النبوية والتعمق في معرفة حياة الرسول ودراسة المصادر التي استقى منها المؤرخون المسلمون مادتهم عن السيرة النبوية؟.

يمكن القول ، بأن الأسباب والدوافع التي دعت المستشرقين إلى الاهتمام بالسيرة النبوية ، هي نفسها الأسباب الباعثة على الاستشراق بصفة عامة ،و إن المكانة العظيمة التي يحتلها الرسول-صلى الله عليه وسلم - في نفس كل مسلم ، كونه عنصراً أساسياً يوحد المسلمين في مشرقهم ومغربهم ، كان هو الباعث الأساسي وراء هذا الاهتمام ([6]).

لقد ظل الاتجاه العدائي ضد الإسلام ، ورسوله في الغرب جزءاً من صُلْب القيم الغربية، التي بدأت في التشكل مع الحملات الصليبية، وفي عصر النهضة ([7])، هذه القيم التي

---

(2) ينظر: حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي عند العرب ، ص 94، 95.
(3) ينظر: محمد رجائي ريان : علم التاريخ عند المسلمين وتطوره في القرن الرابع الهجري ، ص 95.
(4) ينظر: حسين نصار :المرجع السابق ، ص 94، 95.
(5) ينظر: محمد رجائي ريان : المرجع نفسه ، ص 95-96 .
(6) ينظر: محمد جاسم حمادي : أثر دراسة التدوين والإسناد في الحديث على نشؤ وتطور الفكر التاريخي ، ص 278
(1) ينظر: عمر لطفي العالم : المستشرقون والقرآن ،دراسة نقدية لمناهج المستشرقين ، مركز دراسات العالم الإسلامي (مالطا ، 1991م) ص 52
(2) ينظر: آنا شيمل : سيرة النبي محمد ، ت: فاطمة نصر ، ومحمد عناني (القاهرة ، 1998م)، ص 96.

أثرت وما تزال تؤثر في نظرة الغرب إلى الشرق ، واعتبار أن الشرق، والإسلام على وجه الخصوص ،هو العدو الأول للمسيحية والحضارة الإنسانية ، وأن المسلمين إرهابيون منحطون حضارياً من الواجب إبادتهم ، إن لم يتم تنصيرهم .

إن الدارس لتاريخ الاستشراق يصطدم بحقيقة مريعة تتلخص في أن اهتمام أغلب المستشرقين بالسيرة النبوية كان في مُجمله يهدف إلى غاية واحدة هي هدم الإسلام من خلال الطعن في صدق الرسول- صلى الله عليه وسلم – حيث أدرك المستشرقون أن الأساس الذي يقوم عليه الإسلام ، هو شخصية الرسول –صلى الله عليه وسلم – ، فكان لابد أن يوجه الهجوم المسيحي بمجمله إلى تعرية محمد – على حد زعمهم - ، فإذا أمكن تجريده من صفات النبوة ، فإن ذلك سيؤدي إلى انهيار صرح الإسلام كله ([1]) ، وحتى أولئك الذين اتصفوا بالموضوعية والعلمية تكشف الأبحاث والدراسات لهم كل يوم غايات سعوا إلى تحقيقها غير الإنصاف للإسلام ونبيه فعلى سبيل المثال: فقد قيل أن المستشرق الإنجليزي **توماس كارليل** ، قد أنصف الرسول – صلى الله عليه وسلم – في كتابه الأبطال ، ولكن أتضح أن كانت له غايات سياسية من وراء ذلك ، فقد كان يقدم في كتابه الأبطال نظرية البطل، تلك النظرية التي استخدمت التاريخ ؛ لتقدم حلاً نظرياً مقترحاً ؛ لإنقاذ بريطانيا من أزمتها الحضارية التي فرضتها ظروف غياب مركز سلطة قوي في ظل محاولات التحديث والميكنة، وذلك، خلال القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي([2]).

سادساً /أصناف المستشرقين الباحثين في السيرة النبوية :

يظل من الإجحاف تعميم صفة التحامل على الإسلام وسيرة نبيه على كل المستشرقين؛ ولذلك فقد قسم الباحثون المسلمون المستشرقون الذين قدموا دراسات وبحوث عن حياة الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم ،إلى ثلاثة أصناف :

الصنف الأول ،المتحاملون المتعصبون:

(3) See:Norman.Daniel: . Islam and The West .p,67-68

(4) ينظر: محمد عبد الحسين الدعمي : المتغير الغربي ، الشرق ، الاستشراق، أدب الصحراء ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ، 1986م) ، ص 28- 29.

وهذا الصنف ظهر منذ احتكاك العالمين الإسلامي والمسيحي مثل : **يوحنا الدمشقي** ، الذي كتب في التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية بحقد وكراهية ،مبتعداً عن المنهج العلمي ، ومتأثراً في كل ما كتب بروح العداء التي زرعتها الكنيسة فيه ([1])،ولم يكن يتطلع في أبحاثه إلى إظهار الحقيقة ، بل على العكس من ذلك ، كان يسعى إلى طمسها ، مدفوعاً بدوافع دينية أو استعمارية ،وأعتمد في تحقيق غاياته ، إما على الكذب والدس ، أو على الكتب الإسلامية التي يتبرأ منها الإسلام ، والمؤلفات الأجنبية المغرضة التي لم تلتزم النزاهة والإنصاف ([2])،و لازلنا نجد ، لهذا الصنف ، نماذج في عصرنا الحاضر(3) .

الصنف الثاني ،الكُتَّاب المنصفون :

وهذا الصنف كتب بروح علمية محاولاً إفادة قومه، ونتيجة للمنهج العلمي الذي سلكه فقد خرج من أبحاثه بإعجاب كبير بالإسلام ، ورسوله ، وشخصيته المؤثرة، رغم عدم إسلامه،([4])وهؤلاء الكتاب ردوا ، في كثير من الأحيان ، شبهات غيرهم من المستشرقين.

والمستشرقون من هذا الصنف ، كانوا يصدرون أحكامهم عن اجتهاد خاص ، وإذا جنحوا إلى النقد تجنبوا الذم والافتراء والتنديد ،وإذا كنا نحمد إلى هذا الفريق حياده وجهره برأيه العلمي صراحة دون غاية، إلا أنه لا يمكننا تناسي وضع المستشرقين الخاص فيما يكتبونه عن الأمم الأخرى ، فبالإضافة إلى المؤثرات الموروثة ، ومؤثرات أخرى معاصرة تتعلق بالأوساط التي يعيشون فيها وبالدين الذي يعتنقونه ، فإن جهلهم بأسرار اللغة العربية ، كان يحملهم أحياناً إلى تجاوز الحقائق فيما يكتبون ، ويمثل هذا الصنف **لامارتين** الفرنسي ، في كتابه (تاريخ تركيا) ، والذي أعلن فيه أسفه الشديد لما كاله المغرضون لمحمد من الشتائم والافتراءات ، ومن أشهر عباراته قوله:

> **" كان محمد فيلسوفاً ومشرعاً وداعياً إلى الهدى ، وضع عقائد معقولة ، وعبادة خالية من الصور ، وهو فضلاً عن أنه كان مصدر قيام عشرين دولة دنيوية ، فقد أنشأ ملة واحدة "([5]).**

---

(1) ينظر: محمد فتح الله الزيادي : ظاهرة انتشار الإسلام ، ص 102.
(2) ينظر: محمد جميل بيهم : فلسفة تاريخ محمد ، (بيروت ، ب ت) ص 15.
(3) يطالع : www.madinacenter.com(عداء الغرب للإسلام ليس وهماً)،8-12-2008.
(4) ينظر: محمد فتح الله الزيادي : المرجع السابق ، ص 102- 104.
(1) محمد جميل بيهم : فلسفة تاريخ محمد ، ص 13.

ومن المستشرقين الذين كتبوا بإنصاف عن سيرة الرسول- صلى الله عليه وسلم – خلال القرن الرابع عشر الهجري / العشرين ميلادي ، **لورافيشيا فاغليري**، التي دافعت عن السيرة النبوية في كتابها '' الدفاع عن الإسلام''([1]).

والجدير بالذكر أن شخصية الرسول- صلى الله عليه وسلم – قد حظيت بإعجاب الكثير من الأدباء الغربيين أيضاً ، فهذا **برنارد شو** قد تخطى هؤلاء في مدح النبي والإسلام ، حينما ذهب إلى التنبؤ بأن الإمبراطورية البريطانية مقبلة على اعتماد النظم الإسلامية قبل نهاية هذا القرن ، وخلص إلى القول:

" ولو أن محمداً بعث في هذا القرن ، وكان له الأمر المطاع ، لوفق كل التوفيق في حل جميع المشاكل العالمية ، ولأستطاع أن يقود الناس إلى السعادة والسلام"([2]).

ولعل أروع ما قيل في الرسول- صلى الله عليه وسلم - ما ذكره **مايكل هارت** في كتابه '' الخالدون المئة ''، الذي قام فيه بالبحث في التاريخ عن الرجال الذين كان لهم أعظم تأثير على البشر وقد ذكر في هذا الكتاب أكثر مائة رجل تأثيراً على البشرية ، وأعتمد في تقييمه على درجة التأثير، ويصفهم بترتيب تفوقهم في هذا التأثير من رقم واحد وحتى رقم مائة، ووضع الرسول – صلى الله عليه وسلم - في المرتبة الأولى، ويقول **مايكل هارت** معللا :

"إن اختياري لمحمد ليأتي في المرتبة الأولى من قائمة أكثر أشخاص العالم تأثيراً في البشرية، قد يدهش بعض القراء ،وقد يعترض عليه البعض ولكنه كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي حقق نجاحاً بارزاً على كل من المستوى الديني والدنيوي "([3]).

الصنف الثالث / الكتاب الموضوعيون :

هذا الصنف كتب بروح علمية صادقة ، ودرس الإسلام والسيرة النبوية دراسة عميقة حتى اهتدى إلى اعتناق الإسلام ، وأصبح سيفاً بارزاً من سيوفه ، يدافع عنه بكل ما أوتي من إمكانيات ، ويرد الشبه والمكائد التي يثيرها أعداء الإسلام ، ومن أشهر هؤلاء ، المستشرق الفرنسي **دينيه** .

---

(2) ترجم منير البعلبكي هذا الكتاب ، دار العلم للملايين ،(بيروت ، 1979م) .
(3) محمد جميل بيهم : المرجع السابق، ص 14.
(4) محفوظ العباسي : الغرب نحو الدرب (القاهرة ، 1998م) ، ص 66.

ومن المستشرقين الذين أنصفوا الإسلام ، وذهب إخلاص بعضهم له إلى اعتناقه والدفاع عنه :المستشرق السويسري **جون لويس بوركهارت J. L. Burckhar** الذي اعتنق الإسلام عام(1224هـ/1809م) وغير اسمه إلى إبراهيم عبد الله ([1])(1233-1302هـ / 1817- 1884م)، كذلك المسترق الألماني **فريدرش كرنكوف** (1289-1373هـ/ 1872-1953م)، الذي تسمى **محمد سالم الكرنكوي** ([2])، والمستشرق اليهودي النمساوي الأصل **وليوبولد وايسWeiss** (م:1412هـ/ – 1992م) الذي أشهر إسلامه وتسمى محمد أسد وايس ، وله العديد من المؤلفات دافع فيها عن الإسلام ونبيه وغيرهم ([3]).

أما المستشرقون الإنجليز الذين أنصفوا الإسلام ورسوله ، وذهب إخلاص بعضهم به إلى اعتناقه والدفاع عنه **:مارمادروك وليم بكثولM.W Pickthall** (1292- 1355هـ/1875-1936م) الذي أعلن إسلامه حوالي عام(1337هـ/1918م)، **وكويلم Kwelem** الملقب بعبدالله الانجليزي والذي أسلم عام(1305هـ/1887م)، **وفيلبي H.St.J.B Philby** (1303-1380هـ/ 1885-1960) الذي أشهر إسلامه(1377هـ/1957م)، و: المستشرقة **جونس ،وأيفون إيفيت كوكا** ، وقد تسمت **بإيناس غلام قاسم** ([4]).

سابعاً /مصادر المستشرقين :

حين نتصفح هذا الكم الهائل من كتابات المستشرقين الذين كتبوا عن حياة النبي محمد، ونطلع على الأحكام التي أصدرها كل منهم ، عن الإسلام ،ونبيه –صلى الله عليه وسلم – يتبادر إلى أذهاننا السؤال عن المصادر التي اعتمد عليها أولئك المستشرقون في دراساتهم وأبحاثهم ، وعن الكيفية التي اتبعها كل منهم في الأخذ عن تلك المصادر ، ويمكن حصر مصادر المستشرقين في الكتابة عن السيرة النبوية في الأتي :

1- ترجمة معاني القرآن :

إن الصورة الوهمية والخيالية التي تكونت في أوروبا عن النبي محمد لا يمكن فصلها عن الرؤية الفكرية الأوربية اللاهوتية للقرآن ، وترجمة القرآن لم تكن في الواقع إلا مدخلاً لمعرفة السيرة النبوية ، وهي البرهان – على حد تعبير اللاهوتيين الأوربيين – على هرطقة

(1) . ينظر: نجيب العقيقي : المستشرقون ، 3\ 52.
(2) ينظر: المرجع نفسه ، 3\ 97. عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ،ص 178-179.
(3) ينظر: محمد أسد :الإسلام على مفترق الطرق، ت عمر فروخ ، دار العلم للملايين ،(بيروت ، 1987م) ، ص12
(4) ينظر: نجيب العقيقي : المرجع السابق ، 3 \ 621.

محمد مع كل الصفات البذيئة التي كانوا يصفونه بها خلال القرون الوسطى ([1])، وحين اقتنعت الكنيسة بضرورة مواجهة المد الثقافي الإسلامي الذي هدد الكنيسة في عقر دارها، رأت أن تبدأ بترجمة القرآن ؛ لأنه المدخل لمعرفة السيرة النبوية ؛ لذلك كلف **بطرس المحترم** ،دارسين إنجليزيين للفلك والرياضة العربية، وهما **كتننز R.Ketennses وهيرمان دالماتا H.Dalmata** بترجمة القرآن إلى اللاتينية ، (558هـ/ 1162م) ([2])، وقد أخذ الأول على عاتقه ترجمة القرآن من العربية إلى اللاتينية ، بينما كلف الثاني بالكتابة عن مباديء **محمد** وحياته وأن يكتب عن تاريخ الإسلام، الذي يصفه بالمضحك ([3]).

والجدير بالذكر أن تلك الترجمة لم تستطع أن تنفذ إلى معاني القرآن ، ولم تحترم العناوين ،ولم تتقيد بأصل السياق ، ولا أقامت وزناً لخصوصيات الأسلوب،إضافة إلى الكثير من الأخطاء الشنيعة ،ومع كل تلك العيوب البعيدة المنهج العلمي، فإنها ظلت أساسا للترجمات الأخرى ،وللدراسات الغربية عن الإسلام،وللأحكام الجائرة حول الإسلام في نظر الغرب إلى يومنا هذا ([4]).

وعلى الرغم من صدور ترجمات جديدة أخرى ، فإن ترجمة **كتننز** كونت أرضية صلبة للاستشراق ، فكانت أساساً للترجمة التي قام بها **أرفابن Arrivabene** عام(954هـ/ 1547م) إلى الإيطالية ، ونقل الترجمة الإيطالية إلى الألمانية **شفيجر Salmon scheweiger** عام(1025هـ/ 1616م)، وعنها نقلت إلى الهولندية عام(1110هـ/ 1698م)([5]).

ويعترف **لاروم لاندو** في كتابه '' الإسلام والغرب'' ،بأن الغرب لم يعرف حتى وقت قريب ترجمة جيدة للقرآن استطاعت أن تتلقف شيئاً من روح الوحي المحمدي ، وأن المترجمين الأوائل لم يعجزوا عن الاحتفاظ بجمال الأصل فحسب ، بل كانوا إلى ذلك مشبعين بالحقد على الإسلام إلى درجة جعلت ترجماتهم تنؤ بالتحامل ، وأن أفضل ترجمة لديهم لم تستطع أن تحتفظ بالإيقاع الموسيقي الجذاب الآسر للسور، على الوجه الذي يرتلها به المسلم([6]).

2- أول معجمٍ عربيٍ لاتيني :

---

(1) ينظر: عبد الغني أبو العزم : دراسة تاريخية حول موضوع مصادر الدراسات الإسلامية في أوربا ، مجلة المؤرخ العربي ، تصدر عن : الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب ، ع 19،(بغداد ، 1981م) ، ص 218.
(2) ينظر: عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص 68.
(3) ينظر: محمد عريبي : الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ص 144، 145.
(4) ينظر: ريتشارد سوذرن : صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى ، ص 80.
(1) ينظر: محمد عريبي الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي ، ص 145.
(2) ينظر: محمد أحمد مشهور : الإسلام في وجه التحديات ، ص 79.

هذا المعجم ظهر في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ([1])،ولا يوجد منه غير مخطوط واحد بليدن لا يعرف مؤلفه ، ولا تاريخ وضعه ، وهو غير كامل ، ويلاحظ أنه كان يفتقر لقدر من المعرفة باللغة اللاتينية بالإضافة إلى ما لوحظ من عجز في التفريق مابين الترجمة والشرح الموضوعي،والتعليق بشروحات سابقة ([2])، ورغم الأخطاء الشائعة في استعماله للكلمة اللاتينية الواحدة لعدة كلمات عربية وعدم الالتزام بتطابق المعاني ، فإن هذا المعجم كان بمثابة القطب الثاني الذي ارتكزت عليه الدراسات الشرقية([3])،وكمثال لتلك الأخطاء ،فقد تُرجم قول الله – سبحانه وتعالى -للملائكة " **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَا إِبْلِيس أَبَى وَاسْتَكْبر وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِين** " ([4]) **ترجمها "باعبدوا آدم"** ([5]).

3- كتاب مختصر تاريخ الدول لأبي الفرج غريغوري ، المعروف بابن العبري :

ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية ،وعلى وجه الخصوص الجزء الذي يتناول السيرة النبوية، وهذا الكتاب يحتوي على الكثير من الدس والتحريف والتشويه ، و يعتبر **غليوم بوستل Guillaume Postel**(916-989هـ/ 1510-1581م)، رائداً في ميدان الرجوع إلى كتاب ابن العبري لدراسة التاريخ الإسلامي واللغة العربية ،وكان قد ألف كتاباً اسماه'' عن جمهورية الأتراك'' وقد تضمن القسم الأول منه وصفاً لحياة الرسول ، مدعياً أنه استقاه من القرآن والسنة والحديث ، ومما جاء في كتب المسلمين ؛ لاعتقاده – كما كان ينادي بأن أحسن وسيلة لمحاربة المسلمين ، هي محاربتهم بأسلحتهم نفسها([6]) ،وهذا اعتراف واضح بأن هدفه لم يكن علمياً خالصاً ،ولقد حذا حذوه الكثيرون ، أشهرهم المستشرق الإنجليزي **إدوارد بوكوك الأب E.Pococke**(1038-1103هـ/ 1628-1691م) ، ومن بين الكتب التي نشرها ، كتاب '' المختار من تاريخ العرب'' وهو مجتزئ من تاريخ **ابن العبري** ، كما ترجمه إلى اللاتينية، وذيله بدراسات في التاريخ والأدب والدين والعلوم العربية ، وهو أول نص عربي طُبع في أكسفورد ، وقد اعتمد الكثيرون ممن جاؤوا بعد **بوكوك** على كتاب **ابن العبري** هذا فيما كتبوه عن الرسول والإسلام ([7]).

4- المصادر العربية :

---

(3) ينظر: عبد الشافي محمد عبد اللطيف : السيرة النبوية ، ص 428.
(4) ينظر: يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ، ص 21- 23 .
(5) ينظر: عريبي :المرجع السابق ، ص 146.
(6) سورة البقرة ، الآية 34.
(7) ينظر: نجيب العقيقي :المستشرقون ، 3\ 608.
(1) ينظر : نبيه عقل : المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي، ص 184-169.
(2) ينظر: بسام داود عجك : التراث الإسلامي والاستشراق ، ص 169.

في أواخر القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر ميلادي، وبداية القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر ميلادي ، بدأ الغرب في ترجمة أمّات الكتب التي تتناول الإسلام وحياة النبي **محمد**- صلى الله عليه وسلم - والتي يمكن حصرها في الأتي : ''البردة'' **للبصري** تُرجم عام(1238هـ/ 1822م) ، ''الكامل في التاريخ '' **لابن الأثير** : ترجم عام(1268هـ/ 1851م)،وترجم كل من :''السيرة النبويةّ'' **لابن هشام** ، و''أخبار مكة وما فيهامن آثار'' **للأزرقي** إلى الألمانية عام(1275هـ/ 1858م)،''الأعلام بأعلام بيت الله ''**لقطب الدين**(1276هـ/ 1859م)، و''الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة'' **للغزالي**(1295هـ/ 1878م)، و''المغازي''للواقدي(1300هـ/ 1882م) ، كما تُرجم ''تاريخ الرسل والملوك'' **للطبري** ،و''البدء والتاريخ'' **للمقدسي** في عام(1317هـ/1899م) و''صحيح البخاري''(1321 هـ/1903م)، و''الطبقات الكبرى'' **لابن سعد**(1322هـ/ 1904م)، وعلى ضوء هذه الترجمات جاءت الكتب التي تتناول السيرة النبوية خلال القرن الثالث عشر الهجري /التاسع عشر الميلادي والتي تتفاوت في قيمتها واستيعابها للتاريخ الإسلامي حسب الغرض والهدف والسياق الذي أراده مؤلفوها ([1]).

والجدير بالذكر أنه على الرغم من اعتماد عدد كبير من المستشرقين ،على المصادر العربية ، فإن جزءاً كبيرا من مؤلفاتهم ظل تحت تأثير النزعة المسيحية الكنسية ، التي اتسمت بالكراهية والحقد ، متغطية بستار العلمية ، وهذا ما نجده واضحاً في كتابات الأب لامانس– على سبيل المثال - في بداية القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي([2]).

5- المصادر غير العربية :

رجع المستشرقون في كتابة السيرة النبوية إلى دراسات غلاة المستشرقين ، الذين أعماهم التعصب ، فنفثوا سمومهم فيما كتبوه([3])من أمثال الأب **لامانس** الذي خدعت شهرته العلمية الكثيرين ، فأحسنوا الثقة به ([4])، **وجوزيف شاخت** ،**وليون كاتياني Leone Caetani** (1286-1345 هـ/1869-1926م) **وتيودور نودلكه Theodor Noldeke** (1252-

(1) ينظر: عبد الغني أبو العز : دراسة تاريخية حول موضوع مصادر الدراسات الإسلامية في أوروبا ، ص 227..
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 228
(3) ينظر: أحمد عبد الرحيم السائح : " الاستشراق ومنهج نقده " ، ص 457.
(4) ينظر: آتيين دينيه : محمد رسول الله ، ص 49

1350هـ/ 1836- 1931م) الذي بلغ تأثر المستشرقين المتأخرين به لدرجة أن قال بعضهم **"إن مخالفة قول نودلكه ليست بالأمر السهل "**([1]).

ومن المؤلفات الغربية المهمة التي اعتمد عليها المستشرقون كتاب ''حياة محمد'' **لوليم موير** الذي شهد انتشاراً واسعاً في العالم الأوربي، وفيه الكثير من الافتراء على السيرة النبوية ([2]) ،كما اعتمد المستشرقون على الموسوعات التي تباروا في إصدارها ، الواحدة تلو الأخرى ، وكانت أهمها على الإطلاق'' الموسوعة البريطانية '' ([3]).

كما أعتمد جزء كبير من المستشرقين على الموسوعة الروسية ،المتأثرة بالفكر الشيوعي ،حيث أنكرت وجود **محمد** على الإطلاق ، وذكرت أنه يمكن أن يكون لمحمد وجود تاريخي ، ولكن الخرافات قد عملت عملها في تكوين هذه الشخصية ، وقلب حقيقتها قلباً تاماً ، وشككت في صحة الأخبار التي نقلها ابن إسحاق عن السيرة النبوية ،كما أكدت أن الإسلام نشأ من أسطورة مستمدة من اعتقادات سابقة تسمى " الحنفية"([4]).

كما وصفت ''موسوعة لاروس'' الفرنسية النبي – صلى الله عليه وسلم ساحراً ممعناً في فساد الخلق ، لصاً نياقاً ،وبأنه كردينالاً لم ينجح في الوصول إلى كرسي البابوية فاخترع ديناً جديداً لينتقم من زملائه ، وقد استولى القصص الخيالي والخليع على سيرته ([5]).

إن هذا الوصف المفترى على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدل دلالة واضحة على مشاعر الحقد والكراهية التي كانت تموج في نفوس هؤلاء المستشرقون، فالرسول كان أسمى الناس خُلقاً ، وخير دليل أن القرآن الكريم وصفه بأروع المعاني ، قال تعالى:**{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**([6]) .

كما توجد مجموعة من المخطوطات لا زالت موجودة في المكتبات الأوربية لا يعرف أصحابها، وقد تم إنجاز أغلبها ما بين القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر، و الثاني

---

(5) See: Montgomery watt : Mohammed at Mecca,(Oxford University Press,1952),p 82.
(6) ينظر: يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ، ص 182-183.
(7) ينظر: محمد حسن خليفة : أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر ، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية(الرياض،2001م) 138ص
(1) ينظر: محمد بيهم : فلسفة تاريخ محمد ، ص 22- نقلاً عن : المرسوعة الروسية ، ط2، (بدون مكان ، 1954م) 28\ 599.
(2) ينظر: محمد بيهم : المرجع السابق ، ص 11
(3) سورة القلم ، الآية 4.

عشر الهجري /الثامن عشر الميلادي ، وهي من المصادر التي يعتمد عليها جماعة من المستشرقين ([1]).

والجدير بالذكر أن اعتماد المصادر الغربية في الدراسات الإسلامية ، شرط أساسي لإثبات علمية البحث عند المستشرقين ، فحين ألف المستشرق الفرنسي **أتيين دينيه** كتابه ''حياة محمد'' ثارت ثورة النقاد ، وأخذوا عليه أنه لم يقم وزناً لإنتاج المستشرقين في السيرة النبوية ، وأن اعتماده الكلي إنما كان على السيرة القديمة، كسيرة **ابن هشام**، وطبقات **ابن سعد**([2]).

ثامناً /مناهج المستشرقين في دراسة التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية:

لا يمثل المستشرقون اتجاهًا واحدًا ، ومع ذلك كان هناك بعض نقاط التلاقي بينهم ، فهم أبناء ثقافة واحدة تختلف جذريًا عن الثقافة الإسلامية،و قد تناولوا السيرة النبوية ، كل بحسب المنظار الذي كان يستخدمه، فالدوافع، كما هو معروف ، تحكم المناهج .

وإذا سلمنا بأن بعض المستشرقين قد تناولوا السيرة النبوية بشيء من المنهجية العلمية، فإنه يمكن القول بأن معظم الدراسات الاستشراقية التي تناولت السيرة النبوية منذ العصور الوسطى وحتى العصر الحاضر قد اتسمت بالسمات الآتية :

1- منظور الرؤية المسيحية

إن الدارس لتاريخ الأديان يستحيل عليه أن يجد ، أن ديناً حُورب مثل ما حُورب به الإسلام ، وإلا فهل عادت المسيحية منافستها اليهودية المتهمة بدم المسيح ، مثل ما قامت بعداء الإسلام والمسلمين ، وهل حدث أن عكف علماؤها على دراسة التوراة وعرض معانيها مشوه مثل ما يفعلون بالقرآن منذ قرون ([3]).

(4) ينظر: عبد الغني أبو العز : دراسة تاريخية حول موضوع مصادر الدراسات الإسلامية في أوروبا ،ص 221.
(5) ينظر: دينيه: محمد رسول الله ، ص 42.
(1) ينظر: محمد أحمد مشهور الحداد : الإسلام في وجه التحديات ، المقدمة ص أ.

لقد مرت علاقة الأوربيين بالتراث الإسلامي بمراحل مختلفة في دوافعها وأهدافها وفهمها للإسلام ،وإدراكها للأبعاد الفلسفية لسيرة نبيه **محمد** –صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الرؤية الغربية ظلت أسيرة عقيدتها ،في إطار مغلق ، يحفه الخوف والفزع أمام الزحف الثقافي والعلمي ،الذي عرفته الحضارة العربية الأندلسية منذ أن وطأ العرب الديار الأوربية([1])، و تسببت هذه الرؤية في تكوين فكرة مسيحية استقرت في أذهان الكثير من المفكرين الدينيين في الغرب تكمن في تصور أن نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم ،الكاذبة في ظنهم، قد أوقفت تطور الإنسانية باتجاه المسيحية، باعتبار أن المسيحية هي أوج الفكر الإنساني ، وما عداها ضلال في ضلال ، وظلت الأطروحات الأساسية التي يدور حولها النقاش اللاهوتي المسيحي تدور حول **محمد** ، ورسالته كزخرف مضاد للحقيقة وضلال متعمد –على زعمهم- ، تتركز على العنف والسيف ، وهي في نفس الوقت ديانة إباحية جاء بها- حاشاه من ذلك - نبي دجال([2])، وهذه الصورة رُسخت بوجه خاص في ذهن الرجل الأوربي بإطار من التلفيق والتشويه ، وبخيوط الجهل والتعصب ، حتى حفل التراث الأوربي بسوء فهم للإسلام ،ويكفي أن نذكر في هذا المجال أحد الأفكار الشائعة في ذلك الوقت، والتي تثير العجب في ذهن القاريء ،وهو أن المسلمين وثنيين من عبدة الأصنام مع العلم أن أول معركة قادها النبي ضد المشركين كانت موجهة بالدرجة الأولى ضد عبادة الأوثان والأصنام ([3]).

لقد حاول بعض المستشرقين عرض حياة الرسول من وجهة النظر المسيحية ، فقد اختار **غليوم بوستل** ، ما يعتقد أن فيه مجالاً للطعن ، ثم أضاف- متعمداً - إليه الأساطير السخيفة والمزاعم الوقحة ([4]).

وكمثال بارز لأثر الرؤية المسيحية على دراسة السيرة النبوية في أوروبا ، نستعرض منهج المستشرق **لامانس** ، الذي نقده المستشرقون المنصفون أمثال **دينيه** الذي ذكر :

> **" أن منهج لامانس منهج ساذج كل السذاجة ،إنه منهج العكس،إنه ذلك المنهج الذي يأتي بأوثق الأخبار ، وأصدق الأنباء فيقلبها – متعمداً إلى عكسها ، وكلما كان الخبر أوثق كلما بدت الرغبة في البراعة من ذلك الذي يتبع هذا المنهج قوية جامحة "**([5]) .

---

(2) ينظر: عبد الغني أبو العزم : دراسة تاريخية حول موضوع مصادر الدراسات الإسلامية في أوربا ، ص 215.
(1) ينظر :محمد القاضي : الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف ، ص 185.
(2) ينظر: عبد الغني أبو العزم : دراسة تاريخية حول موضوع مصادر الدراسات الإسلامية في أوربا ، ص 219 .
(3) ينظر: أنور الجندي : " المستشرقون والسيرة النبوية " ، الإسلام والمستشرقون ، مجموعة الأبحاث االتي قدمت للندوة العلمية التي أقيمت عن الإسلام والمستشرقون بمجمع دار المصنفين بالهند (جدة ، 1985 م)، ص 227.
(4) دينيه : محمد رسول الله ، ص 50.

وهذه أمثلة لمنهج **لامانس** في عرض السيرة النبوية :

أ- لا يجادل اثنان في أن الرسول –صلى الله عليه وسلم - خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز شعير، عن **عائشة** رضي الله عنا ، قالت :

" ما شبع رسول الله ثلاثة أيام تباعاً " ([1])

كما قالت – رضي الله عنها :

" تُوُفِّيَ رَسُولَ الله – صَلَّىَ الله عَليه وَسَلْم - وَمَا فِي بَيْتِي شَيءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفِّ لِي ،فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَىَّ فَكِلْتَهُ فَفَنِيَ " ([2])

وكان يأتي على أهله الشهر والشهران لا يوقد في بيت من بيوتهم نار ، وكثيراً ما كان قوته التمر والماء ، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع ، وقد ذكرت السيدة عائشة في حديث آخر أن الفاقة كانت أحب إليه من الغنى ، وأن كان ليظل يتلوى طول ليلته من الجوع ، فلا يمنعه صيام يومه ، ولو شاء سأل ربه كنوز الأرض ، وثمارها ورغد عيشها،([3])، ومع ذلك فإن لامانس يصفه- صلى الله عليه وسلم - بأنه رجل شره أكول قد كثفت جسمه الملذات([4])، ولا يذكر **لامانس** شيئاً عن صوم الرسول لشهر رمضان ، أو صيامه الاثنين والخميس ، أو أنه كان يصوم حتى يظن أنه لا يفطر ([5]).

ب- ومثال آخر ، يعتبر **لامانس** المنافقين هم أبطال الوطنية ، وإذا سألت من هو هذا الدخيل الذي لم تنبته الجزيرة العربية ، والذي يقف أمامه أبطال الوطنية القومية – كما وصفهم - فإنك لا تجد من القسيس سوى الصمت ([6]).

ت- إن هذا القس يفسد متعمداً الصور التاريخية لحياة الرسول – صلى الله عليه وسلم ،فهو حين يحدثنا عن مكة والمدينة في عهد الرسول ، يعطينا صورة أوربية حديثة ، وكأنه يحدثنا عن باريس أو لندن ، فيتحدث عن:(الحملة الصحافية ، عن الماليين ، بنك مكة ، النقابة القرشية ، الضريبة على الدخل ، طبقة العمال ، إبلاغ الرسالة إلى محل الإقامة ، ديوان ذي الجلالة ، وزارة الله)، إلى آخر هذه التعبيرات التي تفسد الصورة ولا تصور

---

(5) رواه الإمام أحمد في مسنده ، مسند عائشة ، رقم الحديث 25163 .
(1) رواه البخاري في صحيحه،كتاب فرض الخمس ، باب نفقة نساء النبي – صلى الله عليه وسلم- بعد وفاته، رقم الحديث : 3097.
(2) القاضي أبو الفضل عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الفكر (بيروت ، ب ت) 1 / 143.
(3) ينظر: محمد بيهم : فلسفة تاريخ محمد ، ص 12.
(4) ينظر: دنييه : محمد رسول الله ،ص 52.
(5) ينظر: المرجع نفسه ، ص 54

الحقيقة ([1]).

والخلاصة : أن النظرة المسيحية ظلت مسيطرة على أقلام المستشرقين أثناء كتابتهم عن الإسلام ونبيه **محمد** صلى الله عليه وسلم ، وعلى الرغم من تمكن بعض المستشرقين من تجاوز هذا الاتجاه، فقد ظل الهدف الرئيس الذي يحرك الدراسات المعتمدة على المنهج التاريخي المقارن منصباً على محاولة البحث عن دور المسيحية وتأثيرها في العقيدة الإسلامية ومساهمتها في بناء الإسلام.

2- سيطرة النظرة الغربية

لقد مال المفكرون الغربيون، منذ عهد الرومان واليونان، إلى أن يتبصروا تاريخ العالم من وجهة نظر التاريخ الأوربي، والتجارب الثقافية الأوربية وحدها ، أما غيرها فلا يعرف لها وجود ، إلا من حيث إن لوجودها تأثيراً مباشراً بمصير الإنسان الغربي ، وهكذا فإن تاريخ العالم وثقافته لا يعدوا أن يكون في أعين الغربيين تاريخاً موسعاً للغرب ، وطبعي أن النظر من هذه الزاوية الضيقة لابد أن يوقع العين على مشهد مشوه غير سليم ([2]).

تنطلق المنهجية الاستشراقية في نظرتها إلى الشرق وإلى الإسلام ونبيه من اعتبار سياسي بالأساس ، مفاده أن المستشرق يحاكم منطق الشرق بكل ما يحمله من موروث ، ومن ثم يبدأ بإعادة إنتاجه وصياغته في ضوء المنهجية الغربية في الرؤية إلى الشرق ، ومن زاوية خارجية تجعل أسرار الشرق وتبعاته واضحة للغرب ومن أجله ([3]).

إن هذه الرؤية هي التي تجعلهم يعينون لهم غاية ويقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل وسيلة ثم يقومون بجمع المعلومات ،لإثبات صدقها من كتب الديانة والتاريخ ومن الأدب وما تضمنته من شعر أو قصص فكاهة أو مجون ، وإن كانت تلك المواد تافهة لا قيمة

(6) ينظر: دينبيه : المرجع السابق ، ص 55.

(1) ينظر: محمد أسد : الطريق إلى الإسلام ،دار العلم للملايين ،ط5،(بيروت ، 1977م) ، ص 17 . محمد البشير الهاشمي مغلي : "المنهج المنحرف في دراسة التاريخ الإسلامي "، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، ع 13 ، (طرابلس ، 1996م) ص 302.

(2) ينظر: محمد القاضي : الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف ، ص 184.

لها ، ويقدمونها بعد التمويه بكل جرأة ، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في أنفسهم وأذهانهم ([1]).

ومن أجل ذلك ،يؤكد المستشرقون على أهمية الفرق المنشقة عن الإسلام ، كالبهائية([2])، والقاديانية ([3])، والبابية ([4])، وغيرها من الفرق القديمة والحديثة ، ويعمل على تعميق الخلاف بين الشيعة والعام، ويعتبر المنشقين عن الإسلام أصحاب فكر ثوري تحرري عقلي ،فإسلام الكتاب والعامفي نظر مستشرق معاصر مثل : **كيسلنج**، إسلاماً ميتاً ، أما الإسلام الحي الذي يجب الاهتمام به فهو الإسلام المنتشر بين فرق الدراويش في مختلف الأقطار الإسلامية ، وهو تلك الممارسات السائدة في حياة المسلمين اليوم ، بصرف النظر عن اقترابها أو ابتعادها من الإسلام الصحيح ([5]).

3- التفسير المادي للتاريخ

يعتمد المستشرقون في كتاباتهم على التفسير المادي للتاريخ ،بمعنى أنه لا وجود حقيقي إلا للأشياء الملموسة،أي أن تحليل حركة التاريخ واتجاهها لا يخضعان إلا لمعايير مادية بحتة ، وبالتالي لا يعترفون بوجود التأييد الإلهي أو الإرادة الغيبية،وهم على هذا يعولون ظهور الإسلام للعامل الاقتصادي ويردون الفتوحات الإسلامية إلى قحط الصحراء وجوع العرب([6]).

وهذه النظرة المادية ،جعلت المستشرقين لا يرون الرسالة المحمدية إلا في سياقها البشري التاريخي، و يقفون من نبوته موقف الإنكار المطلق ، وهذا الإنكار يترتب عليه القول بأن

---

(3) ينظر: أبو الحسن الندوي : الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين ، ص 19.

(4) هي نحلة منبثقة من العقيدة الشيعية ، كان أول من دعا إليها في شيعة العراق أحمد زين الدين الإحسائي (1157-1242هـ/ 1744- 1826م) ، وله أتباع يسمون الآن الشيخة ، وقد قامت البهائية على أساس أنه ليس لله وجود مطلق باسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه في كتب أنبيائه ....وكما أن الإسلام نسخ الديانات السابقة ، فالبهائية نسخت افسلان ، وكل الأديان كانت ناقصة وبدائية ، وأكتملت بدين البهاء الكامل. لمزيد من التفاصيل ينظر : محب الدين الخطيب ، علي علي منصور ، ومحمد كرد علي ، ومحمد فاضل : دراسات عن البهائية والبابية ، حركات هدامة ، المكتب الإسلامي (بيروت ، 1391هـ) ،ص 3-4.

(5) 3 تُنسب إلى المرزا غلام القادياني ، وهو ينتمي إلى السلالة المغولية ، وهي نظير الباطنية والاسماعيلية .لمزيد من التفاصيل ، ينظر : أبو الحسن علي الحسني الندوي : عن القادياني والقاديانية ، دراسة تحليلية ، الدار السعودية للنشر ، ط4 (جدة ، 1971م) ، ص7 .

(6) حركة منبثقة من البهائية ، حيث أعلن علي محمد الشيرازي أنه الباب للمهدي المنتظر ، ومعنى الباب في الإصطلاح الشيعي : الشخص الذي يكون واسطة بين الشيعة الإمامية ، وإمامهم الثاني عشر ، محمد بن الحسن العسكري ،= =الذي يقولون أنه ولد في 255هـ/868م) وغاب في سرداب سامراء 260هـ/ 873م) وهوابن ست سنين ، وتقوم عقيدتهم على أنه هو المهدي المنظر . لمزيد من التفاصيل ينظر: راشد عبد الله الفرحان : الأديان المعاصرة ، جمعية الدعوة الإسلامية ، ط2، (طرابلس ، 1985م) ، ص 102.

(1) ينظر: محمود حمدي زقزوق : الإسلام والإستشراق، ص 116

(2) ينظر: حمد البشير : المنهج المنحرف في دراسة التاريخ الإسلامي ، ص 300- 304. S.Zwemer: " Character of Mohammad", Musilm World Jornal , 1911,Vol1,p355

محمدا ليس نبيا مرسلاً،وإنما عبقري ،بالغ الذكاء،أو بطل أو مصلح اجتماعي ([1])، أو زعيم ورئيس ، أو داعٍ إلى الاشتراكية وفي هذا الصدد يدعي المستشرق الألماني هويرت جريمى فى كتابه ''محمد ''أن الرسول – صلى الله عليه وسلم - لم يكن في بادئ الأمر يبشر بدين جديد بل كان يدعو إلى الاشتراكية، في محاولة للإصلاح الاجتماعي تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة، وعلى الأخص إزالة الفوارق الصارخة بين الأغنياء والفقراء، لذلك نراه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين، وهو يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوي وتأييد دعوته ([2]).

إن مثل هذه الأفكار النابعة من الفكر المادي لا ترى في الإسلام غير الاشتراكية ، وتغفل عن مبادئه السمحاء الأخر التي تؤكد شموله وإحاطته بكل دقائق الحياة البشرية ، فالإسلام دعوة إلى التوحيد والرحمة والمساواة والعدالة ، وهو منهج قويم لسمو الأخلاق والرحمة والصحة الجسدية والنفسية ، وطريق للتقدم والنهضة والرقي ، وبالتالي فإن أمثال هذا المستشرق لن يصلوا إلى حقيقة أن الإسلام دين منزل من عند الله ما داموا يرونه من جوانب ضيقة .

إن الغرب عاجز – كما يرى أحد الباحثين عن فهم الحياة الشرقية ، وأعجز منه عن فهم حياة المسلمين بصورة خاصة ، ما دام يفلت منه العنصر الغيبي ، ذلك البعد الذي لا زال يفتقده ولا سيما في العصر الحاضر الذي تغلب عليه مختلف النظريات المادية والتجريبية ،وأنّى لبحوث غربية أن تدرك السر في تبرع أبو بكر بكل ماله ، أو تقف على البواعث الحقيقة التي حملت **صهيباً** على التضحية بثروته ، وتركها لأهل مكة مقابل أن يُسمح له بالهجرة([3]).

4- استخدام لغة التحاشي :

وهي لغة يحاول بها الكاتب تحاشي التصريح بالحقائق، وإعطاء انطباع بعدم الوضوح والتأكد، وتوظف هذه اللغة بالاعتماد على وسائل عدة منها صيغة المبني للمجهول مثل: يقال، ويعتقد، والقارئ لا يعرف من الذي يقول أو يعتقد أهو الكاتب نفسه أم أحد العلماء المتخصصين؟ وعبارات مثل: يبدو وربما، وصفات وتقديرات مثل: قليل، إلى حد بعيد، بشكل

(3) ينظر: محمد أبو شهبة : السيرة النبوية، ص 15.
(4) ينظر: ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية ، 3 \124
(1) ينظر: محمد البشير : المنهج المنحرف في دراسة التاريخ الإسلامي ، ص 309- 314

ما، وخلافها. وما تزال هذه اللغة هي اللغة السائدة في المراكز الأكاديمية الغربية في دراساتها المتعلقة بالتاريخ الإسلامي([1]).

وتأمل هذه العبارة التي تمثل مثالاً لذلك ، والتي قالها المستشرق الإنجليزي وليم موير في وصفه للعلاقات بين الرسول- صلى الله عليه وسلم ، واليهود :

" وتقريباً ...طرأ تغير في سياسة محمد العامة في جوانب مهمة ، أحدها كان الإنفصال عن اليهود "([2]).

فالقاريء يستشعر من خلال تلك العبارة أن الرسول – صلى الله عليه وسلم قد رسم سياسة معادية ضد اليهود منذ هجرته إلى المدينة ، وأنه لم يغير تلك السياسة حتى أجلاهم عن المدينة.

ومثال آخر لهذا الأسلوب نجده عند وات الذي شكك في مقدار العذاب الذي لقيه المسلمون على أيدي كفار قريش مما أضطرهم إلى الهجرة ، حيث قال :

" ...ويقال إن هذا الإضطهاد أدى إلى هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة ...."([3])

5- منهج الانتقاء الكيفي واعتماد الضعيف والشاذ :

يعتمد المستشرقون على التفسير الاختياري للنصوص التاريخية وانتقاء الروايات والشواهد والوقائع التي توافق هواهم ، وتؤيد مزاعمهم منتحلين لها مختلف الإحالات والمؤيدات الوهمية التي يستلونها من اختراعاتهم وتلفيقاتهم ([4]).

لقد حصر أغلب المستشرقين مصادر دراساتهم في المصادر الغربية فقط ، ولم يعترفوا بالمؤرخين المسلمين ، ودرجوا على اللجوء إلى كتابات من سبقوهم ، واعتبارها هي المصادر الأصلية،رغم ما فيها من تعصب وافتراء وحياد عن الحقيقة ، وعمدوا إلى إقصاء الروايات الإسلامية وإضعافها، وإذا حدث أن أخذ بعضهم عن المصادر الإسلامية ، ليؤكد على منهجيته

---

(2) ينظر: وليد بن بهليش العمري: السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ، ص 15

(3) William Muir :Life of Mohammed from the original sources, Smith Elder Co (London, 1864) 4\234.

(1) Muhammad at Mecca : Pp 145-146.

(2) ينظر: محمد البشير : المنهج المنحرف في دراسة التاريخ الإسلامي ، ص 310

العلمية ، فإنه يأخذ الضعيف و الشاذ منها([1])، لأن هذا الضعيف و الشاذ هو الأداة الوحيدة لإثارة الشك ([2]) .

وعلى سبيل المثال ، يعتمد المستشرقون في قراءة خبر زواج الرسول – صلى الله عليه وسلم ، بابنة عمه زينب بنت جحش على روايات ضعيفة ، أكد المؤرخون والعلماء المسلمون أنها ليست صحيحة ولا يعتد بها ([3]).

كما كان منهج الانتقاء الكيفي سلاحاً في يد المستشرقين في اختيار الألفاظ والمصطلحات التي رسموا بها أفكارهم ،فقد كتب أحد المستشرقين عن تدوين السيرة النبوية عند المسلمين:

" وجد بين التابعين من يعتبرون علماء مغازي ، وهي الحروب ، وينبغي لنا أن نقصر هذا اللفظ على المعنى الخاص بأعمال النبي والصحابة الحربية ، وإن كان في الغالب يطلق على سيرة النبي جميعها ([4]).

المتأمل في هذه العبارة يستطيع أن يتصور ، صورة النبي من خلالها ، كأحد جنود المغول أو الهكسوس أو النورمان الذين يتدرعون الدروع ،ويمتشقون السلاح، وتعلو قسماتهم القسوة والخشونة، ولا عمل لهم سوى الغزو والقتل والتخريب.

6- منهج البناء والهدم

وهذا يمكن تسميته الجدال المناقض، حيث يعمد المستشرق ، منذ البداية إلى ذكر الرأي المخالف بشيء من التقدير،لإيهام القارئ بالموضوعية ، ثم دحض هذا الرأي بهدوء وتقديم الدلائل المنطقية على موقف المجادل فيصعب على رجل متوسط في عقليته أن ينتهي من قراءتها دون الخضوع لها ([5]).فعلى سبيل المثال :يشيد المستشرقون، في بعض القضايا، بشخصية الرسول ، وذلك ليبينوا للقارئ أنهم موضوعيون ، ثم يعمدون إلى النبش عن القضايا التي تناقض رأيهم ذاك ليستنبط القاريء أن **محمداً** شخصية غير جديرة بالاحترام ([6]).

---

(3) ينظر: محمود حمدي زقزوق : الإسلام والإستشراق، ص 116
(4) ينظر: أنور الجندي : المستشرقون والسيرة النبوية ، ص 248.
(5) ينظر: عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير : السيرة النبوية ،تح :مصطفى عبد الواحد (القاهرة ،1964م) 3\491.
(1) يوسف هوروفتس : المغازي الأولى ومؤلفوها ، ص2 .وقد كرر نفس العبارة في ص 34.
(2) ينظر: أبو الحسن الندوي : " الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين، ص 20.
(3) ينظر: وليد بن بليهش العمري: السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ، ص 16

وكمثال على ذلك يسهب المستشرق الإنجليزي **وات** في الحديث عن حكمة النبي صلى الله عليه وسلم ليقول :" **إن من له مثل هذه الحكمة لم يكن ليدعو قيصر الروم وكسرى فارس للدخول في الإسلام ليلفت انتباههم بذلك إلى الخطر الذي يشكله على ملكهم"** ([1]).

وهكذا يستنبط القاريء أن صفة الحكمة قد ألصقت بالرسول – صلى الله عليه وسلم- بينما تصرفاته مخالفة لتلك الصفة.

وعادة ما يقدم المجادل بهذا الأسلوب تنازلا مراوغا أو اعترافا بوجاهة الرأي الآخر؛ لكي يوحي للقارئ بأنه فهم الرأي الآخر، ولكن بعد تفكير عميق وبحث واستقراء للواقع يصل إلى نتيجة مخالفة، وكمثال لذلك ، يقول أحد المستشرقين :

" ورغم الإجحاف في حقه كثيرا من قبل علماء أوربا في القرون الوسطى- الذين لا تزال آراؤهم تحتفظ ببعض التأثير فقد أصبحت النظرة لمحمد أكثر موضوعية في القرن التاسع عشر فبعض الأدلة ضده، مثل تواطؤه في بعض الاغتيالات وإقراره اغتيال بعض رجال قبيلة يهودية، أمور تاريخية لا يمكن تكذيبها"([2]).

فهذا المستشرق الغارق في تحيزه ، ينقد في البداية موقف الغربيين غيرا لمنصفين للرسول – صلى الله عليه وسلم - لكنه يعود ليؤكد دليلاً تاريخياً صحيحاً، أن الرسول- صلى الله عليه وسلم _ وحاشاه من ذلك- كان متواطأً في بعض الاغتيالات السياسية ، وقد خص اليهود بالذكر ليستدر عطف القاريء الغربي الذي تسيطر عليه فكرة (الشعب اليهودي المضطهد في كل مراحل التاريخ).

تاسعاً/أثر فكر القرون الوسطى في الكتابات الاستشراقية الحديثة حول السيرة النبوية:

لقد حالت الأوهام والأباطيل،التي سادت الدراسات الاستشراقية الكثيرة عن الإسلام، زمنًا طويلاً دون دراسة الإسلام في أوروبا دراسة علمية، كما ساهمت في تكوين الوعي الغربي وفق الصورة التي رسمتها عن الإسلام والمسلمين ، وكان لها كبير الأثر في تعويق الغربي وتحصينه ضد الإسلام ، وحملت من الإيحاءات وبذور العداء الشيء الكثير مما ساهم و يساهم في إذكاء الصراع بين الإسلام والغرب([3]).

---

(4) See:Montgomery watt :Muhammad at Medina(Oxford,1958) ,Pp41-42

(1) وليد بن بليهش العمري: السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ، ص 17

(2) ينظر: إميل درمنغم ، حياة محمد ، ت: عادل زعيتر ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط2 ،(بيروت ،1988م) ، ص 10 .

إن أصول الفكر الاستشراقي تعود في جذورها إلى القرون الوسطى ، حيث اتجهت الكنيسة ، منذ الوجود الإسلامي في الأندلس ، إلى بحث أصول الثقافة العربية الإسلامية؛ لأن ظاهرة الدين الإسلامي أصبحت تكون العقيدة الرئيسة داخل الكنيسة ، وقد تحددت أهدافها في محاولة إيجاد الصيغ اللاهوتية لدحض العقيدة الإسلامية وتفنيدها ، وهذا لم يكن ليتم في غياب المعرفة الدينية للقرآن وتاريخ الرسالة والجوانب المكونة لشخصية الرسول، واعتبر بطرس المحترم ، الذي ربما قرأ كتابات **يوحنا الدمشقي** عن الإسلام([1])،هذا الأسلوب الصيغة العلمية التي تفوق حدتها حد السيف (2)، وكانت الكنيسة تسعى بذلك إلى تحقيق هدفين : الأول ، أن تحد من تغلغل الإسلام بين صفوف الغربيين ، والثاني أن تعمل على تنصير المسلمين ، فظهرت كتابات تصور شخص الرسول- صلى الله عليه وسلم بأنه مسكون بالشيطان، وأنه ضد المسيح وانتشرت هذه الأفكار في عموم أوروبا؛ وكان لها دور كبير في اتحاد صفوف القوات الأوروبية أثناء الحروب الصليبية([3]).

إذن فقد كان موقف الغرب المسيحي في العصر الوسيط من الإسلام هو موقف العداء والمشاحنة ،و كانت كتابات المستشرقين تصطدم بحكم سابق ،مفاده أن الدين الإسلامي دين معادٍ للمسيحية ليس فيه خير، وهكذا كان الناس لا يصدقون إلا تلك المعلومات التي تتفق و هذا الرأي ، وكانوا يتلقفون بنهم كل الأخبار التي فيها إساءة إلى النبي العربي ، ودين الإسلام([4]).

ولعل اشهر كتاب القرن الرابع الهجري / التاسع الميلادي : **ايلوجيس Eulogius** ،الذي قام بكتابة العديد من الرسائل مشددا فيها على أن الرسول- صلى الله عليه وسلم - كاذب -حسب زعمه- وأنه مدعٍ للنبوة ،وأنه أغلق الباب لأي نبي يأتي بعده، ووصفه بالذئب المختبئ بين الخرفان، وركز على حادثة زواج الرسول –صلى الله عليه وسلم - من **زينب بنت جحش**([5]).

---

(3) ينظر: ريتشارد سوذرن : صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى ، ص 18.

(4) ينظر: عبد الغني أبو العزم : دراسة تاريخية حول موضوع مصادر الدراسات الإسلامية في أوربا ، ص 217.

(1) 3 من المعروف أن الحروب الصليبية قد ألهب الحماس إليها : بطرس الناسك ،الذي اختلف المؤرخون في تحديد شخصيته حتى الآن بصورة جلية ، وهو من مواليد مدينة (أميان) شمال فرنسا ، وقد انقطع للعبادة والزهد، فلما بلغته دعوة أورلياك الثاني لحرب المسلمين ، ألقى بنفسه في عبابها ، ومضى يبشر الناس بأن بلاد المسلمين ،أرض لبن وعسل ، وأن نهاية العالم وعودة المسيح إلى الأرض قريبة ، وأنه لا ينبغي عودته إلا وقد استرد النصارى بيت المقدس من المسلمين – عن:- على حسين الشطشاط : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي (الجماهيرية ، 2004م) ، ص69- 70. 89.-Pp122 ,Ahistory of the crusades :s .Runciman :Also see
123.and,Setton,W and Baldwin : A history of the Crusades(,pennsylvania, 1958),Vol, I,P 78

(2) ينظر: رودي بارت : الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية ، ص 9- 10 .

(3) ينظر: صابر طعمه : أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي ، ص 101.

ولعل السبب في طغيان ذلك العداء للإسلام ، يعود إلى أن الحس الأوربي المسيحي الوسيط ، كان مشبعاً بترقب يوم القيامة ، وكانت كتابات آباء الكنيسة المستندة إلى بعض نُذر العهد القديم ورؤيا يوحنا قد حددت أمارات لذلك ، وقد رأى الشراح واللاهوتيون منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي أن الرسول – صلى الله عليه وسلم - والإسلام يدخلان فيها، وهكذا فقد بدأ النظر منذ حقبة مبكرة للرسول – صلى الله عليه وسلم - باعتباره المسيح الدجال ، وكانت انتصارات الإسلام الدنيوية تغذي هذا التصور، وظهر رأيُ بين كثير من اللاهوتيين يتلخص في أن **محمداً**– صلى الله عليه وسلم - هو مطران أو بطريق في الأصل تشاجر مع بطريق القسطنطينية فشكل هرطقة انفصلت تدريجياً عن المسيحية الكاثوليكية الصحيحة ، ولم يشغل القائلون بهذا الرأي أنفسهم بنقض الرأي السابق (الذي رأى أن الرسول محمد هو المسيح الدجال) بل اعتقدوا أن الرؤيتين تاريخيتان ، ويمكن أن تكمل إحداهما الأخرى ،وهذا التصور توارى في أوروبا منذ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي؛ ليعود للظهور من جديد في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي ، وهذا عائد إلى أن اللاهوتيين الأوربيين لم يكونوا يسعون إلى التعرف إلى الإسلام ، بقدر ما كانوا يقترحون وسائل لمواجهته والقضاء عليه حرباً أو سلماً([1]).

ومن ناحية أخرى ، ساد تصور شعبي مُغرق في الخيال استند إلى عوام من الكهنة المتجولين ، وبعض العائدين من الشرق من فرسان الصليبيين ، يقول بوثنية إسلامية فظيعة ، قوامها ثلاثون إلهاً، أهمهم: فراكوتوس ، أبولو ، محمد ، ومن الغريب أن هذه الصورة المُتخيلة قامت واستمرت ، وقاومت حتى امتزجت بعض أفكارها عن الإسلام بعصور الاستشراق الحديثة من مثل : الاقتناع بافتقار الإسلام إلى الأخلاقية ، ورفض الإسلام للنقاش الفكري ، وتبلد المسلمين العقلي([2]).

وحيث إن موضوع تأثر الكتاب المعاصرين بالكتابات القرن وسطية موضوع يطول الحديث فيه فسوف نكتفي بعرض نماذج صغيرة تعطي صورة واضحة عن ذلك التأثير والتأثر، فقد ظهرت في النصف الثاني من القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي كتابات اعتبرت أكثر مقاربة للحقيقة التاريخية ، ترى أن **محمداً** – صلى الله عليه وسلم - نبي وليس إله ، كما اعتبرت الإسلام دين وحدانية ، وليس مذهب تعدد آلهة ، لكن هذه الأقوال ظلت ضائعة في بحر الخيالات والأوهام ،وظلت مصادر الأوربيين عن الإسلام حتى مطلع القرن السابع الهجري

(1) ينظر: ريتشارد سوذرن : صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى ، ص 17.
(2) See:Norman Daniel : . Islam and The West Pp23-26.

/الثالث عشر الميلادي تحريفات قديمة وأساطير خيالية وتصورات تعود في جذورها لرؤى العهد القديم ، وهذا ما نجده واضحاً في كتابات **جيربرت نوغنت Gulbert Nogent** كاتب أول سيرة للنبي بأوروبا الغربية في النصف الأول من السادس الهجري / القرن الثاني عشر الميلادي، وكان ذا عقلية متميزة مقارنة بمعاصريه والذي صرح أنه لم يستطع الاستناد على مصادر مكتوبة عن النبي ، وقد أدرك بما تجمع لديه من معطيات ضئيلة عن حياة نبي الإسلام أن الصورة السائدة عنه وعن الدين الذي جاء به غير صحيحة على الإطلاق ،بيد أنه اعتنق السائد ؛ لأنه كما قال : لا يقدر على مخالفة الرأي الشائع ، والنص المقدس ،نص العهد القديم([1]).

وباختصار فقد كانت صورة النبي **محمد** في كتابات الأوربيين في العصر الوسيط ، تتلخص في أنه رجل مسيحي الأصل تزوج أيماً ([2]) ثرية ، وكان مصاباً بالصرع ، وهدفه سحق المسيحية عن طريق إشتراع حرية جنسية واسعة ، وأن الخنازير افترسته خلال إحدى نوبات الصرع وعلى أساس من هذه المعالم القليلة والمظللة ، بنى الغربيون في القرون الآتية ، بناء ضخماً من الحكايات، وقد ظهر ذلك واضحاً في مؤلفات **ميشيل بودير Michel Baudier** التي تعتبر أول المحاولات التاريخية التي أرادت أن تؤرخ تاريخاً عاماً للأتراك ، وفي نفس الوقت تناول مولد الرسول وحياته وموته، وهي كغيرها من دراسات القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي انحصر همها في تسفيه النبي **محمد** واعتباره مدعياً للنبوة ، وصاحب دين متخلف وهمجي وعدواني ، وقد أهدي هذا الكتاب إلى الكنيسة ، كما قام **برورون Bergeron** بإفراد كتاب كامل عن حياة النبي ([3]) ،كذلك فعل **بريدو H, Prideau** ([4])، الذي كتب في عام(1146هـ/ 1733م) ''حياة ذي البدع محمد'' ، ترجم إلى العديد من اللغات الأوربية ،وهو عبارة عن هجوم مكثف على الإسلام ([5]) أوضح في مقدمته غرضه من الكتاب بأنه خدمة المقصد المسيحي ([6]).

وقد نهج الكتاب المتأخرون نفس المنهج الذي سار عليه سابقوهم ([7])، ففي عام(1259هـ/1843م)،كتب **جوستاف فيل Gustav Weil** (1223-1307هـ/ 1808-1889م) ،كتاب''محمد وحياته'' ،الذي يعد أشد الكتب الاستشراقية تحاملاً وبعداً عن

(1) ينظر: ريتشارد سوذرن : صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى ، ص 17.
(2) الأيامي : الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء+ ابن منظور : لسان العرب المحيط ، مادة : أيم ،1\154.
(3) ينظر: عبد الغني أبو العز : دراسة تاريخية حول موضوع مصادر الدراسات الإسلامية في أوربا ، ص 223- 224
(4) ينظر: نجيب العقيقي : المستشرقون ، 3\ 44-45.
(5) ينظر: عبد الغني أبو العز : المرجع السابق ، ص 227.
(6) ينظر: أتيين دينيه: محمد رسول الله ،ص15.
(7) ينظر: محمد بيهم : فلسفة تاريخ محمد ، ص 10.

الموضوعية والعلمية والدقة التاريخية ([1])، ولا ننسى **تيودور نولدكه** الذي كانت له العديد من الافتراءات على الرسول منها إدعاؤه بأن الرسول – صلى الله عليه وسلم كانت تنتابه نوبات عنيفة من الإنفعال جعلته يظن أنه تحت تأثير إلهي وأنه يتلقى وحياً ([2]) ، وفي عام(1293هـ/1876م) وصفه **دورتي** ،وحاشاه -صلى الله عليه وسلم -من ذلك ، بالأعرابي القذر المنافق ([3]).

وعلى الرغم من ظهور بعض المؤلفات الأكثر اعتدالاً مثل كتاب'' في الديانة المحمدية'' للهولندي **إدريانوس ريلاند Hadrian Reland**(1087-1131هـ/1676-1718م) فإن هذه المؤلفات كانت تهمل وتحارب ([4]).

وامتد تأثير الكتابات القرن وسطية إلى القرن العشرين ، فقد كتب كليموفتش ، وهو كاتب روسي عام(1376هـ/1956م) كتاب'' الإسلام أصله وروحه الإجتماعي'' ، صور فيه الإسلام بصورة دين إقطاعي لا يعرف المساواة بين الطبقات والأفراد ، ويظهر المسلمين بمظهر القساة العتاة الذين استعبدوا الشعوب وظلموها ، ويريد بذلك أن الشيوعية هي وحدها التي أنقذت البشرية من الإقطاع والطبقية ، وهو يفتري على المسلمين بأنهم استعاروا عناصر خيالية من أجل إضفاء المزيد من التقديس على نبيهم ([5]).

ومن آثار الكتابات الاستشراقية في القرن وسطية في مجال الأدبيات : ما جاء في قصيدة **رولان**، بما معناه : أن فرسان شارلمان قد أسقطوا الأصنام الإسلامية ، وأن العرب يعبدون ثالوثاً مؤلفاً من : **محمد ، وأبولون، وتيرفاجان**([6]) ، كما جاء في رواية ألفت بعد الحروب الصليبية : أن الإسلام يبيح زواج المرأة الواحدة من عدة رجال معاً ([7]).

كما أثرت هذه المفتريات في كتاب عصر النهضة بعد ذلك ، فقد كتب **فولتير Voltaire**(م:1192هـ/1778م)، مسرحية قدمها إلى البابا بنوا الرابع فيها الكثير من التحامل على **محمد** ودينه ، وقد جاء ضمن كلمة التقديم التي صدر بها المسرحية:

---

(8) ينظر: عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، ص 56.
(9) ينظر: محمد عبد الله الشرقاوي : الاستشراق، ص136-146.
(1) ينظر: محمد بيهم : فلسفة تاريخ محمد ، ص 11.
(2) ينظر: محمد أحمد مشهور الحداد : الإسلام في وجه التحديات ، المقدمة.
(3) ينظر: محمد بيهم : المرجع السابق، ص 21.
(4) ينظر: ريتشارد سوذرن : صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى ، ص68.
(5) ينظر: صابر طعمه : أخطار الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ص 100.

" فلتستغفر قداستك لعبد خاضع ، هو من أشد الناس اعجاباً بالفضيلة ، إذ تجرأ وقدم إلى رئيس الديانة الحقيقية ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية " ([1]) .

كذلك كتب **رينو وفرانسيس ميشال** في عام(1247هـ/ 1831م) ''قصة محمد'' ، وهي تصور الفكرة التي كانت سائدة عنه لدى أهل العصور الوسطى ([2]).

وهكذا فإن المعرفة بالإسلام التي تملكها أوروبا منذ قرون قائمة على أساس التقارير المشوهة والمغلوطة كلياً ، التي أعدها المسيحيون ، وهذا هو الأمر الذي أدى إلى نشر الأكاذيب والإفتراءات المنقولة حول الإسلام ونبيه ، فكل خير وجدوه فيها أخفوه تماماً ، وكل شيء لم يكن محموداً في عين أوروبا كبروه وبالغوا في بيانه أو شوهوا صورته في التعبير عنه.

والخلاصة : إن واقع الاستشراق ليس فيه موضوعية ولا منهجية ولا استقامة ، وإنما كان هذا التغير أو التطور في الأساليب ضرورة أملتها الظروف وواقع الحال، وكان لابد من تغيير الأساليب لتتلاءم وتتواءم و المواطن الأوروبي المسيحي نفسه – المخاطب أصلا بالدراسات الاستشراقية – فحيثما كان العصر عصر أمية وجهالة وهمجية كان يكفيهم أن يكتبوا لهم سبا وشتما في الإسلام ورسول الإسلام -صلى الله عليه وسلم -وفي المسلمين، حتى يقبحوه ويشوهوه في أعينهم وينفروهم منه. وأما مع التطور والاستنارة ومعرفة هؤلاء الأوروبيين بالمسلمين والإسلام، نتيجة للاحتكاك في القتال والتجارة والانتقال فكان لابد من أن يغير هؤلاء أساليبهم، حتى تنطلي على عقول الأجيال الجديدة، وكان تغيير الأساليب يتلاءم ويتواءم و درجة معرفة هؤلاء عن الإسلام والمسلمين ([3]).

---

(6) محمد جميل بيهم:المرجع السابق ، ص10

(1) ينظر: محمد بيهم : فلسفة تاريخ محمد ، ص 11

(2) ينظر: عبد العظيم الديب، المستشرقون والتاريخ ، ص 346.

الفصل الثالث
موقف المستشرقين الإنجليز من السيرة النبوية
(العهد المكي)

الفصل الثالث: موقف المستشرقين الإنجليز من السيرة النبوية

(العهد المكي)

أولاً /المستشرقون الإنجليز والبيئة العربية قبل الإسلام----------112
ثانياً / تفسير عوامل ظهور الإسلام وانتشاره:----------113
1- العامل الاقتصادي:- ----------114
2- دعوى طموح الرسول – صلى الله عليه وسلم إلى السلطة والملك ----------115
3- فكر عبقري غرضه الإصلاح الاجتماعي ----------116
ثالثاً /النسب النبوي----------118
رابعاً / ولادة الرسول ونشأته ----------120
خامساً / قصة شق الصدر ----------122
سادساً / مشاركته –صلى الله عليه وسلم – في حرب الفجار----------124
سابعاً / شبهة عبادة الرسول للأصنام قبل البعثة ----------125
ثامناً / أسفار الرسول إلى الشام ----------126
تاسعاً /التحنث في غار حراء ----------132
عاشراً / مسألة الوحي ----------133
حادي عشر / شبه الإصابة بالصرع ----------135
ثاني عشر / بدء الدعوة السرية ----------137
ثالث عشر / الهجرة إلى الحبشة ----------137
رابع عشر / قصة الغرانيق ----------141
خامس عشر / التشكيك في مقدار اضطهاد مشركي مكة للمسلمين----------144
سادس عشر / ليلة الهجرة ----------145

موقف المستشرقين الإنجليز من السيرة النبوية (العهد المكي)

عني المسلمون بتدوين سيرة الرسول - صلى الله عليه و سلم - ونقل كل ما شاهدوه من أحواله وأفعاله وأخلاقه، ونهض بذلك رجال عدول من الصحابة والتابعين- باستثناء بعض الوضَّاعين الذين لا يُعتد برواياتهم - فنقلوا للناس بصدق وأمانة الصورة الحقيقية لحياته - صلى الله عليه و سلم - وشمائله الطيبة وأخلاقه وأوصافه .

ثم جاء المستشرقون فأظهروا اهتماماً كبيراً بالسيرة النبوية، وألفوا وكتبوا لأهداف متباينة، وكان منهم المنصفون-الذين اعتمدوا على الحق في أحكامهم ،وهم قلة قليلة، والمتعسفون-الذين اعتمدوا على الروايات الضعيفة والموضوعة ،وهم الكثرة الكاثرة.

إن أبرز أنموذج لدراسة الاستشراق الأوروبي هو الاستشراق الإنجليزي لكونه الأقدم والأعرق والأكثر إنجازاً والأكبر حجماً في مجال الدراسات الإسلامية ([1])،كما كانت له إسهامات كبيرة في البحوث المتعلقة بالسيرة النبوية ، سواء تلك التي نشرت في كتب مستقلة مثل '' محمد في مكة'' ،و ''محمد في المدينة'' **لمونتجمري وات** ، أو تلك التي نُشرت كدراسات في المجلات الأوربية المتخصصة ، كتلك التي نشرها **مرجليوث** في مجلة العالم الإسلامي([2]).

وقد اتفق كثير من الباحثين على أَن المستشرقين قد استغلوا بعض الأخبار كمادة للطعن في الإسلام وفي نبي الإسلام - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- فضلاً عما ذكروه من مثالب أو مطاعن نسبوها زورا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام بقصد الإساءة مدفوعين بتعصبهم الأعمى ضد الإسلام والمسلمين([3]).

---

(1) ينظر: ميشال جحا : الدراسات العربية والإسلامية في أوربا ، ص 67.

(2) ينظر : ناصر عبد الرازق الملا : الإتجاهات التبشيرية لمجلة العالم الإسلامي ، ص 402، وحول الرسول محمد لدى الغربيين و Montgomery watt: Mohammad In The Eye of The West ,Boston University Journal,1974.

(3) ينظر: محمد عبد العزيز خير الدين،: محمد خاتم الرسل، (صلى الله عليه وسلم، (القاهرة ، 1388 هـ) 1\5.

ومع أن بعض المستشرقين المحدثين قد تطورت أفكارهم وأحكامهم، وتخلصت من كثير من مظاهر التحيز والتهجم الذي يمليه اختلاف الدين أو المصلحة، أو الذي يسببه قلة ما لديهم من المصادر وجهلهم باللغة العربية وسوء الترجمة القديمة، مع ذلك فإن بعض كتاباتهم عن حياة الرسول- صلى الله عليه وسلم- ما تزال تنطوي على أنواع من الدس والتشويه عن سوء النية حيناً، وعن سوء الفهم للحقائق التاريخية وخصائص التصور الإسلامي حيناً آخر.

لقد كان هؤلاء المستشرقون ولا يزالون بعيدين عن الكثير من الحقائق الخاصة بالسيرة النبوية ، وسيبقون كذلك ماداموا يعيشون في محيط ثقافي وفكري غريب عن الثقافة الإسلامية، وماداموا ينظرون بمنظار مصبوغ بألوان بيئتهم وثقافتهم الأولى.

إن موضوع السيرة النبوية- كأحداث تاريخية متسلسلة - قد ألفت فيه الكثير من المؤلفات القديمة والجديدة من قبل المؤرخين والباحثين المسلمين ، وإن إعادة صياغة هذا الموضوع لا يضيف جديداً ، وهو من باب التكرار الذي لا طائل من ورائه ، ؛ لذلك رأيت أن أركز البحث حول النقاط التي أثارها المستشرقون البريطانيون ، وحاولوا من خلالها التشكيك في السيرة النبوية وفي أصالة الإسلام ، والتي تعد أفكارا مركزية في الفكر الاستشراقي المعاصر، و تكشف تعسفهم في التفسير والاستنتاج والخروج بالنتائج قبل تحليل الحقائق، ولتعرية تلك الآراء المنحرفة وبيان بطلانها ، سأقوم بعرض هذه الآراء على الواقع التاريخي وفق ما يقتضيه المنهج العلمي ، ثم أقارنها بمصادرها الأصلية ؛ وصولاً إلى الغاية التي سعى المستشرقون إلى تحقيقها ، والوسيلة التي اتخذوها سبيلاً لذلك .

سأناقش أولاً أسباب اهتمام المستشرقين الإنجليز (موضوع الدراسة) بالبيئة العربية قبل الإسلام ، و أسلوبهم في تفسير عوامل انتشار الإسلام ، و آراءَهم حول نسب الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومولده ، ثم سأحلل آراءهم حول بعض القضايا المهمة في سيرته – صلى الله عليه وسلم ، والرد على مختلف الآراء حول السيرة النبوية .

أولاً /المستشرقون الإنجليز والبيئة العربية قبل الإسلام :

درس المستشرقون بعامة والبريطانيون منهم خاصة ، البيئة العربية قبل الإسلام ،وبالغوا في وصف جزئياتها ، فتحدثوا عن موقع الجزيرة العربية وأهميته الإستراتيجية ، والظروف المناخية والتضاريس ، وقدموا شروحاً أكثر من وافية للظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة قبل الإسلام ، كما تكلموا عن الديانات التي كانت منتشرة فيها آنذاك ، بالإضافة إلى عرض مفصل لتاريخ أهم الحضارات التي سادت في بلاد العرب قبل الإسلام ([1]) ، كما بحثوا في المصطلحات الشائعة الاستعمال في اللغة العربية قبل الإسلام ، والكلمات التي دخلت الحياة العربية ، واصبحت بمرور الزمن جزءاً من بنية اللغة قبل ظهور الإسلام بكثير([2]).

والسؤال الذي يطرح نفسه هو :إذا كانت غايتهم الأولى هي دراسة السيرة النبوية ، فلماذا هذا الإسراف في البحث والتنقيب عن أحوال البيئة العربية وتاريخ العرب قبل الإسلام ؟

قد يتبادر لنا للوهلة الأولى أن دراسة تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها قبل الإسلام كان ولا يزال ضرورة لفهم الوضع قبل الإسلام وبعده ، حتى يتمكن القاريء من المقارنة ، ومن ثم اكتشاف التغيير الكبير الذي أحدثه الإسلام في العرب ، وكيف أصبحوا به أمة عظيمة حملت مشعل حضارة كبيرة إلى العالم الإنساني أجمع ، لكن للأسف ليست هذه هي النتيجة التي نصل إليها بعد دراسة ما كتبه المستشرقون الإنجليز حول السيرة النبوية والبيئة العربية قبل الإسلام .

إن الغرب ،الذي تسيطر عليه النظرة المادية ، المجردة من أي باعث روحي ، والتي لا تؤمن بالغيب ، عاجز عن اليقين بوجود خالق يرعى شؤون البشر ، ويصحح مساراتهم عن طريق رسله الذين اصطفاهم من بني البشر، والمستشرقون الإنجليز تربوا في هذه البيئة المادية ، وإن حدث ووجدنا من يؤمن منهم بوجود الله حسب الملة التي يتبعها ، كمويور ووات المسيحيين أو مرجليوث اليهودي ، فإن الواقع يثبت أن أولئك ليسوا باحثين عن الحقيقة ، وإنما

(1) See: William Muir :Life of Mohammed from the original sources ,p25 .also see: D. S Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam, third edition, London,P,Pp58 - 61 and :Montgomery watt: : Mohammad In The Eye of The West ,Pp1-23 .

(2) ينظر: عمر لطفي العالم : المستشرقون والقرآن ،دراسة نقدية لمناهج المستشرقين ، ص 39.

دعاة مبشرين لدياناتهم ، كانت غايتهم التي رسموها لأنفسهم منذ البداية ، إثبات أن **محمد** – صلى الله عليه وسلم – ليس نبياً مُرسلاً من الله ،وأن الإسلام ، حتى ولو كان فكراً مصلحاً لحياة البشر ، فهو ليس رسالة سماوية ، بل فكر من تأليفه_ صلى الله عليه وسلم - استوحاه من البيئة التي عاشها، وأن الدين الذي يجب أن يُتبع هو فقط دينهم (المسيحية أو اليهودية)، وباختصار فقد أراد هؤلاء المستشرقون البرهنة على أن الإسلام ونبيه كانا نتاجًا طبيعيًا يلبي احتياجات البيئة ،التي ترعرع فيها الرسول ، واستنشق فيها أفكار رسالته التي بلغها للعالمين ([1]).

ثانياً / تفسير عوامل ظهور الإسلام وانتشاره:

سبقت الإشارة إلى أن المستشرقين يستندون إلى المنهج المادي في تفسير سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم ، فهم يرون أن المؤرخ ينبغي له أن يكون أكثر إدراكا للعوامل المادية الكامنة وراء التاريخ، ويشيرون بأن مؤرخ منتصف القرن العشرين ينبغي له أن يثير أسئلة كثيرة عن الجذور الاقتصادية والاجتماعية والسياسة للحركة التي بدأها **محمد**([2]).

إن سيطرة الرؤية المسيحية والتفسير الأوربي المادي للتاريخ ، على أذهان هؤلاء المستشرقين، جعلتهم يعمدون إلى دراسة حياة الرسول- صلى الله عليه وسلم – مسلحين بحكم سابق عليها ، ملخصه أن الإسلام ليس رسالة إلهية سماوية ، فهؤلاء المستشرقون ، دُعاة لليهودية و المسيحية ، محاربين ساخطين على الإسلام ،فقد عملوا على رمي الرسول – صلى الله عليه وسلم - بالكذب ، وإذا حالت النظرة الأوربية الحديثة للإسلام دون ذلك ، ارجعوا ظهور الإسلام إلى عبقرية محمد وذكائه، واستغلاله للظروف المواتية في سبيل تحقيق هدفه .

ولا يخرج المستشرقون الإنجليز عن هذه النظرية ، فهم يرجعون ظهور الإسلام وانتشاره إلى أحد الأسباب الآتية :

1- العامل الاقتصادي:-

(1) ينظر: المرجع نفسه ، ص 39.
(2) See:Montgomery watt : Muhammad at Mecca,p33.

ذكرنا سابقاً أن المستشرقين يعتمدون في كتاباتهم على التفسير المادي للتاريخ ،ويؤمنون بأن تحليل حركة التاريخ واتجاهها لا يخضعان إلا لمعايير مادية بحتة ، وبالتالي لا يعترفون بوجود التأييد الإلهي أو الإرادة الغيبية ([1]).وهم على هذا يرجعون ظهور الإسلام للعامل الاقتصادي ([2])ويفسرون الفتوحات الإسلامية إلى قحط الصحراء وجوع العرب([3])، ووصفوا ما حصل في حياة محمد – صلى الله عليه وسلم – ثورة فقراء أو ثورة يسار على يمين أو ثورة اقتصادية ، كانت ترى في التوسع عن طريق الفتوحات ([4]).

ولهذا نجد **وات**- متأثراً بزميليه السابقين له ، **موير** و**مرجليوث** - يعزو ظهور الدعوة إلى الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي سادت في مجتمعه صلى الله عليه وسلم([5])، ويطرح ما يسميه تفسيراً اقتصادياً لظهور النبي والإسلام ([6]) ، كما يفسر ظهور الإسلام في مكة دون غيرها من مدن الجزيرة العربية إلى النمو التجاري وتدفق الثروة فيها ، قبل الإسلام ، ذلك النمو الذي كان له- حسب رأي **وات** - أثر سلبي على قيم الرحمة والكرم في المجتمع المكي مما انعكس على تصدع اللحمة القبلية، وظهرت حاجة ملحة للموافقة بين الازدهار المادي والنظام الأخلاقي الروحي البدائي الذي كان سائدا في المجتمع، ولتحقيق هذا الهدف- حسب رأيه - تصور محمد صلى الله عليه وسلم حلا دينيا للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة، وكان الدين الجديد بمثابة رد على مرض العصر الذي سببه التطور الذي انتقل بالمجتمع المكي من حياة البداوة إلى اقتصاد حضري ([7]).

إن هذا المستشرق الكتابي ، الذي أنكر نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – وسار على المنهج المادي الذي يتعارض و روح المسيحية الحقيقية ، قد أغفل أن رسالة الإسلام رسالة توحيد في المقام الأول ، جاءت رداً على التخبط الفكري الذي كانت تموج فيه الجزيرة العربية والعالم أجمع ، والدليل على ذلك أن أكثر من ثلثي القرآن يتحدث عن هذا الجانب ، وأن الوحي في المرحلة المكية لم يتضمن ما ذكره **وات** من إصلاح الجانب الاجتماعي أو الاقتصادي ، لقد استهدف الوحي بالدرجة الأولى ، التوحيد ، ونبذ عبادة غير الله وحده لا شريك له ([8])، ثم متى

---

(1) ينظر :أبو الحسن الندوي : " الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين، ص 20.

(2) ينظر: محمد البشير : المنهج المنحرف في دراسة التاريخ الإسلامي ، ص 300- 304. and : S.Zwemer: " Character of Mohammad", Musilm World Jornal , 1911,Vol1,p355

(3) See: Montgomery watt: Op.Cit,p 20

(4) ينظر: سعدون محمود الساموك : السيرة النبوية ، ص 28.

(5) See: Muhammad at Mecca, p3

(6) See: Ibid, p51.

(7) See:Op.Cit, 16- 24

(1) ينظر:السايح علي حسين : سبيل الهدى ، دراسة تاريخية وتبويب موضوعي لآيات من القرآن الكريم ، دار اقرأ للطباعة والترجمة والنشر والخدمات الإعلامية (طرابلس ، 1988م) ، ص 7.

انهارت قيم الرحمة والكرم في المجتمع المكي ؟، صحيح أن الإسلام جاء لتصحيح الكثير من المغالطات ، ولكنه في الوقت ذاته أكد على الكثير من القيم الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع العربي آنذاك.

2- دعوى طموح الرسول – صلى الله عليه وسلم إلى السلطة والملك :

لقد أصر المستشرقون الإنجليز في دراساتهم على أن الرسول - صلى الله عليه وسلم كان رجلاً يطمح إلى الملك والسيطرة على مقاليد الأمور ، وأن هدفه، كان سياسياً من البداية، وهو توحيد الجزيرة العربية بواسطة دين خاص،وأنه كان يعد نفسه لهذا الدور ، فكان يزور سوق عكاظ للتعرف على فن الشعر من الشعراء المنافسين هناك، واستخدم هذه الخبرة فيما بعد لإملاء القرآن ([1])، ثم وضع لنفسه خطة تعتمد على تجميع الناس من حوله والتغرير بهم من منطلق هذا الدين الجديد ، وساعدته في ذلك الظروف الاجتماعية التي وُجد فيها ، حيث كان الناس في أمس الحاجة إلى نظام يلمّ شتات العرب ، ويجمعهم على كلمة واحدة ، بعد أن أنهكتهم الحروب ، وذاقوا مرارة الفقر والحرمان ([2]) ، وهكذا التفّ العرب حوله وانضمّوا تحت لوائه ، وقبلوا دعوته التي أتى بها([3]) .

لقد نسي أو تناسى هؤلاء المستشرقون ، ما أثبتته المصادر الإسلامية الصحيحة من أن الدنيا عُرضت على الرسول – صلى الله عليه وسلم فرفضها ،وذلك حين عرضت عليه قريش المال والملك والسيادة ، مُقابل أن يتخلى عن دعوة التوحيد قائلين:

> **"يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، .... فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا، فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، .... وإنا والله لا نتركك وما بالغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا"**،فرفض عرضهم قائلا : **" والله ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه "** ([4]).

ألم يتساءل هؤلاء المستشرقون لماذا رفض الرسول السُلطة والمُلك الذين قدما له على طبق من فضة ، ودون عذاب أو تضحية؟، ولماذا لم يُنصب الرسول نفسه ملكاً على

---

(2) See:D.S.Margoliouth, Mohammed and the Rise of Islam, P59.

(3) See: William Muir :Life of Mohammed from the original sources , pp.20-22.

(4) ينظر:محمد عبد العزيز خير الدين :محمد خاتم الرسل ، 1\ 5.

(5) ابن هشام : السيرة النبوية ، 1\ 170 ،الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 2\ 66 ، ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، 1\ 100،

المسلمين بعد أن دانت له الدنيا في يثرب ؟ بل ظل حتى آخر يوم في حياته لباسه التواضع ، وسلطته الرحمة ، وعرشه كلمة التوحيد ، والدعوة إلى الله .

والرد على هذه الفرية يكمن في النقطتين الآتيتين :

أ- لقد كان – صلى الله عليه وسلم يمتثل لأمر ربه الذي أمره قائلاً :﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾([1]) ، فاحتمل في سبيل تحقيق ذلك الأمر الأهوال العظيمة ، وقدم التضحيات الجليلة ، وحقق الله له أحد الأمرين الذين اختارهما وهو ظهور الإسلام وانتشاره.

ب- إن القرآن برأه من هذه الشبهة ، قال تعالى :﴿**قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ**﴾([2]).

3- فكر عبقري غرضه الإصلاح الاجتماعي :

يعترف المستشرقون في كثير من الأحيان بسمو أخلاق الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويدللون عل حسن سلوكه([3]) ، و يصرون على تصوير شخصيته بالعبقرية ، وبأنه كان مفكراً([4]) دينياً وسياسياً ناجحاً ،حتى يتبادر إلى ذهن القاريء أن **محمداً** – صلى الله عليه وسلم -قد استفاد بعبقريته من الظروف البيئية والتاريخية لينشيء ديناً جديداً ، بل ولا يخجلون من التصريح بهذا الرأي في كثير من الأحيان فقد ذكر **موير** :

> **" إن محمداً نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمداً اسمى من أن ينتهي إليه الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، ذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة مفكري العالم"([5]).**

وهذه خطة جرى عليها المستشرقون منذ قرون، يصفون النبي صلى الله عليه و سلم بهذه الألقاب، ليظهروه في مظهر المصلح الفذ و المفكر العبقري الذي استطاع بعبقريته وقوة فكره أن يبتكر هذا الدين، وأن يقوم بإصلاح أوضاع المجتمعات العربية ويخرجها من الجهل

---

(1) سورة الحجر، الآية 94.
(2) سورة الأنعام، الآية 50.
(3) ينظر:محفوظ العباسي : الغرب نحو الدرب ، ص 64.
(4) See: Thomas.C:On heroes,Hero-warship and the heroic in history, long mans and greencompany(london,1966),P75
(5) William Muir :Life of Mohammed from the original sources , p35.

والوثنية، ويثبت أسس الحضارة العربية الإسلامية الشامخة التي أثرت في الحضارة الإنسانية تأثيراً بارزاً.

والرد على هذا الرأي يتلخص في الآتي :

أ- من غريب الأمور أن يصر المستشرقون على وصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الأوصاف، (العبقري ، المُصلح ، المُفكر ...إلخ) مع أنه كان يتبرأ منها ويجرد نفسه من كل قوة أو مزايا أرضية كما هو واضح في القرآن الكريم في قوله :**﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾** ([1]).

ب- إذا سلمنا أن الفكر الإسلامي هو نتاج لعبقرية **محمد** – صلى الله عليه وسلم – فلماذا لم ينسبه إلى نفسه ؟ باعتبار أن العباقرة والمصلحين بل وكل البشر لا يرضون أن يصنعوا المجد ثم ينسبون فضله إلى غيرهم ، فلو أن محمداً ابتكر هذا الدين، وقام بهذه الأعمال العظيمة التي غيرت مجرى التاريخ وأنقذت البشرية من الجهل والضلال بعبقريته وقوة شخصيته، لما خالف الطبيعة البشرية، ولكان فخوراً بأن ينسب ذلك الشرف إلى نفسه.

ت- إن الإسلام يشمل ما ذكره هؤلاء المستشرقون ،من جوانب الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، لكن مشكلة المستشرقين تكمن في اقتصارهم على هذه الجوانب،ونزع الطابع النبويّ منها ، وتجريدها من التأييد الإلهي ، وإلباسها ثوباً ماديّا مجرداً.

والخلاصة: لقد كان غرض المستشرقين من التعويل على العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ،في ظهور الإسلام وانتشاره ، ووصف الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالعبقري أو المصلح أو غيرهما من الصفات والألقاب ، هو إنكارٌ لنبوته -صلى الله عليه وسلم - ، وإظهاره في مظهر المصلح أو العبقري، لأن هؤلاء تنتهي معهم أفكارهم، ويمكن أن يأتي مفكر أو مصلح آخر بما هو خير منها؛ ولذلك فهم ليسوا جديرين بالخلود، وأفكارهم ليست جديرة بأن يستمسك بها الناس بعدهم، كما يستمسكون برسالات الأنبياء.

ثالثاً /النسب النبوي :

(1) سورة الأحقاف ، الآية 9.

يُجمع المؤرخون العرب و المسلمون([1])، على أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- هو:

"محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان "([2]).

وهو ابن الذبيحين ، أخواله بنو النجار، الذين سكنوا يثرب ([3]).

و رغم أن نسبه إلى عدنان لا مرية فيه ولا نزاع ، وهو ثابت بالتواتر والإجماع ، فإن المستشرقين يرون غير ذلك ، من دون دليل واضح بل هي مجرد تخمينات وافتراضات أملتها أهدافهم التي يسعون إلى تحقيقها ؛ ولذلك حاولوا قلع الشجرة من جذورها ،حيث إنكر **موير** نسب الرسول - صلى الله عليه وسلم -من سيدنا اسماعيل -عليه السلام- وبرر موقفه باختلاف الروايات في ذلك([4])

وفي الوقت الذي أكدت فيه المصادر الإسلامية على نقاء النسب النبوي ([5])، فإن **مرجليوث** يسيء إلى هذا النسب ، وذكر أن الرسول- صلى الله عليه وسلم - ينحدر من أسرة رذيلة ([6])، ويستشهد- خاطئاً - بقوله تعالى :**{وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}**([7])،وحكم على عائلة **بني هاشم** بأنها لا تبلغ إلى أن تقارن في الشرف بالعائلات القرشية ذات الشرف العالي مثل **بني أمية**، و**بني مخزوم**،بل وطعن في والده ووصفه بالشخصية المغمورة ([8]) ،وشك في أن يكون سمي باسم **عبد الله** قبل الإسلام ([9]).

والرد على تلك المزاعم يكمن في الأتي :-

---

(1) ينظر:محمد روّاس قلعه جي : قراءة جديدة للسيرة النبوية ، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع والإعلان (الكويت ، 1984م) ، ص 17.

(2) ينظر ، ابن هشام : السيرة النبوية 1\ 7- 99. ، 2\2، و ابن سعد الطبقات الكبرى ، 1\8-47، وأبو الحسن بن أحمد بن يحي البلاذري: أنساب الأشراف ،تح : محمد حميد الله (القاهرة،1959م) 1\ 58.و الطبري تاريخ الرسل والملوك ، 2\2، و أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: جوامع السيرة ، تح: إحسان عباس ، وناصر الدين أسد ، م: أحمد محمد شاكر ، دار المعارف (القاهرة ، ب ت) ، ص 4،و أبو عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تح : علي محمد البيجاوي ، دار نهضة مصر (القاهرة ، ب ت) ، 1\ 25، والسير ابن سيد الناس :عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل ، 1\ 21، و الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير: الفصول في اختصار سيرة الرسول ، تح : محمد العيد الخطراوي ، ومحي الدين مستو ، الوكالة العامة للتوزيع (دمشق ، 1399-1400هـ) ص76،، و عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر (بيروت ، 1982م) 2\ 5-7.

(3) ينظر:مولانا محمد علي: حياة محمد ورسالته ، ت : منير البعلبكي ، دار العلم للملايين، (بيروت ، 1963م)، ص 54.

(4) See: William Muir :Life of Mohammed from the original sources,1,p168

(5) ينظر:حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط9 (القاهرة ، 1975م) ، 1\ 75.

(6) See :D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam P45- 51.

(7) سورة الزخرف ، الآية 31.

(1) :D.S.Margoliouth: Op.Cit , P45- 51.

(2) Ibid , P45- 51.

(1) إن استشهاد هذا المستشرق بالآية القرآنية من سورة الزخرف دليل علي أحد أمرين ، إما أنه لم يكن على علم وافر بمعاني القرآن ، أو أنه قصد عمداً تحريفها ؛ لأن الآية كانت إخباراً عن قول كفار قريش الذين كفروا بنبوة- محمد صلى الله عليه و سلم -ثم أخذوا يتعللون بعلل مستمدة من معاييرهم الخاصة، ومنها أن- محمداً صلى الله عليه و سلم - لم يكن من عظماء القريتين، أي مكة والطائف. واقترحوا أن تنزل النبوة والرسالة على رجل عظيم من إحدى القريتين([1]) ، فالآية لا تتعلق بشرف النسب ـ كما ظن **مرجليوث** ـ وإنما تتعلق بالمركز الاجتماعي والزعامة القبلية التي ترتكز عند الجاهليين على كثرة المال والسيادة في أوساط القبيلة.

> إن هذا الإصرار على التقليل من شرف نسبه - صلى الله عليه و سلم - مخالف للحقيقة والواقع، فبنوهاشم في الذروة من قريش نسباً وشرفاً، أقر بهذه الحقيقة **أبو سفيان** ، وكان من أعداء النبي صلى الله عليه و سلم ، أمام إمبراطور الروم، وذلك حين سأله **هرقل** : كيف نسبه فيكم ؟ فأجاب أبو سفيان هو فينا ذو نسب. قال هرقل : فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها([2]).

(2) أما ادعاؤه بأن والده صلى الله عليه و سلم كان شخصية مغمورة، فليس لها أي تأثير سلبي على شرف نسبه ولا على نبوته، ويبدو أن مرجليوث كان يتصور أن النبوة شكل من أشكال الزعامة السياسية، وأن النبي ينبغي له أن يكون من أسرة ذات زعامة ونفوذ سياسي، ثم إن والد النبي - صلى الله عليه و سلم- توفي وهو في المرحلة الأولى من شبابه([3]) ولو امتد به العمر لكان من الممكن أن يحل محل والده في زعامة العائلة الهاشمية، وإذن لكان من سادات قريش وشيوخها من ذوي الشهرة الواسعة،ولكن اقتضت حكمة الله أن يكون هذا النبي قد مرّ بكل مراحل اليتم ، التي بوجودها تنتفي الرعاية الأبوية .

(3) وأما شكه في أن يكون والده صلى الله عليه و سلم سمي عبد اللّه، وادعاؤه أن هذا الاسم أطلق عليه بعد الإسلام، فلا أساس له من الصحة ، لأن مصادر الحديث والسيرة والتاريخ متفقة عليه ([4]).

---

(3) ينظر:جلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي : تفسير الجلالين ، راجعه وأعده للنشر : محمد محمد تامر ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع (القاهرة ، 2004م)،ص 521.و محمد علي الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ، مكتبة الربانيين دار الصابوني ، ط7(القاهرة ، ب ت) ،3\289.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه :كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم - الحديث 7 ، وكذلك أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب كُتاب النبي إلى هرقل رقم 1773، 1393- 1397.

(5) قيل : توفي عبد الله وبينه وبين ابنه – عليه الصلاة والسلام – ثمانية عشر عاماً . ينظر ، ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، 1\ 26.

(1) ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية 1\ 7- 99. تاريخ الأمم والملوك ، 2\ 2، ابن حزم: جوامع السيرة ، ص 4.، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 2\2، ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، 1\ 21، ابن برهان الحلبي : السيرة الحلبية 1\ 11،و ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 2\ 5-7، -وأيضا البلاذري: أنساب الأشراف ، 1\ 58.

رابعاً / ولادة الرسول ونشأته :

ثبت بالأحاديث الصحيحة أن ميلاده -صلى الله عليه وسلم -كان في صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول ([1])، وهو يوافق العشرين من أبريل([2]) من شهور السنة الشمسية ([3]) في دار جده أبو طالب ([4])، وذهب معظم العلماء إلى أن مولده صلى الله عليه وسلم كان بعد وقعة الفيل الشهيرة بخمسين يوماً ([5])، وأيدتهم الدراسات الحديثة التي قام بها باحثون مسلمون ومستشرقون، و وجدوا عام الفيل موافقاً لعام (570- 571م) ([6]) ، ورغم هذا التحديد وهذا الإجماع، فينكر **موير** أن يكون ميلاد الرسول – صلى الله عليه وسلم - عام الفيل، ، وقلل من قيمة المصادر الإسلامية مدعياً أنه لا يملك معلومات تاريخية متسلسلة عن المرحلة المكية من حياة النبي-صلى الله عليه و سلم- فقال :

" إن ما اشتملت عليه المصادر من أخبار عن هذه المرحلة ليست له قيمة كبيرة في معرفة صورة محمد صلى الله عليه و سلم التاريخية "([7]).

والرد على هذه المفتريات يتلخص في الآتي :

أ- يلاحظ أن موير يتخذ موقف الإنكار، ويصدر الأحكام من غير أن يكلف نفسه إثباتها بالدليل، وهذا سلوك يأباه المنهج العلمي الصحيح والعقل المتحرر السليم، وتأباه قواعد الفكر الوضعي الذي يؤمن به جل الكتاب الغربيين .

ب- أما ادعاؤه بأنه لا يملك معلومات تاريخية متسلسلة عن المرحلة المكية من حياة النبي صلى الله عليه و سلم ، فهذا زعم ليس له أساس من الصحة، ويبدو أن **موير** قد جعل القرآن المصدر الأساس لبحثه، وتجاهل كتب الحديث، واتخذ موقف الشك من مصادر السيرة، لذلك ذهب به الظن إلى هذا الرأي، وذلك لأنه لم يجد في القرآن سرداً مفصلاً

---

(2) هذا الذي ذكره ابن اسحاق وهو المشهور ، وقيل ولد لليلتين خلتا من ربيع الأول ، وقيل لتسع ليال ، وكذلك أختلف في العام، فقيل 571م .ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية، 1\ 108،و البلاذري : أنساب الأشراف ، 1\92،و ابن حزم : جوامع السيرة ، ص 5.

(3) ينظر :مولانا محمد علي :المرجع السابق ، ص 55.

(4) ينظر :السهيلي : الروض الانف في تفسير السيرة النبوية ، 1\ 283.

(5) ينظر :ابن هشام : المصدر السابق ، 1\108،والبلاذري ، المصدر السابق ، 1\ 94، ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ،تح : محمد صبيح (القاهرة ، 1964م) 1\ 31.

(6) 5ينظر :ابن سعد : الطبقات الكبرى، 1\ 100 ، البلاذري : المصدر السابق ، 1\ 92.

(7) ينظر :السيد محمود أبو الفيض المنوفي : سيرة سيد المرسلين ، دار النصر للطباعة والنشر والإعلان (القاهرة ، 1964م)1\ 1.

(8) Life of Mohammed from the original sources,1\170

لأحداث حياته - صلى الله عليه و سلم-في طفولته وفتوّته ،ومما يؤيد هذا الرأي في تعامل موير مع مصادر السيرة ومبالغته في الاعتماد على القرآن، أنه أشار إلى سورة **"الضحى"** وما ورد فيها من ذكر لنشأته صلى الله عليه و سلم يتيماً فقيراً، وكرر هناك زعمه أن ما عرف عن المرحلة الأولى من حياته صلى الله عليه و سلم قليل جداً.

ت- أن الباحث الموضوعي يجد في المصادر الإسلامية سرداً مفصلاً متسلسلاً لأهم الأحداث في حياته -صلى الله عليه و سلم - في مكة من طفولته إلى مبعثه ، إلى هجرته إلى المدينة حتى وفاته ، نجد فيها بياناً وافياً لنسبه الشريف و زواج والديه، والأحوال التي مرت فيها مرحلتا الحمل والوضع، وموت والده، ورضاعته ووفاة والدته، ونشأته يتيماً في كفالة جده **عبد المطلب** ثم عمه **أبي طالب**، وعمله راعياً لغنم عمه، وبعض القرشيين، ورحلته مع عمه **أبي طالب** إلى الشام للتجارة، ومشاركته في حلف الفضول ثم عمله في تجارة السيد ة **خديجة بنت خويلد**، وزواجه بها فيما بعد، وحياته معها في أسرة طيبة هنيئة أنجبت بنين وبنات. ومشاركته في بناء الكعبة، وتحاكم قبائل قريش إليه في وضع الحجر الأسود في مكانه بعد إعادة بناء الكعبة ، كما تحدثت تلك المصادر عن سيرته وأخلاقه وشهرته بين أهل مكة بالصدق والأمانة، فلقبوه الأمين، وتحدثت أيضاً عن تجنبه مشاركة أطفال مكة وشبابها في لهوهم وعبثهم، وتجنبه مشاركة قومه في عبادتهم ومعتقداتهم، وعن عادته في الاختلاء بنفسه في غار حراء للعبادة، بعيداً عن مشاغل الحياة اليومية([1]).

و من هنا أرى أن دعوى صعوبة الحصول على معلومات تاريخية متسلسلة عن حياة محمد صلى الله عليه وسلم في المرحلة الأولى من حياته في مكة، لا أساس لها من الصحة.

خامساً / قصة شق الصدر :

لقد سجلت المراجع التاريخية الإسلامية المروية بأسانيد متصلة في جميع المصادر الثابتة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم - تفاصيل نشأة النبي صلى الله عليه وسلم ، وما مر بها من أحداث خلال فترة الطفولة والصبا ، فذكرت تلك المصادر أنه

(1) تفاصيل هذه الأحداث موجودة في المصادر التاريخية ، وكذلك كتب الحديث والتفسير الإسلامية بشكل كبير ، كسيرة ابن هشام، وتاريخ الطبري ، وتاريخ ابن الأثير ، وابن خلدون ، وابن كثير ، وصحيح مسلم ، وغيرها ، وهي تكاد تتفق على رواياتها ، مع إختلافات بسيطة في بعض المواضع .

صلى الله عليه وسلم بعد ولادته تولت إرضاعه **حليمة السعدية** ، حيث كانت عادة العرب أن تدفع بأطفالها إلى نساء البوادي ليقمن بإرضاع الأطفال في البادية حتى ينشئوا على الفصاحة ، والفطرة السليمة ، والقوة البدنية ([1]).

وقد روت المصادر الإرهاصات التي حدثت **لحليمة** وزوجها منذ أن حل بهم الطفل الجديد - **محمد** صلى الله عليه وسلم - إذ تحول حالهما من العسر إلى اليسر ، فقد أصبحت شاتهم العجفاء دارة للبن ، وحتى حليمة ذاتها أصبح ثديها مدرارا للبن؛ لأنها مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم،وقد بقى الصبي مع **حليمة** حتى بلغ الخامسة من عمره ، وما أعادته إلا لأنها خافت عليه من واقعة حدثت له ، وهي حادثه شق الصدر، ذلك أن ملكين جاءاه صلى الله عليه وسلم وهو بين صبية يلعبون فأخذاه وشقا صدره وأخرجا قلبه وغسلاه في طست ثم أعاداه موضعه فالتأم الجرح كأن شيئًا لم يكن ، فلما حكى الصبية وفيهم صلى الله عليه وسلم هذه الحادثة لحليمة وزوجها خافا عليه خوفًا شديدًا فقررا إعادته إلى ذويه بمكة ([2]) .

شكك بعض المستشرقين في هذه القصة ، ويقولون عنها :إنها من أصعب المأثورات في حياة الرسول المبكرة ([3]) ، أما **موير** فقد أنكر حادث شق الصدر على معناها الظاهر ، ورأى أن ما حدث كان نوبة عصبية([4])،كما ألقي **وات** بظلال المنهج العلماني التشكيكي الذي لا يؤمن بالغيب ولا بالمعجزات على السيرة النبوية، فهو ينكر حدوث أي شيء خارق للعادة مثل حادثة شق صدره صلى الله عليه وسلم وحدوث الوحي وغيرهما من الآثار الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول بشأنها:

"إن هناك العديد من القصص ذات الطابع الديني يكاد يكون من المتيقن أنها ليست حقيقة من وجهة نظر المؤرخ العلماني الواقعية"([5]).

وقد تأثر بهذا الموقف الكثير من الكتاب العرب ، منهم على سبيل المثال: **محمد حسين هيكل** الذي ساق هذه القصة، وذكر احتياط **ابن إسحاق والطبري** في روايتها،ثم شكك في

(1) ينظر :ابن هشام : السيرة النبوية ، 1\109،ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 1\ 50 – 54 ، ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، 1\ 31 ، ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، 1\ 31-37.

(2) ينظر :ابن هشام : السيرة النبوية ،1\110- 111

(3) See:Montgomery watt: Muhammad at Mecca, p 3

(4) See: Life of Mohammed from the original sources ,1\P 176

(1) Muir: Life of Mohammed from the original sources ,p33

صحتها ورآها ضعيفة السند، اعتمادا على ما ذكره المستشرقون، وذكر منهم **وليم موير ودرمنجم**([1]).

ليس غريبا أن ينكر هيكل هذه المعجزة، لكن الغريب حقا أن يعتمد على **ابن إسحاق والطبري** في التشكيك فيها،وهو الذي أعلن من قبل تشكيكه في كتب الحديث والسيرة([2])، وأغرب من ذلك اعتماده على المستشرقين في رد هذه المعجزة،وكرد على هؤلاء ، يمكن أن يُطرح أمامهم سؤلاً مؤداه : ما دمتم قد سلمتم بأن محمداً – صلى الله عليه وسلم - اصطفاه ربه ليوحي إليه كلامه ''القرآن الكريم'' ليبينه للناس ويفتح به للإنسانية عصرا جديدا، فما معنى إنكاركم لشق الصدر ؟ أليس هذا من ذاك؟ وإذا لم يدخل عقلك شق الصدر لأنه خارج عن المعهود، فكيف يدخله وحي الله لرسوله في الغار بقرآن عربي مبين([3]).

والرد على هذه الشبهة يتلخص في الأتي :

أ- أن حادثة شق الصدر ليست مخالفة للعقل ، ولو جاز التشكيك في القصة في العصور الأولى فلن يجوز ذلك اليوم ، وقد تقدم العلم والطب ، وأصبحت تجرى فيه العمليات الخطيرة في القلب ، وفي أجزاء الجسم الأخرى ، بل قد تزرع أجزاء إنسان لأخر ، فإذا جاز أن يقع هذا في البشر ،فكيف يستبعد هؤلاء على قدرة الله وملائكته والمؤتمرين بأمره ، أن يشقوا صدر النبي، ثم يلتئم بلا آلة ولا ألم ولا سيلان دم ([4]).

ب- أما قولهم بأن القصة رواها طفل صغير : فالحادثة قد وقعت في سن الرابعة أو الخامسة ، وهي سن التمييز ، وقصة كهذه تظل محفورة في الذاكرة لغرابتها([5]).

ت- الغريب أن يصدر مثل هذا التشكيك حول قصة شق الصدر من قبل مستشرقين ينتميان إلى المسيحية ، وراهبين مبشرين بها وهما **موير ووات** ، وهما اللذان قد آمنا بكل المعجزات التي أيدت المسيح – عليه السلام – وكيف يصدق هذان الراهبان ، بل ويؤمنان كل الإيمان أن عيسى – عليه السلام – كان يحي الموتى ، بينما لا يصدقان أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد حدثت معه مثل تلك القصة ، مع أن القصتان غير مناسبتين للمنهج المادي العلماني الذي سار عليه المستشرقون ، فالغاية من التشكيك في هذه القصة قد وضحها الله تعالى حين قال :﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ**

---

(2) ينظر :محمد حسنين هيكل : حياة محمد ،مكتبة النهضة المصرية ، ط9 (القاهرة ، 1965م) ص 112.
(3) ينظر :المرجع نفسه ، المقدمة ، ص 3.
(4) ينظر :حسين مؤنس :دراسات في السيرة النبوية ، الزهراء للإعلام العربي ،ط 2(القاهرة، 1985م)، ص 199-200
(5) ينظر :أبو شهبة : السيرة النبوية ، 1\ 207-210
(1) ينظر : أبو شهبة : السيرة النبوية ، 1\ 207-210.

عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ([1]).

سادساً / مشاركته –صلى الله عليه وسلم – في حرب الفجار :

كان -صلى الله عليه وسلم -حين مشاركته في حرب الفجار([2]) ابن أربع عشرة أو خمس عشرة عام، وقيل ابن عشرين، ويرجح الأول لأنه كان يجمع النبال ويناولها لأعمامه، مما يدل على حداثة عام([3]).

وقد استغل المستشرقون مشاركة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في هذه الحرب ليؤكدوا أنه كان يرغب في نيل الرفعة والسمعة ([4]).

وللرد على هذا الافتراء يمكن القول :

أ- أنَّ سن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يتجاوز الرابعة عشرة ([5])، وهذه السن لم تكن تخوله للتفكير في الرفعة والسمعة ، وبالتالي كيف يرغب في نيل السمعة والرفعة من خلال مشاركته في تلك الحرب ، والتي لم يكن فيها غير مقاتل صغير ينبل النبل لأعمامه.

ب- أن كل الأحداث العظام التي مرت به في حياه – صلى الله عليه وسلم – لم يكن يرغب منها في شهرة أو ملك أو سلطان ، بل كان يؤدي رسالة كلفه بها ربه ، ووعده على إنجازها الثواب في الآخرة .

سابعاً / شبهة عبادة الرسول للأصنام قبل البعثة:

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكره قبل النبوة عبادة الأصنام والأوثان ([6]) ويمنع من كان قريباً منه من ذلك ، وحين سأله الراهب بحيرا بحق اللات والعزى أن يخبره عما سيسأله ، قال له الرسول **:" لا تسألني باللات والعزى ، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما"**([7]).

ادعى **مرجليوث** دعوى عجيبة ،بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعبد الأصنام، وأتى

---

(2) سورة البقرة ، الآية 109.
(3) لمزيد من التفاصيل ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، 1\123.
(4) ينظر :عصام محمد شبارو : الدولة العربية الإسلامية الأولى ، دار النهضة العربية ، ط3 (بيروت ، 1995م)، ص 60.
(5) Muir : Life of Mohammed from the original sources, P65
(6) ينظر :ابن هشام : السيرة النبوية ، 1\ 123 ، ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، 1 \ 46.
(1) ينظر : أبو عبد الله ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي سيد العباد ، المطبعة المصرية / ط3 (القاهرة ، 1993م) 1\18.
(2) ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، 1\ 121.

لإثباتها بطريق الدجل والمكر واستدل عليها بالحديث الذي ذكره **الإمام أحمد** ، ولفظه كالأتي:

"حدَّثني جار لخديجة بنت خويلد أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لخديجة: أي خديجة والله لا أعبد اللات أبداً، والله لا أعبد العزى أبداً، فقالت : خلا العزى ، فقال :كانت صنمهم التي كانوا يعبدون ثم يضطجعون"[1].

وهذه الشبه مراوغة زائفة لا يقبلها لا عقل ولا منطق ،ولا يوجد سند تاريخي صحيح يؤكدها، إنها تحريف لنص الحديث الشريف خدمةً للهدف الاستشراقي ، وهي شبه باطلة للأسباب الآتية :

أ- إذا كان **مرجليوث** قد فهم العبارة الأخيرة **" كانت صنمهم التي كانوا يعبدون ...."** ، بأن المقصود من **" كانوا"** هو الرسول أو **خديجة** أو كلاهما معاً ، فإن الكلمة جاءت بصيغة الجمع وبضمير الغائب ، فالواضح أن المقصود هم عرب الجاهلية الذين كانوا يعبدون اللات والعزى ، ولو كانت الإشارة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – أو إلى **خديجة-** رضي الله عنها- لكان بصيغة التثنية وبضمير المتكلم ، هذا يعرفه كل من له أدنى إلمام باللغة العربية، فصيغة هذه الرواية ترد على هذا المستشرق أيضاً[2].

ب- إن قراءة ثانية للحديث تبين أن الرسول – صلى الله عليه وسلم قد بدأ حديثة بالقسم أنه لا يعبد اللات ولا العزى أبداً ، فكيف يناقض كلامه في نهاية الحديث ؟، وهكذا يتبين أن زيف هذا الادعاء.

ثامناً / أسفار الرسول إلى الشام :

تذكر مصادر السيرة النبوية الصحيحة ، أن الرسول أشتغل في صباه برعي الغنم لأهله ،و لبعض أهل مكة ، ولما بلغ سنه الثانية عشر([3]) خرج عمه أبو طالب في تجارة له بالشام ، ورغب الرسول في صحبته ([4]) ، فرق له واصطحبه .

"حتى إذا بلغ الركب (بُصْرَى)([5]) من بلاد الشام ، وكان بها راهب يقال له (بحيرى) عنده علم بالكتب السماوية السابقة ، علم منها أنه قد آن مبعث نبي آخر الزمان ، وقد جذب انتباهه إلى القافلة أنه رأى غمامة تظلل شخصاً منهم ،

---

(3) رواه الإمام أحمد في مسنده ، مسند الشاميين ، حديث جار لخديجة بنت خويلد ، 17268.

(1) ينظر :شبلي النعماني : سيرة النبي، دار المصنفين (أعظم جره الهند، 1396ه) 1\ 193.

(2) هذا ما عليه جمهرة المؤرخين ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ، 1\ 120 البلاذري : أنساب الأشراف ، 1\ 96،97، أما الطبري فيذكر أن عمره كان تسع سنوات .ينظر : الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، 2\ 278.

(3) ينظر :مولانا محمد علي : المرجع السابق ، ص 59.

(4) 5موضع بالشام في أعمال دمشق، وهي قصة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً = شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر (بيروت ، 1957م) 1\441.

فصنع لهم طعاماً على غير عادته ودعاهم إليه ، فلما حضروا ، راح يتفرس في النبي ، ويتحايل حتى رأى خاتم النبوة بين كتفيه "([1]).

وحذره من اليهود عليه ، وما إن فرغ **أبو طالب** من تجارته حتى عاد به إلى مكة([2]).ثم مضت الحياة بالرسول– صلى الله عليه وسلم – وادعة مطمئنة في مكة ، حتى بلغ سن الخامسة والعشرين ، فأتيحت له فرصة السفر للمرة الثانية إلى الشام،وذلك في تجارة السيدة **خديجة** – رضي الله عنها – وبرفقة غلامها **ميسرة** ، وحين قدم الرسول – صلى الله عليه وسلم –سوق بصرى في الشام ، استظل بظل شجرة بالقرب من صومعة راهب يقال له **نسطورا** ، فسأل الراهب **ميسرة** : من هذا الذي نزل تحت الشجرة ؟ فأجابه **ميسرة** بأنه رجل من أهل الحرم ، فقال الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي ([3]).

صفق المستشرقون الإنجليز ،وطبلوا كثيراً لهذه الأخبار([4])، ورأوا أن هذه الوقائع فيها فتح عظيم للمسيحية ، كما اتخذوها دليلاً على أن **محمد** لم يكن نبياً مُرسلاً من السماء ، وإنما هو مفكر ومصلح درس المسيحية واليهودية([5]) ، وأقتبس منهما ، وأبتكر ديناً جديداً ([6]) وحد به العرب وسيطر عليهم ، فادّعوا أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قد أتصل بالنصارى ،تعلم من الراهب **بحيرا**([7])، ولقنه الأسرار وتعاليم التوحيد في هذا اللقاء القصير([8])، ولكي يثبتوا أن

---

(5) ينظر :ابن هشام: السيرة النبوية ، 1\124،و ابن سعد : الطبقات الكبرى 1 / 61- 62 ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 2\32، وابن كثير : البداية والنهاية ،دار المعارف (القاهرة ، 1966م) 2\ 283-286،و ابن الأثير : أسد الغابة ، 1\ 32. ، وابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، 1\ 47، وأبو الحسن علي بن الحسين المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت ، 1965م) ، 1\ 281..

(6) ينظر :الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، 2\ 32 و 33.

(1) ينظر :ابن هشام :السيرة النبوية 1\125 ، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 2\ 32 و 33،ابن سعد : الطبقات الكبرى، 1\ 56 ، ابن برهان الحلبي : السيرة الحلبية ، 1\ 238.

(2) See: William Muir: Life of Mohammed from the original sources , 3\25.also seeD.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam ,p58 - 61 and , Montgomery watt : Muhammad at Mecca

(3) p1-23,

(4) يعد يوحنا الدمشقي أول من بدأ الجدل حول مصادر القرآن الكريم وأصالته ، لمزيد من التفاصيل ينظر : (5) دانييل ساهاس ، "جدل يوحنا الدمشقي مع الإسلام" ،مجلة الاجتهاد ، ع28، السنة السابعة (بيروت، 1995م) ص 123 - 128 . - جورج عطية :" الجدل الديني المسيحي - الإسلامي في العصر الأموي وأثره في نشوء علم الكلام" ، جامعة اليرموك(عمَّان، 1989م)ص 415 - 416 ، جواد علي ، "يوحنا الدمشقي "، مجلة الرسالة ، ع 612 (القاهرة، مارس 1945م)، ص 307 .

(5) لمزيد التفاصيل عن آراء المستشرقين حول هذا الموضوع ينظر : محمد الشرقاوي : الاستشراق، مطبعة المدينة (القاهرة ،ب . ت)،ص 84 - 114 ، محمد خليفة حسن ، آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، دار عين للبحوث والدراسات . (القاهرة، 1997م) ص 103- 104.

(6) ينظر :محمد البشير الهاشمى: المنهج المنحرف في دراسة التاريخ الإسلامي ، ص 78، 79.

(7) ينظر :محمد أبو شهبة : السيرة النبوية ، 1\ 223.

الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد تعلم على يد اليهود والنصارى أنكر المستشرقون الإنجليز أمية الرسول ، وأكدوا أنه لم يكن بدون معرفة الكتابة والقراءة كما يظن المسلمون ([1]).

وإذا سلمنا ، أن **محمداً** – صلى الله عليه وسلم – كان معجباً باليهودية و النصرانية ، لدرجه جعلته يبني دينه- على حد وصف هؤلاء المستشرقين – على أفكار مستمدة من هاتين الديانتين ، فلماذا لم يعتنق **محمد** اليهودية أو المسيحية ويدعو إليهما ؟ .

يجيب **موير** على هذا السؤال بإجابة تنبع من رؤية مسيحية سافرة ، فيقول : إن معرفة **محمد** باليهودية والنصرانية كانت خاطئة وسطحية ، و قد حصل على معلوماته من الكاثوليك المنحرفين ، ويُظهر أسفه من خلال قوله :

" هكذا أضلت الكثلكة في الإمبراطورية عقل العصر المدبر، ومن ثم الجزء الكبير من العالم الشرقي"([2])

وأيد **مرجليوث** ، و**وات** هذا الرأي ، واستندا إلى المنهج المادي ، وأرجعا عدم اعتناق الرسول – صلى الله عليه وسلم لأي من هاتين الديانتين إلى أسباب سياسية، تتلخص- حسب زعمهم - في أن الرسول – صلى الله عليه وسلم - كان طموحاً ومدركاً تمام الإدراك أن اعتناق النصرانية يقتضي الاعتراف بسيطرة الإمبراطورية البيزنطية([3]) .

ولقد تأثر فريق آخر من الباحثين العرب بتفسير المستشرقين بالأحداث التي تتعلق بأسفار الرسول – صلى الله عليه وسلم - ، وبأنها كانت إحدى اللبنات التي بنى بها **محمد** دينه ،فقصة تأثر **طه حسين** بما قاله المستشرقون في هذا الصدد معروفة([4]) ، وكذلك **عصام محمد شبارو** ، الذي قال :

" كانت رحلته الأولى والثانية إلى الشام ، وذهابه في الأشهر الحرم إلى الأسواق المجاورة لمكة في عكاظ ومجنة وذي المجاز حيث يستمع لإنشاد أصحاب المعلقات وخطب اليهود والنصارى التي تسخر من وثنية العرب ، أثر في زيادة تفكيره وتأمله "([5]).

---

(8) See : D.S.Margoliouth:Op.Cit ,Pp77, Montgomery wattOp.Cit ,p52.
(1) Life of Mohammed from the original sources ,2\20-22.
(2) See: William Muir :Life of Mohammed from the original sources , p106, Montgomery watt: Muhammad at Mecca,p123.,
(3) لمزيد من التفاصيل راجع : طه حسين : في الشعر الجاهلي ، (القاهرة ، 1967م) ص 26.
(4) ينظر :عصام شبارو : الدولة العربية الإسلامية الأولى ، ص 66.

كذلك الحال بالنسبة **لمحمد حسين هيكل** الذي يكاد يصرح بنفس آراء المستشرقين حين قال :

".... ، وانطلقت القافلة في طريق الصحراء إلى الشام مارة بوادي القرى ، ومدين وديار ثمود ، وبتلك البقاع التي مر بها مع عمه وهو صغير، فأحيت هذه الرحلة في نفسه ذكريات الرحلة الأولى ، كما زادته تأملاً وتفكيراً في كل ما رأى وسمع قبل سفره بالشام أو بالأسواق المحيطة بمكة ، فلما وصل بصرى اتصل بنصرانية الشام ، وتحدث إلى رهبانها ، وأحبارها ، وتحدث إليه راهب نسطوري ، وسمع منه ، ولعله أو لعل غيره من الرهبان قد جادل محمداً في دين عيسى ، "([1]).

ولا نعلم كيف غاب عنه أن مدين ليست في طريق الشام ؟، ثم من هم النصارى الذين تحدث معهم؟ النصارى المحرفون أم النصارى المخرفون؟، وما القيمة العلمية لكلمة (لعل ، والفروض) في مثل هذا البحث ؟، ثم أي المصادر التي ذكرت أن النبي كان عنده علم بمذاهب أهل الكتاب وعقائدهم قبل النبوة؟ ، ولو أن النبي أخذ عنهم ، واستفاد منهم كما زعموا لردوا عليه حينما عرض في صراحة لبطلان عقائدهم وفساد مذاهبهم ولقالوا له : نحن الذين علمناك ، فكيف تجحد فضلنا ، وتطعن في ديننا([2]).

والرد على هذه المزاعم يكمن في النقاط الآتية :

أ- أنه لم يثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى بأحد من الأحبار والرهبان غير **ورقة بن نوفل** ([3])، و**بحيرى** ،و**نسطورا** وكان اللقاء مرة واحدة مع كل واحد منهم ، وذلك لا يكفي للتلقي عنهم، إضافة إلى أن **ورقة** توفي بعد اللقاء بثلاث سنوات ورسول الله - صلى الله عليه وسلم- لم يجهر بدعوته بعد، أما اللقاء **ببحيرى** فكان في المرة الأولى أثناء دعوة طعام عندما كان مع عمه أبي طالب، والكل كان منشغلاً بالحديث والطعام، لا مجال للتعلم والتلقي،ومعه أيضاً رفقة لم يذكر شيئاً من ذلك ، فضلاً عن صغر سن النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان في الثانية عشر من عمره([4])، وفي المرة الثانية كان النبي صلى الله عليه وسلم منشغلاً بالتجارة لخديجة ، ولم يُنقل شيئاً من أخبار التلقي حتى بعد رجوع القوم إلى مكة([5]).

---

(5) ينظر :محمد حسنين هيكل : حياة محمد ، ص 113، 114.
(1) ينظر :محمد أبو شهبة : السيرة النبوية ، 1\ 225.
(2) لم يذكر ابن هشام أن الرسول قد قابل ورقة مباشرة ، وإنما ذهبت إليه خديجة وحدها – ينظر ابن هشام : السيرة النبوية ، 1\156.
(3) ينظر :محمد الهاشمي : المنهج المنحرف في دراسة التاريخ الإسلامي ،ص 92 .
(4) ينظر :السيد محمود المنوفي : سيرة سيد المرسلين ، 1 \ 161.

ب- لقد كان سفر الرسول – صلى الله عليه وسلم - لأغراض تجارية ، ولم يصادف راهباً سوى **بُحيرى ونسطورا** ، ولم يقضِ معه أي منهما إلاّ بضع ساعات ،و لا يمكن أن يعقل حتّى لأكبر عالم في الدنيا أنّ يتعلّم التوراة والإنجيل في هذه المدّة القصيرة ، فكيف لصبي ، لا يقرأ ولا يكتب ؟ .

ت- أن الشواهد على أمية الرسول – صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم كثيرة ، منها ، قوله تعالى :-**﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ... ﴾** إلى قوله- جل شأنه:**﴿.. فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾([1])** ،وقوله : **﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾([2])**، وغيرها .

ث- لكي نفترض صحة زعم هؤلاء المستشرقين ، ومن سار على نهجهم – بأن الرسول قد أخذ دينه مستنداً إلى الإنجيل والتوراة ، فلا بد لنا أن نسلم بأن **محمدًا** – صلى الله عليه وسلم - كان يعرف العبرية والسريانية واليونانية، ولا بد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل الأدب التلمودي والأناجيل المسيحية التي لم تترجم كاملة إلى العربية إلا بعد قرنين من عصر الرسالة ([3])، ولو افترضنا جدلاً أنها ترجمت في عصر الرسالة، فإن أمّيّته الثابتة تحول دون إفادته منهما.

ج- لو كان الرسول- صلى الله عليه وسلم - قد تعلَّم عند الراهب في بصرى ، لكان هذا الأمر شائعاً ، ومن المسلَّمات بين أوساط قريش في مكّة بعد العودة من السفر .

ح- لم تذكر أي من المصادر الإسلامية ، أن أحداً من المشركين لم يشكك في أمّيّة النبيّ صلى الله عليه وسلم مع توافر الدواعي لذلك عندهم؛ تكذيباً للقرآن، وتشكيكاً بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ([4])، لو حدث ذلك فعلاً لنُقل إلينا من قبل أعدائه ، الذين لم يغفلوا شيئاً من أخباره، و لاتخذ المشركون ذلك حجة لهم ، وهم الذين تعلقوا بأوهى التهم ، ولم يثبت أنه رأى التوراة والإنجيل أو قرأ فيهما أو نقل منهما .

خ- إن أحكام الشريعة الإسلامية كانت تتنزَّل متدرجة حسب الحوادث ، والوقائع ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتوقف في الحكم على بعض الأمور حتى ينزل الوحي عليه ، مما يدل على أنه ليس لديه علم سابق ، ولم يسأل أهل الكتاب، بالإضافة إلى وجود اختلاف مع أهل الكتاب في كثيرٍ من الأحكام ، بل إن مخالفتهم مقصدٌ شرعي حث الشرع عليه في

---

(5) سورةالأعراف، الآيات 157، 158.
(1) سورة العنكبوت، الآية 48.
(2) ينظر :النديم : الفهرست، ص33. .
(3) ينظر :عبد الرحمن بدوي : دفاع عن القرآن،(القاهرة ، 1998م) ، ص 28.

آيات كثيرة/ منها قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾([1]) .

د- صحيح أن هناك أوجه تشابه في القصص الديني بين ما ورد في التوراة وشرحه التلمود ، والإنجيل ، وبين ما ورد في القرآن الكريم ، ولكن هذا التشابه لا يعود إلى كون القرآن اقتبس تلك الصور عن التوراة والإنجيل ، وإنما لكون الأصل واحد ، فنحن معشر المسلمين ، لا ننكر أن الإنجيل والتوراة كلاهما مُنزلان من عند الله ، ولكننا نقول ما أثبته القرآن ،وهو أن كلاهما '' التوراة و الإنجيل'' لم يعودا – في صيغتهما الحالية -كلمة الله تعالى بسبب التحريف والخلط والتزييف الذي انتابهما ، ولأن القرآن خاتمة الرسالات السماوية ذكر منها ما تدعو الحاجة إلى ذكره ،قال تعالى :﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾([2]) ، فكون الوحي الإلهي واحداً وكون العقائد الدينية واحدة والشرائع هي التي تختلف ، هذا الأمر يؤدي بالطبع إلى أن يلتقي الوحي الإلهي للأنبياء جميعاً في بعض الجوانب ، وبخاصة توحيد الله تعالى وعبادته([3]).

ذ- إن هذه القصة قد رفضها الكثير من العلماء المسلمين ، واعتقدوا أنها مدسوسة على سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم -، ومن أبرز من نقد قصة بحيرا ، الإمام الذهبي في كتابه ''تاريخ الإسلام '' ([4]) .

ر- وكرد أخير على آراء هؤلاء المتحاملين نورد نصاً صريحاً لواحد منهم ، ألا وهو **توماس كارليل** الذي قال في هذا الموضوع:

> **" .. واني لست أدري ماذا أقول عن ذلك الراهب..(بحيرا) ...، ولا ماذا عساه أن يتعلمه غلام في هذه السن الصغيرة من أي راهب ما ، فإن محمداً لم يكن يتجاوز إذ ذاك الرابعة عشرة ، ولم يكن يعرف إلا لغته ، ولا شك أن كثيراً من أحوال الشام ومشاهدها لم يكن في نظره إلا خليطاً مشوشاً من أشياء يذكرها ولا يفهمها"** ([5]).

وقد تنبه لبطلان هذه الشبهة أيضاً بعض المفكرين الغربيين أمثال الفرنسي الكونت **هنري دي كاستري**،حيث قال :

---

(4) سورة آل عمران ، الآية 100.
(1) سورة آل عمران ، الآية 19.
(2) يطالع :أنور محمود زنتاني : معجم إفتراءات الغرب على الإسلام ، ص 195.
(3) ينظر :سعدون محمود الساموك : السيرة النبوية ،ص 49.
(4) توماس كارليل : الأبطال ، ص 74، 75.

"ولقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي محمد من مطالعة التوراة والإنجيل" ([1]).

والخلاصة :أن هؤلاء المستشرقين استرضوا تلك الأخبار وعارضوها بآرائهم وأفكارهم ليصلوا إلى نتائج وأحكام متأثرة بعواطفهم وخلفياتهم الدينية، وسبب ذلك، كما بات معروفاً ، أَنهم اتبعوا منهجا خاصا وضعوه بأنفسهم إذ أنهم يبيتون فكرة مسبقة ثم يأخذون وقائع الأحداث ليأخذوا منها ما يؤيد فكرتهم ويستبعدوا ما دون ذلك فيتمسكون بالخبر الذي يؤيد رأيهم أو الذي يمكنهم تأويله حسب أغراضهم مهما كان ضعفه ([2]).

تاسعاً /التحنث في غار حراء :

كان أول من تحنث من قريش في غار حراء **عبد المطلب بن هاشم** ، جد الرسول – صلى الله عليه وسلم ، كان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين وتبعه في ذلك آخرون، وقد لزم الرسول – صلى الله عليه وسلم – فكان يذهب إلى غار حراء في شهر رمضان ، يتعبد فيه ويتفكر في خلق الدنيا ([3])، حتى نزل عليه جبريل الأمين ، وذلك في السابع عشر من رمضان على ما أجمع عليه المحققون من العلماء([4]).

ذكر **وات** ثلاثة أسباب رأى أنها كانت وراء تحنث الرسول – صلى الله عليه وسلم في غار حراء :

- السبب الأول ، هو الفرار من حر مكة ، خلال الصيف ، للذين لا يستطيعون التوجه إلى الطائف ([5]) ، وهذا قول محاط بإطار رؤية معاصرة بحتة ، يذكرنا بالمنتجعات التي تكتض بالسياح خلال فصل الصيف ، و غاب عن ذهن **وات** أن التحنث كان مقصوراً على فئة معينة ، أولئك الذين يسعون إلى معرفة سر الكون ويحتاجون إلى التأمل والتفكر،وليس مفتوحاً للعائلات التي ترغب في الفرار من حر مكة ، ولو كان الأمر عملية اصطياف ، كما رآها **وات** ، لكانت مكة تخرج عن بكرة أبيها طلباً للهواء المنعش ، وبخاصة أن الأمر لم يكن مكلفاً البتة ، وكان زاد المتحنث يقتصر على الخبز والزيت([6]) .

---

(5) ينظر :دينيه : محمد رسول الله ، ص 7-41.
(1) ينظر :هاشم معروف الحسيني : الموضوعات في الآثار والأخبار ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت ، 1973م) ، ص 202.
(2) . ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، 1\ 154، ابن برهان الحلبي : السيرة الحلبية ، ص 402.
(3) محمد جمال الدين سرور : قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد ، دار الفكر العربي ،ط3،(القاهرة ،1959م) ،ص60.
(4) See: Montgomery watt Muhammad at Mecca ,81 .
(5) ينظر ، ابن برهان الحلبي : السيرة الحلبية ، ص 401.

- السبب الثاني الذي يرى وات أنه كان وراء تحنثه – صلى الله عليه وسلم ، هو التأثر بالرهبان اليهود والنصارى الذين انقطعوا للعبادة في صوامعهم وأديرتهم ، وهو قول تنطوي تحته أهداف تبشيرية ، تسعى إلى إثبات أن مصدر الإسلام ، ليس إلهي ، وإنما مستمد من مصادر يهودية ومسيحية([1]).

- السبب الثالث هو الرغبة في الخلود ([2])، ومعنى ذلك أن خلوة الرسول – صلى الله عليه وسلم ، كانت خلوة تدبير وتخطيط ورسم غايات وأهداف دنيوية ،أي أن غار حراء كان عبارة عن غرفة عمليات ، حسب الرؤية العصرية التي حاول **وات** توصيلها إلى القارىء- وليست تفكراً في الخلق والخالق، وأن الوحي الذي نزل على **محمد** – صلى الله عليه وسلم – هو تصورات وتهيأت وفكرة طرأت على محمد خلال تحنثه فسارع إلى تنفيذها .

وهذه المزاعم لا سند تاريخي يؤيدها ، وهي نابعة من فكر إستشراقي باتت دوافعه وأهدافه واضحة من خلال هذا الادعاء الزائف، والرد عليها يتلخص في النقاط الآتية :

أ- أن التحنث كان يتم في شهر رمضان ، وهو من الشهور القمرية ، ومعروف أن الشهور القمرية غير ثابتة في ارتباطها بالشهور الشمسية ، فالشهر منها يمر في بضع سنين على الفصول السنوية الأربعة شتاءً وربيعاً وصيفاً وخريفاً ، فهل كان تحنثه دائماً هرباً من حر مكة وطلباً لهواء الجبل المنعش ؟ أم أن الأمر ينعكس فيتحنث في الشتاء طلباً لصقيع الجبل وبرودته .

ب- إذا كان التحنث هرباً من حر الصيف ، فما الذي كان يمنع الرسول – صلى الله عليه وسلم من السفر إلى الطائف ، وهو زوج السيدة الثرية خديجة بنت خويلد ، والتي لن تبخل بمالها في سبيل الترفيه عن نفسها وزوجها وأولادها ، بدلاً من أن يمكث زوجها بعيداً عنهم في غار موحش طوال شهر كامل.

ت- أن سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – تؤكد زهده الدائم في الدنيا ، وأنه كان يرى الموت أقرب إليه من حبل الوريد ، فكيف يدعي هذا المستشرق أن التحنث قد أثار فيه الرغبة في الخلود.

عاشراً / مسألة الوحي :

---

(1) See :Montgomery: watt:Op.Cit ,P 81 .
(2) See: Ibid ,p 81 .

أنكر المستشرقون الإنجليز مسألة الوحي ، واعتبروها من نتائج تأمل **محمد** وتدبره في غار حراء، والتي ألهمت فكره بعض التصورات عن الله والبعث بعد الموت والتي أشاعها – حسب زعمهم -في قطع صغيرة من الشعر وتعبيرات زاخرة بالعواطف،(يقصدون القرآن) فالوحي عندهم ،من ذات **محمد** ونفسه ،وهو أمر نفسي على الأرجح ([1])

وفي هذا الصدد قارن **مرجليوث** -الرسول **محمد** – صلى الله عليه وسلم - **بيوسف سميتJ.Smith** ، الذي تجول في الغابة فترة من الزمن ثم جاء بكتاب مدَّعياً أنه قد أنزل عليه ،وخلص إلى القول : **"كذلك بدأ محمد حياته النبوية بعد فترة من الانعزال"**([2])، كما لجأ **وات** إلى كتاب **بولين A.Poulain** عن اللاهوت([3])، وذلك لإثبات أن الوحي كان منبثقاً عن ذات **محمد**، وكان عبارة عن محاورة كلامية ذهنية أو فكرية **"Intellectual or Imaginative locution"**([4]).

وهذه المزاعم لا أساس لها من الصحة ؛ وذلك للآتي :

أ- لو كان إنكار مسألة الوحي ، صادرة عن شخص ملحد لكان هناك قول آخر ، ولكن الذين ينكرون الوحي الذي نزل على الرسول – صلى الله عليه وسلم – هم أهل كتاب ،رهبان يهود أو مبشري نصارى قد آمنوا أن الوحي قد نزل على **موسى** و**عيسى** – عليهما السلام – فلماذا لا يكون الأمر ذاته قد حدث مع **محمد** – صلى الله عليه وسلم – اللهم إلا إذا كانت الغاية من إنكار الوحي هو الإنكار التام لنبوة **محمد** ، حسداً أو بغضاً أو أي دافع نفسي آخر ،وهذا هو الرأي الذي صرح به القرآن قبل أن يخلق هؤلاء ، حيث قال تعالى :**﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**([5]) .

ب- لو تخلص هؤلاء المستشرقون من تعصبهم الأعمى وركنوا مورثهم الثقافي لتبادر إلى أذهانهم السؤال :ما هو مضمون الوحي الذي ينكرونه ؟ ، إنه الوحدانية والحث على طلب العلم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى مكارم الأخلاق ، إنه باختصار حب الخير لكل البشر في الدنيا والآخرة ، أليست هذه هي والمباديء نفسها التي نادت بها

(1) See:. William Muir :Life of Mohammed from the original sources,3\ 35-41
(2) See: D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam. P90.
(3) وهو بعنوان) "The Interior Graces of Prayer" :(لطائف باطنية للدعاء) والصادر في لندن سنة1928م
(4) Life of Mohammed from the original sources,pp52- 58.
(5) سورة البقرة ، الآية109 .

اليهودية الحقيقة ، والمسيحية الصحيحة ، ثم جاء الإسلام ليصحح ما اعتراهما من تحريف ودس ، وتزوير ، قال تعالى : **﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ.... ﴾** (1)، وقال أيضاً: **﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾** (2).

حادي عشر / شبه الإصابة بالصرع :

يفسر المستشرقون الحالة التي كانت تغشى الرسول – صلى الله عليه وسلم - بأنه كان مصاباً بداء الصرع الذي تصاحبه الغشية والغيبوبة، وأنه استخدم هذه القرائن فيما بعد لتلقي الوحي(3).

وهذا الادعاء لا أساس له من الصحة ؛وذلك للأتي :

(1) أن النبي بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء كان أصح الناس بدناً وأقواهم جسماً ، وأوصافه التي نقلها الرواة الثقاة تدل على القوة الجسمية ، وقد بلغ من قوته أنه صارع **ركانة بن عبد يزيد** فصرعه ، وكان **ركانة** هذا مصارعاً ماهراً ، لما عرض عليه الرسول الإسلام ، قال : صارعني ، فإن أنت غلبتني ، آمنت أنك رسول الله ، فتصارعا ، فصرعه النبي(4)ويعلق **بودلي** في كتابه '' الرسول ،حياة محمد'' على ذلك قائلاً :

" لا يصاب بالصرع من كان في مثل هذه الصحة التي كان يتمتع بها محمد ، حتى قبل وفاته بأسبوع واحد ، وأن كل من ينتابه حالات صرع يعتبر مجنوناً ، ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته فهو محمد"(5).

(2) أن المصاب بالصرع تعتريه آلامٍ حادة في كافة أعضاء جسمه يحس بها إذا ما انتهت ، نوبة الصرع ،ويظل حزيناً كاسف البال بسببها ، وكثيراً ما يحاول الانتحار(6)، والثابت في سيرته أنه كان دائب العمل لربه ، ممتلئاً حيويةً ونشاطاً حتى آخر أيامه .

---

(1) سورة البقرة ، الآية 120.
(2) سورة آل عمران ، الآيات 69.
(3) See:William Muir :Life of Mohammed from the original sources,1 \ P21-24. D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam . Pp45-51
(4) ينظر :ابن هشام : السيرة النبوية ، 2\ 29، ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ،1\ 205، ، ابن حجر العسقلاني :الإصابة في تمييز الصحابة ، تح : البيجاوي ،دار نهضة مصر ،(القاهرة ،ب ت) 1\ 531 ،
(5) ينظر :محمد أبو شهبة : السيرة النبوية ، 1\ 279- 285.
(6) لمزيد من المعلومات طالع الموقع : www.who.int/mediacentre موقع منظمة الصحة العالمية ، مركز وسائل الإعلام : مرض الصرع

(3) لقد انقطع الوحي عن النبي مدة فحزن لذلك حزناً شديداً([1])، وكان يذهب إلى الغار وقمم الجبال حتى سري عنه بوصل ما انقطع([2])، فهل هناك مريض يطلب من المرض العودة؟.

(4) أن الوحي لم يأت في صورة واحدة ، والدليل على ذلك قول عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها- :

" أن الحارث بن هشام سأل الرسول : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال- صلى الله عليه وسلم : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليّ، فَيَفْصمُ عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول"([3]).

وأعراض الصرع ثابتة ومعروفة وليس بينها ما يوافق حالات الوحي التي كانت تأتي الرسول – صلى الله عليه وسلم .

(5) الثابت علمياً أن المصروع يتعطل تفكيره وإدراكه تعطلاً تاماً ([4])و لم يحدث في تاريخه - صلى الله عليه وسلم - ما يدل على انحطاط قوة العقل التي يؤدي إليها الصرع عادة ، بل نرى ذهنه يزداد صفاء ، وقدرة على التفكير ، وثقة بالنفس ، وقوة في الجسم والروح والزعامة ، كلما تقدمت به السن حتى بلغ الستين من العمر ([5]).

(6) ورد أن امرأة كانت تصرع ، فدعا لها الرسول – صلى الله عليه وسلم – فشفيت ([6])، وهذا دليل على أن الصرع كان مرضًا معروفًا لعرب الجاهلية و لم تكن تخفى عليهم إصابة الرسول -صلى الله عليه و سلم -به لو كان كذلك وبخاصةً مع وجود العديد من الصحابة ثاقبي النظر المعروفين بالفراسة ، و دقة النظر، و الذين لم تكن تخفى عليهم أدق الملاحظات.

ثاني عشر / بدء الدعوة السرية :

---

(1) ينظر : البلاذري : أنساب الأشراف ، 1\ 106،و الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 1\ 148،و ابن كثير : البداية والنهاية ، 3\ 2-12،و ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، 1\ 285.

(2) السيد محمود المنوفي : سيرة سيد المرسلين ،1\ 170-182، عصام محمد شبارو : الدولة العربية الإسلامية الأولى ، ص 67-70.

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل ، باب : عرق النبي –صلى الله عليه وسلم – في البرد وحين يأتيه الوحي ، حديث رقم 87(2333) ، ص1817،1816، و الترمذيفي سننه ،باب : كيف كان ينزل الوحي،حديث رقم :3638، 9\253،252.

(4) ينظر :محمد أبو شهبة : السيرة النبوية ، 1\ 279- 285.

(5) ينظر :ول ديورانت : قصة الحضارة ، ت: زكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ، 1968م)3\26.

(6) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي سيد العباد ، 1\ 84.

الدعوة لا تزال وليدة ناشئة ، لم تكتسب بعد أنصاراً ، فاقتضى ذلك أن تكون سرية تقتصر على من يثق بهم ويطمئن إليهم من أهله وخلانه، فكان أول من صدقه وآمن به وأتبعه من خلق آدم زوجته **خديجة**([1]) ، ومن الصبيان **علي بن أبي طالب** ومن الرجال **أبو بكر الصديق** ومن الموالي **زيد بن حارثة**([2]) ، استمرت الدعوة سرية ثلاث سنوات ([3]) .

للمستشرقين طريقة عجيبة في اختيار الألفاظ ، وفي إلباس التاريخ ثوباً عصرياً لا يصور الحقيقة التاريخية كما هي ، و يقود القاريء إلى فهم خاطيء للإسلام ، وكمثال على ذلك ،يحرف **مرجليوث** قول **ابن إسحاق** بشأن إخفاء الدعوة في أول الأمر([4])، حتى إن القاريء يحس أنه أمام منظمة إرهابية ، أو انقلاب أو عمل تخريبي ، فيقول:

"إن محمداً وضع نفسه على رأس جمعية سرية "Secret Society" وجذب إليها أفراداً مثل أبا بكر وعثمان - رضي الله عنهما - بشتى الوسائل المشكوك فيها"([5])

في الوقت الذي تذكر فيه المصادر أن الرسول – صلى الله عليه وسلم ، كان يدعو إلى أمر ربه بالموعظة الحسنة والكلمة الطيبة ، فإن **مرجليوث** يزيف التاريخ ويشوهه حين يؤكد أنه جذب إليه الناس بوسائل مشكوك فيها ، ولم يذكر **مرجليوث** تلك الوسائل المشكوك فيها ، هل كانت إرهاباً بقوة السلاح ؟ أم ضغط اقتصادي ؟ أم زرع لأجهزة تحكم في العقول كما يحدث في الخيالة العالمية ؟ ، إن هذه الانتقاء للألفاظ وإلباسها ثوب عصري مهلهل يبعدها عن حقيقتها التاريخية ، وهو في الوقت ذاته خير دليل على مبدأ الدس والتحريف الذي تميزت به العصور الوسطى ، وظل يلوث الفكر الأوربي ، حتى أمتزج بعروقه وصار جزءاً لا يتجزأ من تكوينه .

ثالث عشر / الهجرة إلى الحبشة :

شكلت الدعوة الإسلامية العلنية منعطفاً تاريخياً في مسارها ، إذ لقي المسلمون الأوائل شتى أنواع العذاب وضروب الظلم ،و تعرضوا للفتنة والقتل ، فسقط منهم الشهداء ، وهم صامدون مقدمين البرهان الملموس على صبرهم على الشدائد ورسوخ إيمانهم العميق الذي لا يمكن أن تزعزعه أية قوة غاشمة، و لم يكن جميع المسلمين الأوائل على هذا المستوى والاستعداد للتضحية ، فكان هناك من لم يصبر ولم يصمد أمام العذاب ، فانتزعت من شفاههم

(1) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 1\ 95- 96.
(2) ينظر :ابن هشام: السيرة النبوية، 1\259، البلاذري: أنساب الأشراف 1\122 ، الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2\307.
(3) يذكر البلاذري أنها أربع .ينظر : البلاذري : المصدر السابق ، 1\ 116
(4) ينظر ابن هشام : المصدر السابق ، 1\ 157- 168.
(5) D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam. P156.

كلمات الردة عن الإسلام ، رغم إيمانهم بالرسالة([1]) ، مما جعلهم يعانون الأمرين ، مرارة الخجل والشعور بالهزيمة ، ومرارة تنكرهم للإسلام والتزامهم بدين أجدادهم([2])، فلما رأى الرسول – صلى الله عليه وسلم ، ما يصيب أصحابه من البلاء ، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه ، أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة؛لأن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً ، فهاجروا إليها([3]) ، ومن هنا يمكن أن نستنبط أسباب الهجرة إلى الحبشة ونحصرها في الأسباب الآتية :

(1) كان الغرض الأساسي من الهجرة إلى الحبشة حماية النفس وحماية الدين ([4])، والفرار من تعذيب قريش للمسلمين ، فقد كانوا يضربونهم بالسياط ، ويجوعونهم ويعطشونهم حتى لا يقدر أحدهم أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي نزل به ويعطونهم ما سألوهم من الفتنة ، حتى يقولون له اللات والعزى ربك ، فيقول : نعم ([5]).

(2) ما عرف عن **النجاشي** واسمه أصحمة([6]) في المصادر العربية وكان على المسيحية من عدل وإصلاح مما يتيح للمسلمين في دياره أن يتمتعوا بالأمن والطمأنينة وينعموا بحرية العبادة([7]).

(3) أن الحبشة كانت مكاناً تجارياً معهوداً لقريش ، بل كانت من الأماكن التي تروج فيها تجارتهم وتتسع فيها أرزاقهم ، ومن هنا كان من الطبيعي أن يجد فيها المسلمون المهاجرون إليها مصدراً للرزق والسعة باشتغالهم بالتجارة ، ما كانوا سيعيشون عالة على أحد([8]).

تلك كانت دوافع المسلمين في الهجرة إلى الحبشة ،كما وردت في المصادر الإسلامية، غير أن المستشرقين الإنجليز يرفضونها ويطرحون بدلاً عنها أربعة دوافع هي :

---

(1) كما حدث مع بلال وآل ياسر وغيرهم ، وقد ذكر المؤرخون أساليب تعذيب المسلمين ، فقد كانوا يضربونهم ويجوعونهم ويعطشونهم حتى لا يقدر أحدهم أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي نزل به حتى يعطونهم ما سألوهم من الفتنة ، حتى يقولوا له : اللت والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، حتى أن الجعل يمر بهم ، فيقولون له : أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ ، فيقول نعم ، إفتداء منهم مما يبلغونه من جهده. ينظر ، ابن هشام : السيرة النبوية ، 1\ 205.

(2) ينظر :ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 1\ 108، 109 ،الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 2\ 328، 329.

(3) ابن هشام : السيرة النبوية ، 1\ 206.

(4) ينظر :ابن هشام : السيرة النبوية ، 1\206.، ابن حزم : جوامع السيرة ، ص 55، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ،2\ 73،السهيلي: الروض الانف،3\203

(5) 5ابن هشام : المصدر السابق ، 1\ 205.

(6) ينظر :البلاذري: أنساب الأشراف ، 1\438

(7) ينظر : عبد الرحمن أحمد سالم : الرسول ،صلى الله عليه وسلم ، حياته وتطور الدعوة في عصره ،ص 68.

(8) ينظر :المرجع نفسه ، ص 68.

- السبب الأول: يتمثل في رغبة **محمد**- صلى الله عليه وسلم - في الحصول على مساعدة عسكرية من الحبشة تمكنه من السيطرة على مكة([1])، وهذا الرأي لا يستند إلى أي دليل تاريخي وإنما اعتمد على الخيال والخيال لا يصلح حجة للمؤرخ ،فرغبة المسلمين في الحصول على مساعدة عسكرية من الحبشة([2]) لم تكن تتطلب هجرة كل هذا العدد من المسلمين للإقامة هناك ، بل كان يكفي حيالها إرسال بعثة من شخص أو عدة أشخاص تؤدي المهمة ثم تعود ، ولم يكن الرسول بكل ما أوتي من فطنة وبعد نظر ليتوقع من إمبراطور الحبشة أن يقبل القيام بمغامرة غير محسوبة ويلبي طلباً كهذا ([3])، وبخاصة إذا علمنا أن للحبشة تجربة عسكرية فاشلة في الجزيرة العربية ،وهي حادثة الفيل ، والتي لم يكن يمض عليها وقت طويل .

- السبب الثاني الذي رآه المستشرقون الإنجليز دافعاً إلى الهجرة يكمن في رغبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في تحويل الحبشة إلى قاعدة لمهاجمة تجارة مكة كما فعل بعد ذلك بالمدينة([4])، وهذا الدافع لم يكن موجوداً في غير خيال هؤلاء المستشرقين ؛ لأن إمبراطور الحبشة لم يكن ليرضى أن تتحول بلاده إلى مركز لمهاجمة تجارة المكيين ، لأن قبوله بذلك يعني تعرض بلاده لأزمة اقتصادية وسياسية في غنى عنها ، فضلاً عن أن وضع المسلمين في ذلك الوقت لم يكن يسمح لهم بالدخول في مثل هذه المواجهات ([5]).

- السبب الثالث- في رأيهم - يتمثل في رغبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في التوصل إلى طريق تجاري بديل يتجه من الجنوب إلى الإمبراطورية البيزنطية حتى يكسر الاحتكار الذي كان يمارسه المكيون على طرق التجارة إلى تلك البقاع ([6])، وهو قول لا سند تاريخي ، ولا منطقي له، فلم تكن إمكانيات المسلمين المحدودة في ذلك الوقت تسمح للرسول بالتفكير في مشروع كهذا ، إضافة إلى أنه لو صح ذلك فهل كان ذلك يستدعي رحيل كل أولئك المهاجرين مع زوجاتهم وأبنائهم؟ ([7]).

---

(1) William Muir :Life of Mohammed from the original sources, vol 2, p 132, Montgomery watt: Muhammad at Mecca ,p 144,117- also see , Montgomery watt: Mohammed: Prophet and statesman (Oxford ,1961),p 104.also see D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam. P157- 166

(2) ما يجب ملاحظته أن وهذا القول تأثر به عدد من الكتاب المسلمين ، نذكر منهم عصام شبارو الذي رد أسباب الهجرة إلى رغبة محمد – صلى الله عليه وسلم – في كسب التأييد للدعوة من شعب مؤمن بالنصرانية ، وبالتالي تشعر قريش بالدعم الخارجي له فتكف عن عدوانها.ينظر :عصام محمد شبارو : الدولة العربية الإسلامية الأولى ، ص 75.

(3) ينظر :عبد الرحمن أحمد سالم : الرسول – صلى الله عليه وسلم – حياته وتطور الدعوة في عصره ، ص 67.

(4) See:Montgomery watt: Mohammed at Mecaa ,p 144,117-

(5) ينظر :عبد الرحمن سالم : المرجع السابق ، ص 67.

(6) , Montgomery watt: Mohammed at Mecca,p 144,117

(1) ينظر :عبد الرحمن أحمد سالم : الرسول – صلى الله عليه وسلم – حياته وتطور الدعوة في عصره ، ص 67.

- أمـا السـبب الرابـع ، فـي هجـرة المسـلمين إلـى الحبشـة ،حسـب رأي هـؤلاء المستشرقون - فهو وجود خلافات حادة في الرأي داخل المجتمع الإسلامي ، بين مجموعة يتزعمها **أبو بكر الصديق** ومجموعة يتزعمها **عثمان ابن مضغون** و**خالد بن سعيد بن العاص** ، و أن الهجرة إلى الحبشة لم تتم بأمر الرسول بل تمت بمبادرة من المهاجرين أنفسهم، ,ويضعون احتمال أن يكون الرسول هو من أمر بالهجرة عندما ترامت إليه أنباء ذلك الانشقاق ،ويرون أن هذا الدافع هو الأكثر المقبول ([1])، والواقع أن هذا الدافع ،هو أكثر الدوافع التي طرحها المستشرقون ، إمعاناً في الخيال ، فليس في المصادر الإسلامية ما يشير إلى انقسام المسلمين السابقين إلى فئتين فضلاً عن وجود خلافات حادة بينهما ، وكيف لنا أن نتصور أن المسلمين السابقين سمحوا لأنفسهم أن يتمزقوا في وقت كان فيه مشركو مكة يقعدون لهم كل مرصد يتوعدونهم ويصدونهم عن سبيل الله ، لقد كانت معركة المسلمين مع المشركين معركة حياة أو موت ، ومن المستحيل أن يتطوع المسلمون في تلك الظروف ليعينوا المشركين على أنفسهم ([2])،يضاف إلى ذلك أنه لو افترضنا صحة هذا القول ،لما أقلقت تلك الهجرة قريشا ولما جعلها تهتم هذا الاهتمام الشديد بأمر الذين هاجروا وتسعى في طلبهم من النجاشي والتخلي عن حمايتهم وعودتهم إلى مكة مرة أخرى، ثم ألم يكن حرياً بهؤلاء المستشرقين أن يذكروا أسباب ذلك الانشقاق حتى نقتنع بكلامهم؟.

إن المسلمين في تلك الفترة لم يكن بينهم ما يدعوا إلى الخلاف ، فالأحوال الاقتصادية متقاربة ، ولم يعدهم **محمد** – صلى الله عليه وسلم - بأية غنائم أو مكاسب مادية أو مكانة اجتماعية أو سياسية ، كما تشير اسماء المهاجرين إلى الحبشة إلى اتساع دائرة الإسلام وكسبه لعناصر من شتى بطون قريش فقد هاجر من بني هاشم وبني أمية وبني أسد وبني عبد شمس وبني نوفل وبني عبد الدار وبني قصي وبني زهرة وبني هذيل وبني تميم وبني مخزوم وغيرهم([3]) فأصبح هناك تنوع كبير في أصول الذين اعتنقوا الإسلام وبالتالي أصبحت للدعوة الإسلامية صفة الشمول في مكة رغم قلة أعضائها ولم يعد هناك مجال للخلاف بسبب العصبية والقبلية أو النسب أو الجاه أو المال، ثم أن ظروف الدعوة في تلك المرحلة تستدعي بالضرورة أن يضع كل مسلم يده في يد أخيه خوفاً على نفسه أولاً من أذى قريش ، وخوفاً على الدعوة من

(2) William Muir :Life of Mohammed from the original sources,vol 2,p 132 D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam ,p 157. Montgomery watt: Mohammed at Mecca,p 144,117- also see , Mohammed: Prophet and statesman , ,p 68

(3) ينظر :عبد الرحمن سالم : المرجع السابق ، ص 67

(1) ينظر :السهيلي: الروض الانف في تفسير السيرة النبوية ، 1\205-213

الطمس ثانياً، والسؤال الذي يطرح نفسه : إذا كانت تلك هي الدوافع التي دعت إليها الهجرة ، فلماذا كانت الهجرة الثانية إذا لم تحقق الأولى تلك الأهداف .

رابع عشر / قصة الغرانيق :

اعتاد مشركو قريش على الافتراء على الرسول والمسلمين ، ومن ذلك ما ذكره بعضهم من أن سبب عودة المهاجرين من الحبشة ([1])، هو قصة الغرانيق ([2])، وقد نقل بعض المؤرخين المسلمين الذين لا يتحرون الصواب ويلقون القول على عواهنه ، ويأخذون بافتراءات الأعداء ممن يكيدون للإسلام ، والمسلمين ،بتلك الفرية ، التي وجد فيها المستشرقون والمبشرون مادة دسمة للطعن في الرسول – صلى الله عليه وسلم – ([3]) ،حيث زعم بعض المؤرخين أن الرسول - صلى الله عليه وسلم- كان بمكة ، فقرأ سورة النجم على المشركين ،حتى انتهى إلى قوله تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى .وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾**([4]) ،فجرى على لسانه : (تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى) ، فسمع ذلك مشركوا مكة ، فَسُرُّوا بذلك ([5]).

لقد تعلق المستشرقون كثيراً بهذه القصة ([6])،مع أنها ظاهرة التهافت ، واضحة البطلان([7]) وأخذوها على أنها حقيقة مؤكدة ،معتبرين أن اعتراف الرسول-صلى الله عليه وسلم - بالآلهة الثلاثة كان وراءه هدف سياسي لكسب الأنصار في مكة والمدينة والطائف ، واستمالة عدد من زعماء قريش ، ولم يخرج المستشرقون الإنجليز عن الطريق نفسه ، فهم كغيرهم قد

---

(2) ينظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ،1\ 204، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 2\ 70، ابن كثير : البداية والنهاية ، 3\ 67-، ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي سيد العباد ، 1\ 24.69، ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، 1\ 115.

(3) الغرانيق : جمع غرنوق أو غرنيق ، وهي طائر أبيض من طير الماء طويل العنق، ويذكر ابن منظور أن المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم إلى الله وتشفع لهم عنده ، فشبهت بالطيور تعلو وترتفع في السماء . ابن منظور : لسان العرب المحيط ، 2\982.

(4) 3ينظر :السيد محمود المنوفي : سيرة سيد المرسلين ، 1\ 194.

(5) سورة النجم، الآيات 19-20.

(6) ينظر :الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 2\ 75، ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، 1\120 ،

(1) يذكر أن المستشرقين قد تعلقوا بهذه القصة كثيراً لهدم الإسلام ، وأطلقوا عليها اسماً مثيراً هو (الآيات الشيطانية) Satanic Verses ، بل أن الكاتب البريطاني الجنسية الهندي الأصل (سلمان رشدي) جعل من (آيات شيطانية) عنواناً لروايته المشهورة التي أصدرها في أواخر الثمانينات من القرن العشرين ، وحشاها بكل ما لا يخطر على البال من صور البذاءة والافتراء ضد الإسلام ونبيه . عن، عبد الرحمن أحمد سالم : الرسول – صلى الله عليه وسلم – حياته وتطور الدعوة في عصره ، ص 71 .

(2) ينظر :السيد محمود المنوفي : سيرة سيد المرسلين ، 1\ 195.

صدقوا هذه القصة ، واتخذوها مادة في الطعن في رسالة **محمد** – صلى الله عليه وسلم – وذكروا أن محمداً قام بالاتفاق مع القرشيين الوثنيين وإنه كان في الواقع يتلقى الوحي من الشيطان ([1]).

والرد على هذه الفرية يكمن في النقاط الآتية :

(1) أن حديث الغرانيق لم يخرجه أحد من أهل كتب الصحاح ولا رواه ثقة بسند سليم متصل ، وإنما ولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ([2])، ومما يدل عل بطلانها اضطراب الروايات حولها ، وأن القصة لم يخرجها أصحاب الكتب الصحاح ، والسنن ([3]).

(2) أن حجر الزاوية في الإسلام هو التوحيد الخالص ،قال تعالى :**﴿ وَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾** ([4]) ، ويتوعد من يفتري على الله، إذ يقول تعالى: **﴿... فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾**([5]).

(3) أن الرسول –صلى الله عليه وسلم - الذي عرف طوال عمره بروحه الكفاحية العالية التي لا تهادن ؛لا يمكن البتة أن يعترف بتلك الآلهة ، ويقع في فخ الشرك الذي كان أساس دعوته القضاء عليه وإقامة الوحدانية ،و أن قريشاً كانت في هذه المرحلة التاريخية ، التي اختلق في سياقها هذا الخبر ، على أشد عنفها ومحاربتها الدعوة الإسلامية ، التي كانت تعاني صعوبات جمة .

(4) أن مبدأ عصمة الأنبياء فيما يبلغونه عن الله مبدأ ثابت لا جدال فيه **﴿ ...وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾** ([6]) ، فكيف يزعم زاعم أن الرسول قد فقد العصمة في هذا الموقف فنطق بما نطق به بوحي الشيطان ؟.

(5) التناقض الصارخ بين هذا الكلام وقوله تعالى **﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ اسماءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم**

---

(3) William Muir :Life of Mohammed from the original sources,2\151, D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam,p 160.

(4) ينظر :محمد علي الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير، دار الصابوني للنشر والتوزيع والإعلان (القاهرة ، ب ت) 3\239،.

(5) ينظر :محمد أبو شهبة: السيرة النبوية ، 1\ 377.

(6) سورة البقرة ، الآية 163.

(7) سورة الأنعام ، الآية 144.

(1) سورة المائدة ، الآية 67.

مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ ([1])، فكيف يجتمع ذم صريح مع مدح صريح في سياق واحد ؟ ([2]).

(6) أن هذه القصة قد وردت عند **الواقدي والطبري** ، ولم يذكرها **ابن اسحاق** ، وهو الذي لم يغادر من حياة الرسول شيئاً إلا ذكره ، و**ابن اسحق** جاء قبل **الواقدي** بأربعين عام وقبل **الطبري** بنحو مائة وخمسين عام أو تزيد، ومع ذلك لم يذكر هذه القصة ،([3])ثم إن الواقدي معروف عند أهل الحديث بأنه يضع الأحاديث وأنه غير ثقة فيما يروي ([4]).

وهكذا يتبين بطلان القصة ، ويذكر بعض المؤرخين المسلمين أن سبب عودة المسلمين من الحبشة ، هو وصول خبر كاذب بأن قريشاً قد أسلمت ([5])، والأرجح أن تكون الإضطرابات التي تعرض لها النجاشي في تلك الفترة جعلت بعض المسلمين يحمل السيف ويقاتل معه ([6])،قد أثرت على موقف المسلمين هناك فاضطروا للعودة ، فقد ذكر ابن هشام أن الحبشة خرجت على النجاشي لأنه فارق النصرانية وأعلن إسلامه ، فأرسل إلى **جعفر بن عبد المطلب** وأصحابه فهيأ لهم سفناً ، وأمرهم بالركوب فيها فإن هزم مضوا إلى حيث شاءوا وإن ظفر ثبتوا([7])، عادوا وهم يتطلعون إلى تغير موقف قريش من الدعوة ، ولكنهم لما اقتربوا من مكة بلغهم أن قريشاً أشد عداوة فدخل بعضهم في جوار ودخل الأخر متخفياً ([8])

خامس عشر / التشكيك في مقدار اضطهاد مشركي مكة للمسلمين:

تذكر المصادر الإسلامية ، أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد لقي في مكة معارضة قوية من قريش ، وتعرض منهم لكل صنوف الأذى ، فأغروا به سفهاءهم ، وكذبوه وآذوه ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون ([9]) ، وعندما رأت قريشاً أن المسلمين قد هاجروا إلى الحبشة ، حيث أصابوا أمناً واستقراراً ، وأن **النجاشي** قد منعهم ، وأن **حمزة بن**

---

(2) النجم ، الآية 23.
(3) ينظر :عبد الرحمن أحمد سالم : الرسول – صلى الله عليه وسلم – حياته وتطور الدعوة في عصره ، ص 72.
(4) ينظر :ابن هشام : السيرة النبوية ، 2\ 13، -15.
(5) ينظر :محمد أبو شهبة: السيرة النبوية ، 1\ 377= القاضي عياض : الشف بتعريف حقوق المصطفى ، 2\ 117
(6) ينظر :ابن هشام : المصدر السابق ، 2\ 13، ابن حزم : جوامع السيرة ، ص 65.
(7) ينظر :البلاذري: أنساب الأشراف، 1\201، 202
(8) ينظر ، ابن هشام : المصدر السابق ، 1\ 219.
(9) ينظر :ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، 2\ 77 ، كذلك أسد الغابة في معرفة الصحابة ، 3\ 599.
(1) ينظر :ابن هشام : السيرة النبوية، 1\ 203 ، 2\ 6- 33، البلاذري : أنساب الأشراف ، 1\ 205، ابن كثير : السيرة النبوية ، 2\ 66.

عبد المطلب و**عمر بن الخطاب** قد دخلا الإسلام ، فمنعاه ودعماه وشجعا الكثيرين على الإقتداء بهما ([1]) ، اجتمعوا بأمر الصحيفة ، فقاطعوا بني هاشم وحاصروهم في الشِّعب ثلاث سنوات ، فتصايح صبيانهم جوعاً ، ومات الكثير منهم ([2]).

ومع كل صنوف العذاب التي عاناها المسلمون في مكة فإن **وات** يعطي قدرا ضئيلا من الأهمية للاضطهاد الذي تعرض له المسلمون ، ويرى بأن المسلمين قاموا باختلاق هذه الروايات في وقت لاحق رغبة في تضخيم التضحيات التي قاموا بها ، حيث قال:

" ..ويصعب تقويم طبيعة اضطهاد المسلمين في مكة ومقداره ، فقد كان هناك قليل من العنف الجسدي وكان ذلك غالب الوقت من قبل العائلة،وعانى محمد من مضايقات صغيرة مثل وضع النفايات خارج داره،...، وفي بعض العائلات كان هناك اضطهاد ضئيل لأفرادها الصغار الذين اتبعوه" ([3]).

والرد على ذلك الرأي يكمن في الأتي :

(1) من الطبعي أن يضطهد أصحاب الرسالات ومناصروهم في مجتمعاتهم وأن يضيّق عليهم الخناق، قال تعالى : ﴿ **يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ ([4]) ، والمعارضة القرشية جاءت على القدر الذي جاءت عليه من القوة بسبب أن هذه الرسالة التي خرجت بين ظهرانيهم تحدت جميع ما آمنوا به من لدن آبائهم الأولين وما تعودوا عليه من طريقة عيش وإدارة شؤونهم الحياتية([5]).

(2) أن المصادر الإسلامية قد اتفقت على عظمة الأهوال التي تعرض لها الرسول- صلى الله عليه وسلم ، والمسلمون معه ، وأن التشكيك في مصداقية هذه المصادر ، دون إثبات دليل ، هو حياد عن المنهج العلمي ، وجنوح إلى الخيال لا يمت للتأريخ بصلة .

سادس عشر / ليلة الهجرة

أخذ الرسول – صلى الله عليه وسلم يدعو إلى أمر ربه ، ويعرض دينه في مواسم العرب ، وكان يتبعه **أبو لهب بن عبد المطلب** ويكذبه ، ومع ذلك فقد استجاب للدعوة ستة من

(2) ينظر :ابن هشام : المصدر السابق ، 1\ 220.
(3) ينظر : الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، 328/2 – 329.
(4) Montgomery watt: Muhammad at Mecca,Pp145-146
(5) سورة يس ، الآية 30.
(6) ينظر :ابن هشام : المصدر السابق ، 315/1 – 317

الأوس سكان يثرب ، بعدما عرفوا في الرسول صفته التي تحدثت بها اليهود في المدينة ، فكانت بيعة العقبة الأولى ، وأرسل معهم **مصعب ابن عمير** ليفقههم في الدين ، فكان أن عاد **مصعب** في الموسم التالي ومعه ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتين من أهل يثرب ، و كانت بيعة العقبة الثانية ، ولما علمت قريش أنه آوى إلى قوم أهل حرب وحمية أجمع زعماؤها ، في دار الندوة، على رأي **أبو جهل** بأن يأخذ من كل قبيلة شاباً قوياً ، يتربصون بالرسول – صلى الله عليه وسلم – ويضربونه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه بين القبائل ، ويعجز بنو هاشم عن المطالبة به ، لكن إرادة الله فوق كل إرادة ، وهو خير الماكرين إذ أعلم نبيه بمخطط المشركين وأمره بالهجرة ([1]) .

يستبعد المستشرقون الإنجليز محاولة اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم التي تعرض لها قبيل هجرته، التي حيكت له في دار الندوة، إذ يقول:

> **"ليس هناك شك في أن هذا الاجتماع قد عقد، وأن الحاضرين أدركوا أن محمدا يهيئ مشاريع معادية لهم، كما يقول ابن إسحق، وتوضح الحوادث التي وقعت فيما بعد أن النية لم تنعقد على قتل محمد...، ومن الصعب التأكد من طبيعة الخطر الذي كان يهدد محمدا وأتباعه، فلقد أضيفت أشياء كثيرة على قصة الهجرة، حتى إن المصادر الأولى نفسها لم تخل من الإضافات "**([2]).

والرد على محاولة التشكيك تلك تتلخص في الآتي :

أ- أن القرآن الكريم قد ذكر أن الاجتماع قد حدث فعلاً ، وأن التآمر على قتل الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد كان القرار الذي توصل إليه المجتمعون ، قال تعالى :**﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** ([3]) .

ب- إذا كان هؤلاء المستشرقون قد ذكروا أن الاجتماع قد عقده القرشيون ، بعدما أدركوا أن محمداً كان يخطط لهم مشاريع معادية ، لم يكن لها وجود إلا في أذهان هؤلاء المستشرقين ، ففيما كان اجتماع قريش ، هل كانوا يخططون للرحيل عن مكة مثلاً ، وإفساح المجال لمحمد ؟ أم أنهم كانوا يريدون شيئاً آخر .

---

(1) ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية ،2\ 53- 98، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 1\ 109- 114.

(2) William Muir :Life of Mohammed from the original sources, 3\ 89 D.S.Margoliouth,. . Mohammed and the Rise of Islam , p 90, Montgomery watt: : Muhammad: Prophet and Statesman,p273

(1) سورة الأنفال ، الآية 30 .

والخلاصة :إن منهج المستشرقين قد بات واضحاً ، فهم يعمدون إلى التشكيك في صحة الخبر الصحيح ، ويقللون من قيمة المصادر الإسلامية التي أكدت مصداقيته ، ويخترعون تاريخاً جديداً يخدم أهدافهم وأغراضهم .

الفصل الرابع
موقف المستشرقين الإنجليز من السيرة النبوية بعد الهجرة
(العهد المدني)

موقف المستشرقين الإنجليز من السيرة النبوية بعد الهجرة(العهد المدني)

أولاً / التشكيك في العلاقة مع الأنصار----------149
ثانياً / الإدعاء بالتحول إلى السلطة والملك----------151
ثالثاً / شبهة البدء بالعدوان على قريش----------154
1- الرغبة في الانتقام من قريش----------155
2- التوسع المادي ----------156
3- إلتماس مصدر رزق للمهاجرين---------- 157
رابعاً / سرية عبد الله بن جحش----------158
خامساً / التعاطف مع قريش في غزوة بدر ---------- 163
سادساً /شبهة القسوة في معاملة الأسرى ----------165
سابعاً / حياة الرسول الخاصة----------170
1- الوفاء ----------170
2- تعدد الزوجات ----------171
3- شبهة زواجه من زينب بنت جحش----------176
ثامناً / العلاقات مع اليهود----------178

1- موقف الرسول من اليهود عند الهجرة ----------178
2- إجلاء بني قينقاع ----------179
3- طرد بنو النضير ----------182
4- الحكم على بني قريضة----------183
5- فتح خيبر---------- 185

موقف المستشرقين الإنجليز من السيرة النبوية بعد الهجرة

إن الدراسة المتأنية لكتابات المستشرقين - الذين لم يروا في الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته- منذ البذور الأولي للاستشراق وحتى الآن تنم عن غلبة موقفهم المهاجم والمعادي للرسول صلى الله عليه وسلم ،وتأثر دراساتهم بكثير من العوامل، كالكذب والافتراء - وبخاصةً في السنوات التي سبقت الحروب الصليبية وواكبتها - ثم استمر الأمر كذلك إلي العصر الحديث و ظلت هذه الدراسات سجينة مواصفات العقل الغربي الذي تشكل من خلال الرواسب الدينية للعصور الوسطى، والنزعة العلمانية الثائرة على الكنيسة، والاعتماد على المسلَّمات المادية الوضعية للأشياء التي لا تؤمن إلا بالمحسوس ، ولا قيمة لما سواها من الظواهر الدينية الغيبية والأخلاقية القيمة.

لقد أفرد المستشرقون الإنجليز حيزاً كبيراً في مؤلفاتهم للسيرة النبوية ، وتحليل مجرياتها ، ولم يكونوا في غالب عملهم منصفين ، وإنما كان التحامل على الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالنسبة لهم هدف اسمى ، حيث حفلت بآراء وتحليلات مجانبة للحقيقة حريٌ بنا

مناقشتها وبيان مكان الخطأ فيها ، اعتماداً على آراء العلماء والمؤرخين المسلمين الثقاة ،والمنصفين من أهل الاستشراق أنفسهم .

أولاً / التشكيك في العلاقة مع الأنصار:

إن الوضع الذي عاش فيه الرسول والمسلمون في العهد المكيّ كان شديداً ، فقد ضُيّق عليهم صناديد قريش وكبراؤها ([1]) ، وقاموا بتعذيب المسلمين والتنكيل بهم ، ومارسوا عليهم أشد أساليب الاضطهاد الديني والتعذيب الوحشيّ([2]) ، حتى استشهد منهم الكثير([3]) ، وضُرب عليهم الحصار الاقتصادي والاجتماعي حتى أكلوا أوراق الشجر ([4])، وعاشوا حياةً مليئةً بالمصاعب والآلام، فما كان للمسلمين إلا أن يتخلّوا عن أوطانهم وديارهم ، فراراً بدينهم ، وطلباً لمكان يعبدون فيه ربّهم، دون أن يتعرّض لهم أحد([5])، فالغاية الأولى التي كان يسعى إليها الرسول والمسلمون من البحث عن دار للهجرة([6]) هي ممارسة الحرية الدينية ، وقد استقبلهم الأنصار في المدينة المنورة بفرحة عامرة ، وشاركوهم في أموالهم بصدر رحب ، واتحدت الأطراف التي كانت متعادية بالأمس، ورضيت بأن تكون تحت قيادة حكيمة واحدة ، وهي قيادته – صلى الله عليه وسلم ؛ حباً في الله ورسوله ، وخدمةً للإسلام وللدولة الإسلامية الوليدة.

حاول المستشرقون الإنجليز ، الإيحاء بأن الأنصار حين قبلوا محمدا رسولا، وحين نظموا مجيئه إلى المدينة لم يعترفوا له صراحة بحقه في أن يحكم بينهم([7])، وأن محمدا-صلى الله عليه وسلم - اكتفى بأن ينظر إليه على أنه رسول، ولم يطالب بأي امتياز آخر([8])، وأن الطاعة لم تكن واجبة صراحة في الصحيفة التي عرفت فيما بعد بدستور المدينة([9]).

---

(1) ينظر :ابن هشام : السيرة النبوية ، 1\ 289، البلاذري: أنساب الأشراف ، 1\ 205، ابن كثير: السيرة النبوية ،2\ 66 .

(2) ينظر :السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص 324- 328.

(3) ينظر :ابن هشام : المصدر السابق ، 1\ 355، البلاذري ، المصدر السابق ، 1\ 230 - 234، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 1\189 ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 1\ 209.

(4) ينظر :ابن هشام : السيرة النبوية ،1\416، 2\ 49. ابن سعد : الطبقات الكبرى ،1\122-125،ابن كثير : السيرة النبوية ، 2\67- 146، السهيلي : الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية ، 2\ 172، ابن الأثير ، أسد الغابة ، 1\25. البلاذري : أنساب الأشراف ، 1\ 236، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 1\ ، 1196 .

(1) ينظر :ابن هشام : المصدر السابق ، 2\85-94.

(2) ينظر :تعتبر الهجرة النبوية بدايةً للتاريخ الإسلامي ،وقد حدثت في العام الثالث عشر للبعثة، والعام الأول من الهجرة توافق عام622 ميلادية ، وقد كان الرسول – صلى الله عليه وسلم- حينها في الخامسة والخمسين من عمره.نقلاً عن ،محمد فتحي عثمان : دولة الفكرة التي أقامها رسول الإسلام عقب الهجرة ، مكتبة وهبة ، (القاهرة ،ب ت) ، ص6.

(3) See: William Muir :Life of Mohammed from the original sources, Volume III,p 25 D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam.p185, Montgomery watt: Muhammad at Pp 228 - 238 Medina,

كل هذا ادعاء زائف غير مدعوم بالوقائع ، وبالتالي لا يلبث أن ينقشع أمام حقائق التاريخ، والدليل على ذلك الأتي :

(1) فإذا ما رجعنا إلى البنود الستة لبيعة العقبة الأولى بين الأنصار والرسول -صلى الله عليه وسلم -لوجدنا بينها ما ينص على الطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم دون حصر الطاعة في أي إطار سواء أكان دينيا أم سياسيا، فهي طاعة مطلقة، وكذلك أكدت عليه بيعة العقبة الثانية ، فقد قال عبادة بن الصامت- رضي الله عنه :

" بايعنا رسول الله ليلة العقبة على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نقترفه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف " ([1]) .

(2) أن الصحيفة تنص صراحة على الطاعة : **"ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله"** ([2])، فالخلافات الجسيمة التي يخشى من فسادها على المجتمع ترد إلى شخص واحد، ألا يعني هذا أن هذا الشخص الذي يرجعون إليه في أمورهم هو قائد "أهل هذه الصحيفة" الذين هم أهل المدينة كافة؟([3]).

(3) أن شدة إعجاب الأنصار بشخصية الرسول -صلى الله عليه وسلم _وتصورهم لمكانته القيادية تظهر في قولهم له عندما دعاهم إلى الإسلام:

"إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك، فلا رجل أعز منك" ([4]).

وقبيل غزوة بدر أتى رد **سعد بن معاذ** رضي الله عنه يؤكد ولاء الأنصار للرسول صلى الله عليه وسلم إذ قال على الملأ:

"قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض بنا يا رسول الله لما أردت فنحن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما

(4) ابن هشام : السيرة النبوية ، 2\ 59، 65، 71، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، 2\ 356 – 363.
(1) ينظر :ابن هشام : السيرة النبوية ، 2\ 58، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ،1\ 122 – 123.
(2) ينظر :وليد بن بليهش العمرى: السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ، ص33.
(3) الطبري : المصدر السابق ، 2\ 354.

تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله"([1])

ثانياً / الإدعاء بالتحول إلى السلطة والملك

هاجر الرسول إلى المدينة ، وكان أول شيء فعله أن اتخذ للدين الإسلامي مسجداً للصلاة([2])، ومركزاً للدعوة ولتسيير أمور دولة الإسلام الناشئة ([3])، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار([4])، وشرع بعد ذلك في وضع نظام للحياة الاجتماعية يكون دعامة للوحدة بين سكان المدينة ، فوضع الصحيفة ([5])،التي تعتبر بحق دستور الدولة الإسلامية في المدينة([6]).

ورغم أن هجرة الرسول إلى المدينة قد تمخضت عن تصفية الأحقاد القديمة ، ونبذ العصبية وإنكار الدعوة لها ([7])، وعن الكثير من التغيرات الإيجابية في حياة العرب جميعاً والمسلمين خاصة ، فإن المستشرقين الإنجليز ،والذين لا يؤمنون بنبوة **محمد** من أساسها ، ويسعون بكل وسيلة إلى تقويض أركان الدعوة الإسلامية ،يختلقون الاعتراضات ، و يدعون بأن الرسول – صلى الله عليه وسلم - قد تحوّل ، بعد الهجرة إلى المدينة ، إلى رجل دولة([8]).

كما يدعي هؤلاء المستشرقون بأنه – صلى الله عليه وسلم -قد استخدم الوحي لتحقيق أغراضه الدنيوية والشخصية([9]) ، وأنه لجأ إلى اتباع الأساليب الدبلوماسية كما يمارسها الحكام الدنيويين[(10)] .

وقبل الرد على هذا القول ينبغي لنا أن نلاحظ المصطلحات التي حاول المستشرقون الإيحاء بها بأن محمداً كان مدعياً منذ البداية ، فاستخدام لفظ(تحوّل) ، يوحي بالتغير والانقلاب الكامل ،فيستشعر القاريء من هذا القول بأن الرسول قد نسى الدعوة إلى الله ،التي بدأها في مكة تماماً ، وصار في المدينة شيئاً آخر ، يمكن تصوره من خلال هذا اللفظ بالملك أو الإمبراطور ، أو حتى الأمير، الذي يسعى إلى السلطة والقوة والملك ، وإرضاء الذات .

---

(4) ينظر :ابن هشام: المصدر السابق ، 2\- 208.
(5) ينظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 2\ 255، ابن كثير : البداية والنهاية ، 3\ 219.
(6) ينظر :عبد الشافي محمد عبد اللطيف : السيرة النبوية ، ص 140.
(7) ينظر :ابن هشام : المصدر السابق ، 2\ 123، ابن سعد :المصدر السابق، 2\115.
(8) ينظر :ابن هشام : المصدر السابق ، 2\ 119- 123.
(9) ينظر :السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص 341.
(1) ينظر :شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ، دار العلم للملايين ، ط4،(بيروت ، 1978م)، ص 30-31.
(2) See: Montgomery watt: Mohammed at Medina ,p5.
(3) See: William Muir :Life of Mohammed from the original sources ,Vol,III,P p1-24 D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam Pp 185- 234.
(4) See: Muir: Op.Cit,Vol, III, Pp20.

أما الرد على ذلك الزعم فيكمن في الآتي :

(1) إذا كان **محمداً**- صلى الله عليه وسلم -مجرد رجل سياسة نابغ طموح لماذا لم يظهر كل هذا الطموح إلا بعد انقضاء أربعين عاما من عمره؟ ، أوليس الطموح والنزوع إلى السلطة تظهران في ريعان الشباب؟ وهو الذي لم يذكر لنا أحد أنه تبوأ منصبا قياديا في قريش قط ، بل إنه لحكمة أرادها علام الغيوب -سبحانه وتعالى -انتهج خطا هادئا بين رعي الأغنام والتجارة([1]).

(2) أن السلطة والمُلك قد عُرضتا عليه، من قبل قريش، وهو في مكة ، والدعوة الإسلامية لا تزال وليدة ناشئة ، فلماذا لم يقبلها؟ ، وأقسم أن يتم رسالته أو يهلك دونها.

(3) إننا كمسلمين لا ننكر بأن الرسول قد أنشأ دولة جديدة في المدينة ، وأنه كان الحاكم الفعلي لها ، ولكنه لم يهمل دعوته ولا فرط في سبيل إنجازها وتوصيلها إلى كل الناس دون تمييز ، باذلاً في سبيل ذلك الغالي والنفيس ، وينبغي التأكيد على أن الدولة الإسلامية قد قامت على أساس الرسالة الإسلامية ، التي هي من حيث طبيعتها رسالة عالمية ([2])، امتازت بأنها دين ودولة ، أي أنها عقيدة دينية تنبثق منها شريعة ، وهذه الشريعة يقوم عليها نظام اجتماعي كامل ، يحقق لو طُبق تطبيقاً سليماً – سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ([3]) .

(4) أن آيات القرآن تؤكد أن الرسول كان مأموراً بأن يكون حاكماً للمسلمين، قال تعالى:**﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾** ([4])،وقال أيضاً : **﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾**([5]) ، وأن المسلمين لا يكونون مسلمين حقاً إلا إذا ارتضوه حاكماً لهم.

(5) أن الإسلام هو نظام حكم فلا بد من أن توضع الوسائل اللازمة لتطبيقه في واقع

---

(5) ينظر :وليد بن بليهش العمرى: السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ص 35.

(1) ينظر :محمد البهي : الدين والدولة في توجيه القرآن الكريم ، دار الفكر ،(بيروت ، 1971م)، ص 490، محمد فتحي عثمان : المرجع السابق، ص 61 ، صادق عرجون : نظام الحكم في الإسلام ، مكتبة وهبة (القاهرة ، ب ت) ص 30 .

(2) ينظر :عبد الشافي محمد عبد اللطيف : السيرة النبوية ، ص 135- 138.

(3) سورة المائدة ، الآية 49.

(4) سورة النساء ، الآية 105.

الحياة ، ودراسة عهد الرسول في المدينة توضح أنه أرسى قواعد الدولة المنظمة كأحسن ما يكون التنظيم ، وأن الأسلوب الذي اتبعه الرسول في إدارة هذه الدولة كان ملائماً لعصره ، ووافياً بحاجات المجتمع الذي يحكمه ([1]).

(6) أن الرسول رغم كونه الحاكم الفعلي للدولة الإسلامية في طورها المدني ، فإنه عاش حياة الاعتدال ، كأي مسلم آخر ، وهذا ما تتفق فيه الكثير من الكتابات الإسلامية مع كثير من الكتابات الاستشراقية، مؤكدة أن حياة الرسول-صلى الله عليه وسلم – قبل البعثة وبعدها، بقيت على حالة الزهد و أنه كان في عداء مع ملذات الحياة المادية ، فقد عُرضت عليه في مكة ، فأباها ، ودانت له في المدينة فلم تغره بمباهجها ([2]).

ثالثاً / شبهة البدء بالعدوان على قريش:

هاجر الرسول إلى المدينة ، وأسس فيها نواة الدولة العربية الإسلامية ، وكان إبلاغ الرسالة إلى العالم بالوسائل السلمية([3]) ، هو الهدف الأول والأخير الذي سعى الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى تحقيقه ، كما كان – في الوقت نفسه - على يقين من أن قريشاً لن تتركه يتقوى، ولهذا أعتبرها العدو الأول للمسلمين ، ونص في صحيفته على تحريم إجارة قريش ونصرتها ، وتحريم إجارة مال لقريش ([4]) ، وذلك رداً على قريش التي قامت بالاستيلاء على جميع ممتلكات المهاجرين، واستباحت ديارهم وأموالهم ([5])، فكان طبيعياً أن يواجه المسلمون المشركين بصراع اقتصادي مضاد ،كان له عدة أهداف منها :

أ- استعادة أموال المهاجرين التي صادرتها قريش في مكة([6]) ، وحرمتهم من الانتفاع بها .

ب- الضغط على قريش و التلويح لها بقوة المسلمين ، وأن عليها أن تبتعد عن طريق الدعوة ، وتكف عن ملاحقة المسلمين بالأذى ، وترفع أذاها عن المستضعفين من المسلمين الذين

---

(5) ينظر :عبد الشافي محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص 138

(1) See: Antonie Wessels: A Modern Arabic Biography of Muhammad: A critical study of Muhammad Husayn Haykal's Hayat Muhammad, Leiden, E.J. Brill, 1972, p. 53, and: Alexander Knysh:Islamic Mysticism: A short History, Brill, Leiden . Boston . Koln , 2000, pp. 176-177.

(2) هذا ما يشهد به المستشرقون أنفسهم ومنهم توماس كارليل حين قال: "لقد كان محمد زاهدًا متقشفًا في مسكنه، ومأكله، ومشربه، وملبسه، وسائر أموره وأحواله.. فحبَّذا محمدٌ من رجل خشن اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد في الله، قائم النهار، ساهر الليل، دائبٍ في نشر دين الله، غير طامع إلى ما يطمع إليه أصاغر الرجال، من رتبة، أو دولة ، أو سلطان، غير متطلع إلى ذِكْرٍ أو شهوة " ينظر :توماس كارليل : الأبطال ، ص 70 .

(3) ينظر :ابن هشام : السيرة النبوية ، 2\ 501-508، ابن كثير : السيرة النبوية ، 2\ 321، وللإطلاع على مناقشة بنود الصحيفة ، ينظر : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص 352، أحمد إبراهيم الشريف : الدولة الإسلامية الأولى، المكتبة التاريخية (القاهرة ، 1965م) ص 79 .

(4) ليس أدل على ذلك من تجريدهم لأموال صهيب الرومي رضي الله عنه . ينظر :ابن سعد: الطبقات الكبرى ، 2\ 228

(5) ينظر :ابن هشام : السيرة النبوية،2\ 76، ابن كثير : السيرة النبوية ، 2\ 3.

حبستهم في مكة وحالت بينهم وبين الهجرة إلى المدينة ([1])،وإلا فإن تجارتها ومصدر ثرائها ومجدها وعزها ، وتفوقها على غيرها من العرب سيكون في خطر([2]) .

ت- موادعة القبائل النازلة في طريق القوافل وتلقف أخبار قريش ([3]).

وللأسباب السابقة الذكر ، كان يبعث –صلى الله عليه وسلم - السرايا لتعترض عير قريش في طريقها إلى الشام أو عند عودتها إلى مكة ، دون أن تشتبك معها في قتال أو تستولي على قوافلها ، ولكن المستشرقين الإنجليز ، الذين دأبوا على قلب حقائق التاريخ ، وضعوا عدة دوافع وأهداف مزعومة لتلك السرايا تتمثل في الآتي :

1- الرغبة في الانتقام من قريش :

يتخذ المستشرقون من السرايا الأولى ([4]) دليلاً على أن الرسول والمسلمين قد فكروا([5])في الانتقام من قريش ([6])، وفي هذا الصدد يقول **موير**:

" إن أفكار الضغينة خمدت في مكة، ولكن أفكار محمد لم تكن من يوم هجرته أفكار سلام، ففي وحيه جاء التهديد بالانتقام من أعدائه، انتقام لا يؤجل إلى مستقبل الأيام بل هو عاجل وساحق على الفور، وكان بمكانه - وهو آمن في مأواه الحالي - أن يكون منفذاً للحكم الإلهي وفي الوقت نفسه أن يفرض دينه وينتصر على الذين كانوا قد رفضوه. كان العدوان على قريش كامناً في صدره كبذرة ناشئة تنتظر فرصة ملائمة لتنبت"([7]).

وهذا افتراء واضح ،وذلك للأسباب الآتية :

أ- عندما هاجر الرسول من مكة إلى المدينة ، لم يكن من خطته أن يبدأ قريشاً بالحرب إزاء ما قامت به خلال ثلاثة عشر عاماً ، فهو في اصل رسالته لم يأت للقضاء على قريش ، وإنما جاء رحمة للعالمين ([8]).

ب- المعروف من سيرته أنه وهو في أقصى الظروف ، وعندما بلغ أذى قومه له غاية السوء

---

(6) من أمثلة ذلك : هشام بن عاصم السهمي ، الذي منعه المشركون من الهجرة وحبسوه وفتنوه عن دينه ، وكذلك عياش بن ربيعة .ينظر ، ابن هشام : المصدر السابق ، 2\ 87- 88، ابن كثير : المصدرالسابق ، 2\ 221 .

(7) ينظر :عبد الشافي محمد عبد اللطيف : السيرة النبوية ، ص 82.

(8) ينظر :أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي: المغازي ، تحقيق : مارسدن جونس ، عالم الكتب (بيروت ، ب ت) 1\19 .

(1) لمزيد من التفاصيل عن تلك السرايا ينظر : ، ابن هشام : السيرة النبوية ، 2\187- 197. الواقدي : المصدر نفسه ،1\ 9 ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 2\ 251- 253، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 2\ 402

(2) see: Montgomery watt: Mohammed at Medina, P7.

(3) See :D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam,p185 William Muir :Life of Mohammed from the original sources, Vol :III, p63.

(4) See:Muir: Life of Mohammed ,vol III, 63

(5) ينظر: عبد الشافي محمد عبد اللطيف : السيرة النبوية ، ص 81، السيد سالم عبد العزيز: الدولة العربية، ص 355.

لم يطلب ولم يتمن هلاكهم ، وإنما رجا من الله هدايتهم إلى الصراط المستقيم ، وأن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً([1]).

2- التوسع المادي :

حاول المستشرقون الإنجليز الإيحاء بأن النبي -صلى الله عليه وسلّم- لجأ إلى السطو على قوافل قريش التي كانت محمّلة بأثمن البضائع ، رغبةً منه في التوسّع المادي ، وتكديس الثروات ، ودللوا على تلك المزاعم ،بأنه – صلى الله عليه وسلم – بدأ بعد الهجرة يعمل على جمع الأموال والغنائم من خلال الحروب (السرايا الأولى) التي خاضها هو وأصحابه، ابتغاء تحصيل مكاسب مادية وفوائد معنوية([2]) ،ويرى المستشرقون الإنجليز أن ما كان يقصده الرسول من تلك السرايا نهب تجارة القوافل([3]) وأضافوا:

" فإن النهب كان بعض طباع أهل البادية ، وأن أهل المدينة إنما أغرتهم الغنيمة والسلب باتباع محمد على خلاف عهدهم في العقبة"([4]).

والرد على هذا الرأي المُجانب للحقيقة يكون كالآتي :

أ- على الرغم من أن الغزو كان بالنسبة للعرب وسيلة طبيعية للخلاص من العوز ، فإن أهل المدينة كأهل مكة لم يكونوا أهل بادية ، وأنهم فوق ذلك كان في طبعهم ما كان في طبع من يعيشون على الزراعة من حب الاستقرار مما يجعلهم لا يتحركون لقتال إلا لدافع قوي .

ب- أن القتال لم يشرع في الإسلام ،ولم يقم رسول الله – صلى الله عليه وسلم - وأصحابه لهذه الغاية التي يتوهمها المستشرقون ، وإنما حتى لا يفتنهم عن دينهم أحد ، وحتى يكون لهم من حرية الدعوة له ما يشاءون([5]).

---

(6) ينظر: ابن كثير : السيرة النبوية ، 2\ 152-153.

(1) see: William Muir :Life of Mohammed from the original sources, Vol :III,Pp63- 82, D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam,Pp185-234, Montgomery watt: Mohammed at Medina, Pp2-5,

(2) ينظر: محمد حسنين هيكل ، حياة محمد ، ص 242

(3) Muir:Op.Cit , Vol, Pp 39- 62.

(4) ينظر: محمد حسنين هيكل ، المرجع السابق، ص 242

ت- لو كان المقصود من هذه السرايا الطمع في التوسّع المادي المجرد من القيم الأخلاقية ، لما روى لنا التاريخ في صدره الأول أمثلةً راقيةً لذلك الجيل ، تبيّن لنا ما وصلوا إليه من زهدٍ في الدنيا ، وتقلّلٍ من متاعها ([1])، ولما وجدت في تعاليم النبي صلى الله عليه وسلّم ذمّا لها أو تحذيرا من الافتتان ببهرجتها وزخارفها ،و لعاش – صلى الله عليه وسلم - عيش الملوك ، في القصور والبيوت الفارهة ، ولاتخذ من الخدم والحراس والحشم ما يكون على المستوى المتناسب و تلك المطامع المزعومة ، بينما الواقع يشهد بخلاف ذلك، إذ كان في شظف من العيش، مكتفياً بما يقيم أود الحياة ، يشهد لهذا أنّ بيوته -صلى الله عليه وسلم - كانت عبارة عن غرف متواضعة- لا تكاد تتسع له ولزوجاته .

ث- لو نظرنا إلى عدد المسلمين في تلك السرايا ،التي كانت تتكون من المهاجرين دون الأنصار ؛ لوقفنا على سذاجة الرأي القائل بأن الغرض من تلك البعثات كان الغزو أو السطو أو التعرض لقريش ومبادأتها الحرب تحقيقاً للانتقام ، فقد كان عدد المسلمين في سرية **حمزة** ([2])، لا يزيد على الثلاثين مهاجراً ، وسرية **أبي عبيدة** لم تتجاوز الثمانية أنفار في رواية وعلى عشرين في رواية أخرى([3]) ، في حين كان الموكلون بحماية تلك القوافل أضعاف هذه الأعداد ، ممن كانت تربطهم أواصر الدم والقربى بالمهاجرين ،كما لم تثبت المصادر أنه قد حدث صدام مسلح إلا في النادر ([4]).

3- إلتماس مصدر رزق للمهاجرين :

ومن جهة أخرى يرى المستشرقون الإنجليز أن الهدف من الغارات المبكرة التي شنها الرسول (صلى الله عليه وسلم) على قوافل المكيين التجارية كان التماس مصدر رزق للمهاجرين الذين كانوا في ضيافة الأنصار، فإن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وحسب رأي هؤلاء المستشرقين ، لم يرد للمهاجرين أن يعيشوا ضيوفا دائمين على الأنصار، فكان نهب قوافل المكيين التجارية هو الأسلوب الأمثل للحصول على مورد رزق لهم([5]).

إن هذا الادعاء ليس مقنعاً بأي حال ؛ وذلك للآتي :

أ- لقد كان المهاجرون قادرين على التماس مصادر أخرى للرزق بطرق أكثر أمنا وأيسر

(5) ينظر: ابن سيد الناس: عيون الأثر، 1\ 195،
(1) ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية ، 2\200،الواقدي : المغازي ، 1\ 9، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 2\6 .
(2) ينظر: ابن كثير : السيرة النبوية ، 2\ 252.
(3) ينظر: ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي سيد العباد ، 2\ 83- 90.
(4) See:Montgomery watt: Mohammed at Medina,P 105.

سبلا، فلم يكن هناك ما يمنعهم من ممارسة التجارة أنّى شاؤوا، ولم يكن هناك ما يمنعهم من تعلم حرفة نافعة تدر عليهم الرزق، فهل يعقل أن يدعي هؤلاء المستشرقون أن أبواب الرزق السهلة المتاحة في حاضرة تجارية كالمدينة كانت موصدة أمام المهاجرين، ولم يجدوا إلا باب نهب قوافل المكيين على ما في ذلك من تكبد الصعاب ومجابهة المخاطر؟([1]).

ب- أن الغزوات والسرايا قبل بدر لم يبدأ بها المسلمون إلا بعد إذن إلهي بالقتال يوضح سببه ويشد من أزرهم بتأييد، إذ قال تعالى : **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾**([2]) ، وأنزل -سبحانه وتعالى- هذه الآية ضمن آيات أرشدتهم إلى أن هذا الإذن إنما هو لدحض الباطل، وتمكين دين الله في الأرض وإقامة شعائره فيها

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسم اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ ([3]) ، وكان من المناسب أن يبسط المسلمون سيطرتهم على طريق قريش التجارية التي تمر بهم إلى الشام وقريش هي عدوهم الأول والأشد تربصا بهم وظلما لهم، وفي هذا إضعاف للعدو وقطع للشرايين الاقتصادية عنه، ولقد كانت أشد الضربات قسوة على المكيين تلك التي تعرقل طريق تجارتهم([4]).

والخلاصة : أن التعرض لقوافل قريشٍ كان نوعاً من الحرب الاقتصادية عليها ، وكسراً لشوكتها ؛لإفهامها أن مصلحتها تقتضي التفاهم مع المسلمين ؛ وما ذلك إلا رغبةً في رد حقوق المسلمين المسلوبة وأموالهم المنهوبة ،ورغم أن الرسول كان يتحاشى سفك الدماء، فإن قريشاً قد اضطرته إلى ذلك ، وبهذا يتبيَّن لنا أن أقوال المستشرقين الإنجليز حول هذه النقطة، أقوال محرفة ، ومشوهة؛ لتحقيق أهداف مرسومة مسبقاً.

رابعاً / سرية عبد الله بن جحش:

بلغ عدد غزوات الرسول 27 غزوة ، قاتل في تسع منها فقط، وهو رقم يدل دلالة واضحة على أنه كان يتحاشى الحرب والصدام المسلح، وينشد حقن الدماء ما أمكنه ذلك ،

(1) ينظر: وليد بن بليهش العمرى: السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ، ص 51.
(2) سورة الحج:الآية 39
(3) سورة الحج: الآية40- 41
(4) ينظر: وليد بن بليهش العمرى: المرجع السابق ، ص 51.

بينما بلغ عدد السرايا 47 سرية ([1])، وقيل 43 سرية([2]) ، وهي سرايا استطلاعية فقط ، كان أولها سرية **حمزة بن عبد المطلب**([3]) ،أما أهمها على الإطلاق ، فهي سرية **عبد الله بن جحش** المعروفة بسرية نخلة([4]) ، ذلك لأنها مهدت لغزوة بدر الكبرى ، وفتحت للمسلمين باب الجهاد ، وهي على هذا النحو منطلق السياسة الإسلامية بعد تشريع الجهاد([5]).

وأحداث السرية يمكن إيجازها في الأتي :بعث الرسول – صلى الله عليه وسلم -**عبد الله بن جحش** في ثمانية من المهاجرين إلى موضع يقع بين مكة والطائف يطلق عليه بطن مكة ، وذلك في رجب من العام الثانية للهجرة ، وكان الغرض من هذه السرية القليلة العدد استطلاع تحركات العدو والوقوف على أخبار قريش، وحرص الرسول على أن لا يبوح بوجهة السرية لقائدها ، واكتفى بأن أعطاه صحيفة بالتعليمات ، وأمره بأن لا يفتح كتابه إلا إذا سار ليلتين في الطريق المؤدية إلى النجدية ، وأذن له أن يقرأه بعد ذلك ، ثم يمضي لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحد ([6]) ، ومضى عبد الله مع رفاقه حتى وصل بئر ابن ضميرة، ففتح الكتاب وقرأه ، فإذا فيه :

(إذا نظرت في كتابي ، فامض إلى وادي نخلة بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم)([7])

فخيّر **عبد الله** رجاله بين المضي والعودة ، فاختاروا المضي معه ، فلما وصلوا إلى بحران ، تخلف **سعد بن أبي وقاص** و**عتبة بن غزوان** في طلب بعير لهما ، ومضى **عبد الله** إلى أن نزل نخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة لقريش فيها **عمرو بن الحضرمي** ، و**عثمان بن عبد الله بن المغيرة** ، وأخوه **نوفل** و**الحكم بن كيسان** مولى **هشام بن المغيرة** ، فلما رآهم أصحاب العير هابوهم ، وانكروا أمرهم ، فخرج إليهم **عكاشة بن محصن** من أصحاب **عبد الله بن جحش** ، وقد حلق رأسه حتى يوهم القرشيين بأنهم إنما جاؤوا معتمرين([8]) ، ونجح **عكاشة** في خطته ، وأطمأن تجار قريش فقيدوا ركابهم وسرحوها، وتشاور **عبد الله** وأصحابه فيما يفعلونه بهم ، وكانوا بين أمرين ، إما أن يقاتلوهم في آخر يوم من الشهر الحرام ، وإما أن يتركوهم فيتيحوا لهم فرصة دخول الحرم والامتناع به ، ورجحت

(1) ينظر: الواقدي : المغازي ، 1\ 7، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 2\ 251.
(2) ينظر: ابن كثير : السيرة النبوية ، 2\354
(3) ينظر: الواقدي : المصدر السابق ، 1\ 13، ابن كثير : المصدر السابق ، 2\ 356-358.
(4) موضع بالحجاز ، قريب من مكة فيه نخل وكروم = ياقوت الحموي : معجم البلدان ، 5\277.
(5) ينظر: السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص 373.
(6) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ، 2\ 601،
(7) ابن هشام: المصدر السابق ، 2\ 239، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، 2\ 411.
(8) ينظر: الواقدي:المصدر السابق، 1\ 14، ابن سعد : المصدر السابق ، 2\ 10 ، ابن كثير : المصدر السابق ،2\ 367

كفة أصحاب الرأي الأول ، ورمى **واقد بن عبد الله التميمي ،عمرو بن الحضرمي** بسهم فقتله ، وأستأسر **عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان** ، أما **نوفل** فنجح في الإفلات منهم ، فساقوا العير والأسيرين إلى المدينة ([1])، فلما قدموا رسول الله أنكر عليهم ما فعلوه وقال لهم : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ، ثم وقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً ، فاسقط في يد **عبد الله بن جحش** ورفاقه وعنفهم إخوانهم المسلمون فيما صنعوا([2]) وحسم القرآن الكريم الفتنة ، حين نزل قوله تعالى :**﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ ...﴾** ([3]) ، فقبض الرسول العير والأسيرين ([4])، ولم يقبل فيهما فدية حتى أطمأن إلى وصول **سعد بن أبي وقاص** و**عتبة بن غزوان** سالمين ، وعندها قبل الفداء ([5]).

وقد وجد المستشرقون الإنجليز في تلك الأحداث ثغرة يحاولون الإيحاء عن طريقها أن ، الرسول قد بدأ قريش القتال عن سبق إصرار وترصد ، وأنه قاتلها في الشهر الحرام، بل وحرفوا أوامر الرسول ، حيث ذكر **وام:**

"...ففتحوا الرسالة ، ووجدوا فيها أمراً بالسير إلى نخلة الواقعة على الطريق بين مكة والطائف ، وأن ينصبوا كميناً لقافلة مكية " ([6]).

ولا ندري كيف فَهِمَ وات كلمة (ترصدوا) ، وقال بأنها تعني بنصب كمين .

ويدعي المستشرقون الإنجليز أن رجال الحملة قد ترددوا في تنفيذ الأمر ، لشعورهم بالخزي لما يطلب إليهم فعله([7])؛ كل ذلك ليوحي للقاريء أن هؤلاء الرجال لا حول لهم ولا قوة ، وأنهم مأمورون يبعث في نفوسهم التردد خوفهم من **محمد** ، وباختصار فإن التبعة في ذلك الحدث يجب أن تلقى على كاهل **محمد** وحده ،مع علمه باحتمال سقوط قتلى من الطرفين([8]) ، ويؤكد رأيه الذي وصل إليه ، بموقف **سعد بن وقاص ، وعتبة بن غزوان** ، الذين تأخرا في طلب البعير ، بأنه كان فراراً وهروباً من تنفيذ الأمر، فقال :

---

(1) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ، 2\ 177
(2) ينظر: السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص 374.
(3) سورة البقرة ، الآية 217.
(4) ذكر الواقدي أن أحد الأسيرين وهو الحكم بن كيسان ، قد عرض عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلم وحسن إسلامه ، وجاهد في الله حتى قُتل شهيداً يوم بئر معونة . ينظر ، الواقدي : المغازي ، 1\ 15.
(5) الواقدي : المصدر نفسه ، 1\ 17 ، ابن كثير : السيرة النبوية، 2\ 368.
(6) Montgomery watt: Mohammed at Medina, Pp 6-8
(7) Ibid , P6
(1) Montgomery watt: Mohammed at Medina , P8.

" ربما كان العربي شجاعاً حتى الجنون ؛ إذا ما أثير ، ولكنه في حالة الهدوء يحاول تجنب الأخطار، ولهذا قال محمد لعبد الله بن جحش أن يعيد كل الذين لا يرغبون في تنفيذ المخطط ، وهذا ما نجده في قصة سعد بن أبي وقاص ورفيقه عتبة بن غزوان " ([1]).

ويذكر بأن هناك رواية أخرى ([2])، تجعلنا نفهم أن قصة البحث عن البعير الضال غير حقيقة، مؤكداً أن الاثنين قد أضاعا كثيراً من الوقت ،ثم يستغرب أن يحدث ذلك في أرض بني سليم القبيلة التي ولد فيها **عتبة** ([3]) ،ولا يخفى أن هذا القول يخفي وراءه أن **عتبة وسعد** قد اختبئا ، بعد تهربهما من تنفيذ أوامر الرسول – صلى الله عليه وسلم - فترة من الوقت في قبيلة بني سليم، وهذا ما صرح به **موير** صراحة ، وأخذه عنه **وات**([4]) .

إذا كان الأمر كذلك ، وأن الصحابة كانوا يتملصون من أوامر الرسول- صلى الله عليه وسلم - المحرجة أو الظالمة – حسب ما يرمي إليه هؤلاء المستشرقون ، فما الذي يجبر **سعد بن وقاص وعتبة بن غزوان** ، للبقاء في صفوف المسلمين، وتحت إمرة الرسول –صلى الله عليه وسلم ؟لماذا يتمسك أمثال هؤلاء برفقة الرسول- صلى الله عليه وسلم – ويقدمون أرواحهم للموت فداءً له ولرسالته ؟

متأثراً **بمرجليوث** الذي ادعى أن الرسول لم يكن يتوقع أن تصل القافلة نخلة قبل نهاية رجب([5]) ،يناقش **وات**- قول الواقدي فيما إذا كان الرسول – صلى الله عليه وسلم- ينتظر أن يحدث الهجوم على القافلة خلال شهر رجب المقدس ، **فالواقدي** يعين وقت الحادثة في نهاية رجب ويشير إلى أنه كان يجب على المسلمين إذا أرادوا مهاجمة القافلة ، إما أن يهاجموها خلال شهر رجب ، أو بعد أن تكون قد دخلت الأراضي المقدسة ([6])، ويعلق **وات :**

" إذا أمكن قبول هذه الرواية فيمكن أن تكون القافلة قد قلبت خطط محمد ، وذلك بوصولها إلى مكة في الوقت المحدد"([7])

ويستبعد أن المهاجمين لم يكونوا يعرفون ما إذا كان الشهر الحرام قد انتهى أو لم ينته ([1])، ويوازن **وات** بين آراء المؤرخين التي ذكر بعضها أن هذه الحادثة وقعت في أول شهر

---

(2) Ibid , P6 .

(3) يستند في ذلك إلى رواية الطبري التي تقول " ...**فمضى عبد الله بن جحش لتنفيذ أمر رسول الله ....حتى إذا كان بمعدن فوق الفُرع أضل سعد بن أبي وقاص وعُتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يتعقبانه** ..." ويبدو أن وات فهم من الفعل (أضل) بأن الحدث مُتعمد .ينظر: تاريخ الرسل والملوك ،، 2\ 125.

(4) Montgomery watt: Op.Cit, P.8

(5) cf William Muir :Life of Mohammed from the original sources, 3\ 72

(6) Cf D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam,Pp70- 73.

(7) ينظر: الواقدي : المغازي ، 1\ 13.

(1) Mohammed at Madena, P9

رجب ، والأخرى التي ذكرت أنها حدثت في آخر شهر رجب ، ويصل إلى افتراض بأن ذلك حدث في منتصف رجب مؤكداً أن:

"أوامر محمد قد انتظرت نصب الكمين أثناء الشهر الحرام ، باعتباره مرتبط بالجاهلية التي كان يحاربها محمد "([2]).

ولا ندري كيف جزم هذا المستشرق بأن ذلك حدث في منتصف رجب بالتحديد ، وهو بهذا يؤكد أمرين : الأول ،أن الرسول –صلى الله عليه وسلم – نصب كميناً للقافلة القرشية ، والثاني ،أن ذلك حدث عمداً في الشهر الحرام ؛لأن محمداً – حسب رأيه -لم يكن يعبأ كثيراً بالقتال في الأشهر الحرم ، ولكن كان عليه أن يحترم معتقدات قسم كبير من أصحابه ، وأن يتجنب ما ينشأ عن ذلك من صدى يهدد سلطته كنبي ([3]).

والسؤال هنا ، إذا كان الأمر كما يقول وات ، بأن الرسول –صلى الله عليه وسلم - أراد أن يكسر قاعدة جاهلية ، وهي تقديس هذا الشهر ، باعتبار أن ذلك- على حد تعبيره - كتحطيم الأصنام([4]) ، ولكنه تردد في ذلك احتراماً لمعتقدات أصحابه ، فلماذا لم يجامل الرسول في القضايا الأخرى التي جاءه من أجلها الكفار؟.

كما شكك المستشرقون الإنجليز في نوايا الرسول ، وما إذا كان يعلم بأن هذه القافلة خاصة ستمر بنخلة في هذا الوقت أم أنه أرسل رجاله لاحتمال وجود القوافل في هذا الوقت ، ويرجحون أنه ربما قدر أن كل قافلة تسير على الطريق الآمنة بين الطائف ومكة تتبعها حركة ضئيلة بسبب الجهود التي بذلت لحماية القوافل إلى سوريا حين مرورها بمنعرج المدينة ([5]).

ولا يفسر **وات** موقف الرسول – صلى الله عليه وسلم – من **عبد الله بن جحش** ورفاقه بأنه غضب من مخالفتهم لأمره أولاً حين أنكر فعلتهم و قال **" ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام "**([6]) بل تأخذه الحيرة في ما اسماه : **"تردد محمد في قبول الغنيمة "**([7])ويحصر سبب ذلك التردد بين أمرين هما : عدم رغبة **محمد** في التخلي عن أصحابه ، والخوف من قريش([8]) .

---

(2) Ibid,P9.
(3) Op.Cit , P9.
(4) Op.Cit , Pp9-10.
(5) Op.Cit, P9
(6) William Muir :Life of Mohammed from the Montgomery watt: : Mohammed at Madena , P9. original sources, Vol, Pp63- 70, D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam,P200.,
(1) ينظر: الواقدي : المغازي ،1\16، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ،2\ 126.
(2) Montgomery watt: : Mohammed at Madena , P9
(3) Ibid, P9

وللرد على هذه الفرية يمكن القول بأنه : إذا كان الرسول يخشى قريشاً أكان يبعث بتلك السرايا بتلك الأعداد القليلة أصلاً؟، لقد كان الغرض الأساسي من تلك السرايا – كما ذكرنا سابقاً – هو التلويح لقريش بالقوة، فهل يعقل أن لا يحسب الرسول لها حساباً ، إلا بعد أن وقعت تلك الحادثة ؟ ، ثم أن **وات** لم يذكر المصادر التي حسم بها الأمر حين ذكر أن محمد- صلى الله عليه وسلم - قد أكتشف بعد الحادث ردود فعل قوية حول خرق الشهر الحرام ، أكثر مما كان ينتظر .([1])

والجدير بالذكر أن **وات** لم يجرؤ على احتمال أن المهاجمين قد أخذهم الحماس- حين رأوا القافلة- واطمأنوا إلى قلة العدد الذي يرافقها ، ورغبوا في استعادة أموالهم التي سطت عليها قريش في مكة ، والدليل على ذلك أن الرسول قد غضب لصنيعهم واستنكره عند عودتهم إلى المدينة ، ولم يقبل أخذ الغنيمة إلا بعد أن نزل في ذلك قرآن ، كما أن المسلمين استنكروا هذا الفعل، وعنفوهم ([2]).

خامساً / التعاطف مع قريش في غزوة بدر :

كانت سرية **عبد الله بن جحش** – كما مر بنا - مقدمة لغزوة بدر الكبرى ، فقد انتهزت قريش الفرصة لإثارة الرأي العام العربي على المسلمين ، وإظهارهم بمظهر المعتدين الذين استحلوا الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدماء ([3]) ، فيما كانت المدينة تفور فور المرجل([4]) بسبب إنكار المسلمين لما فعله عبد الله ورفاقه ، وتدخلت اليهود لإشعال نار الحرب ([5])،وأيقن الرسول بعد أن رأى محاولة المكيين استثارة قبائل العرب عليه عقب سرية نخلة ، بأن سياسة حقن الدماء ، وسياسة التوسل بالسلم للوصول إلى الغاية المنشودة ، وهي دخول قريش في الإسلام أصبحت غير مجدية ، كما أن قريش قد أيقنت من ناحيتها الخطر الذي تمثله دولة الرسول على

---

(4) Op.Cit , P9

(5) ينظر : الواقدي : المصدر السابق ، 1\ 16، الطبري : المصدر السابق ،2\ 126.

(6) ينظر:السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص 374.

(7) ينظر:الواقدي :المصدر السابق، 1\ 16، ابن هشام : السيرة النبوية ، 2\ 604.

(1) يذكر بن هشام أن يهود المدينة تفاءلوا بما حدث ، وقالوا " عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله التميمي ، عمرو عمرت الحرب ، والحضرمي حضرت الحرب ، وواقد وقدت الحر) .ينظر : السيرة النبوية ، 2\ 604.

تجارتها ، وعزمت على وضع حد للمسلمين ([1])، وكان أن تطورت الأحداث إلى الصدام المسلح في غزوة بدر الكبرى ([2]).

لقد خرج المسلمون إلى بدر طلباً للقافلة التجارية ليس إلا ، وكانت قريش هي التي اضطرتهم للمواجهة والقتال والدفاع عن أنفسهم ، إلا أن المستشرقين يتعاطفون مع قريش في موقفها من المسلمين([3]) ، بل ويقلبون الأدوار ، ويرون أنها قاتلت المسلمين في بدر ،دفاعاً عن نفسها ([4])،في الوقت الذي يتهمون فيه المسلمين ، متمثلين في شخص الرسول – صلى الله عليه وسلم- بسبق الإصرار والترصد لقريش ، وبأنه كان يبيت النية منذ الهجرة على الانتقام من قريش لما فعلته به وأصحابه في مكة ،وأنه بدأها بالعدوان([5])بعد أن جعل نفسه- على حد تعبيرهم -على رأس شرذمة من اللصوص لنهب القوافل التجارية ([6]).

إن تاريخ الدعوة الإسلامية ، وسيرة الرسول تدلنا على أن الدعوة الإسلامية لم تنتشر في شبه الجزيرة العربية ، ويقبل عليها الناس إلا بعد فتح مكة عام ثمان من الهجرة ، ومن هنا ندرك أن قريشاً هي العدو الرئيس –حينئذ – للمسلمين ، ففي مكة كانت حركة الدعوة بطيئة للغاية([7]) ، لا لتقصير من النبي ، وإنما لموقف قريش المعادي لها ، ومع إسلام عدد من الشخصيات القريشية البارزة ، أمثال **حمزة بن عبد المطلب** و**عمر بن الخطاب** وغيرهما ، ومع ذلك فعدد المسلمين لم يزد خلال ثلاثة عشر عاماً في مكة قبل الهجرة على بضع عشرات من المسلمين ، وبعد الهجرة ظلت حركة الدخول في الإسلام محدودة ، ففي معركة بدر(العام الثاني من الهجرة) على سبيل المثال كان عدد المسلمين المشتركين في المعركة يزيد على الثلاثمائة بقليل([8])، وهم معظم المسلمين حينئذ ، وفي الحديبية (العام السادس من الهجرة، العام العشرون من عمر الدعوة) كان عدد المسلمين الذين بايعوا الرسول تحت الشجرة ألف وخمسمائة حسب رواية أغلب المؤرخين ([9]) ،فلننظر ماذا حدث بعد صلح الحديبية ، لقد

---

(2) ينظر: السيد عبد العزيز سالم : تـاريخ الدولة العربية ، ص 375-376.

(3) ينظر: ابن هشام : المصدر السابق ، 2\ 651، الواقدي: المغازي ، 1\ 21، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 2\ 131 ، ابن كثير : السيرة النبوية ، 2\ 392، ابن حزم : جوامع السيرة ، ص145، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 2\ 254 .

(4) في الحقيقة ، يسمّي وات الفصل الأول من كتابه (محمد في المدينة) والذي يتحدث فيه عن الأحداث العسكرية حتى معركة بدر بـ(استفزاز قريش "Provocation of Quraysh" (والفصل الثاني الذي يتحدث فيه عن جميع الأحداث العسكرية حتى نهاية غزوة الخندق بفشل الرد المكي ."The Failure of the Meccan Riposte"

(5) See:William Muir :Life of Mohammed from the original sources ,Vol,III, pp.196- 206.

(6) See:Montgomery watt: Mohammed at medina ,p2.

(7) See:D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam P206.

(8) ينظر: عبد الشافي محمد عبد اللطيف : السيرة النبوية ، ص 91.

(1) ينظر: الواقدي : المغازي ، \1 23. ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 2 \11، ابن هشام ، السيرة النبوية ،2\ 243. الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 2\ 138.

(2) ينظر: ابن سعد : المصدر السابق ، 2\ 95. ويذكر الطبري أنهم ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون .ينظر:المصدر السابق، 2\ 271.

تضاعف عدد المسلمين عدة مرات في أقل من عامين ، حتى وصل عام الفتح (العام الثامن من الهجرة) عشرة آلاف مقاتل ([1])، والسر في هذه الزيادة الكبيرة يكمن في موقف قريش فقد هادنت الإسلام ، وصالحها الرسول ، بعد أن أحرجتها سياسته السلمية أمام العرب ([2]).

سادساً /شبهة القسوة في معاملة الأسرى :

كثير من المستشرقين الإنجليز الذين تناولوا السيرة النبوية ، لم يتعففوا عن تشويهها، وذلك بما أدخلوا فيها من افتراءات ، وادعاءات ، كاتهامهم له بالقسوة([3]) ، فإن هذه التهمة غير جديرة بالاعتبار؛لأننا إذا رجعنا إلى التاريخ وحكمنا في هذه المسألة ؛ لتبين لنا أن القسوة لم تكن قط من أخلاق **محمد**([4]) .

من الثابت أن الرسول– صلى الله عليه وسلم - كثيراً ما أطلق سراح الأسرى في سماحة بالغة، رغم أن عددهم بلغ في بعض الأحيان ستة آلاف أسير(5)، وأنه لم يلجأ إلى القتل إلا إذا كان الأسير أحد هؤلاء الذين اشتدوا في الإيذاء له، وإيذاء أهله، وأصحابه([6])، وكان خطرا على دعوته وعلى رسالته ([7])، ومن أمثلة ذلك قصة الأسيرين: **النضر بن الحارث** و**عقبة بن أبي معيط** ،فقد وقعا معا في الأسر بعد معركة بدر ،([8])وكان الاثنان شرا مستطيرا على المسلمين أثناء وجودهم في مكة، وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاءً للإسلام وأهله ،وكانا يبحثان في أفضع الوسائل لتعذيب **محمد** وقومه([9]) ،وقد تأسف المستشرقون الإنجليز لذلك ، ،واتخذوا هذه الحادثة دليلاً على تعطش الإسلام للدماء ، بينما فسرها آخرون بأن الشدة والقسوة معروفتان عند العرب في ذلك العصر([10]).

---

(3) ينظر: ابن سعد : المصدرالسابق ، 2\ 299 . الطبري : المصدر السابق ، 2\ 329.
(4) ينظر: عبد الشافي محمد عبد اللطيف : السيرة النبوية ، ص 90-92.
(5) 3See: D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam , p234
(6) ينظر: محفوظ العباسي : الغرب نحو الدرب ، ص 79 .
(7) ينظر: مولانا محمد علي: حياة محمد ورسالته، ص 269.
(8) ينظر: السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية : ص384.
(9) ينظر: لورافيشيا فاغليري : دفاع عن الإسلام ، ت: منير البعلبكي ، ط4، (بيروت ، 1979م) ص 37- 38.
(10) ينظر: الواقدي : المغازي ،1\ 138،الطبري : المصدر السابق ، 2\ 158، ابن حزم : جوامغ السيرة ، ص147
(11) و ابن كثير : البداية والنهاية ، 3\190.
(1) ينظر: ابن هشام السيرة النبوية ، 2\ 244، ابن كثير : البداية والنهاية ، 3\ 340. وابن سيد الناس: عيون الأثر ، 1\ 393.
(2) See: William Muir :Life of Mohammed from the original sources,,Pp234-275. Montgomery watt: Id, Pp14- 17 D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam ,p 238, and also, Montgomery watt, Mohammed at medina , p 12.

ولكي نحكم على الحدث بموضوعية ، لابد لنا أن نبحث عن الأسباب التي دعت الرسول – صلى الله عليه وسلم – لقتلهما .

كان النضر بن الحارث من شياطين قريش وكان يؤذي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة تعلم بها أحاديث ملوك فارس ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلسا ، فدعا فيه إلى الله -تعالى - وتلا فيه القرآن وحذر قريشا ما أصاب الأمم الخالية خلفه في مجلسه إذا قام فحدثهم عن ملوك فارس ، ثم يقول والله ما **محمد** بأحسن حديثا مني ، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبها ، وهو الذي قال سأنزل مثل ما أنزل الله ([1]).

أما **عقبة ابن معيط** ، فقد كان من جماعة المستهزئين من قريش ، وكان الجار الثاني للرسول مع **أبي لهب** ، وكان يضع هو وأبو لهب القاذورات على باب دار الرسول – صلى الله عليه وسلم - وقد تعرض في إحدى المرات مع جماعة من المشركين للرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو يطوف بالكعبة ، وأقبل عقبة على الرسول – صلى الله عليه وسلم - فلوى ثوبه في عنقه وخنقه به خنقاً شديداً ، فقام **أبوبكر** من خلفه فوضع يديه على منكبه ودفعه عن رسول الله ، وهو يقول (ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم([2]).

وقد بعثت قريش **بالنضر بن الحارث** ، و**عقبة ابن معيط** إلى أحبار يهود المدينة ،؛ ليسألوهم عن **محمد**؛ لأنهم أهل الكتاب الأول '' التوراة'' وعندهم علم ليس عند قريش ، فطلب أحبار اليهود أن يسألوه عن : فتية في الدهر الأول ، **ورجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبوؤه ، وعن الروح** ([3])،فأقبل **النضر وعقبة** إلى الرسول مع رهط من قريش ، وسألوه بما قال لهم اليهود ، فأنزل الله تعالى :**﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾** ([4]) ،**﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾** **([5])،﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**([6]).

فلما جاءهم الرسول بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حدث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علام الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه ، حال الحسد بينهم وبين اتباعه

---

(3) ينظر: ابن :هشام: المصدر السابق ،1\190
(4) ينظر: المصدر نفسه ، 1\ 262-253.
(5) ينظر: ابن هشام :السيرة النبوية ، 1\ 191
(1) سورة الكهف ، الآيات 10-12.
(2) سورة الكهف ، الأيات 83-84 .
(3) سورة الإسراء ، الأية ، 85.

وتصديقه([1])،وأخذ الاثنان يقومان بالدعاية المغرضة ضد الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين القرشيين، و أسلوب الدعاية هو من أخطر الأسلحة ، وأحدها ، وقد سبق للرسول- صلى الله عليه وسلم - أن عفا عنهما قبل ذلك ، لكنهما عادا مرة أخرى وأساءا إساءة عظيمة ، فأمر بقتلهما ([2]).

وإذا ما وازنّا بين مقتل **النضر وعقبة**، وما يجري اليوم وما سيجري ما دامت الحضارة الغربية التي تتوشح بوشاح المسيحية متحكمة في الأرض. فهل نراه يوازي شيئا إلى جانب ما يقع بأيامنا من قمع الثورات في بلاد يحكمها الاستعمار على كره من أهلها؟ وهل تراه شيئا إلى جانب ما وقع من مجازر الحرب العالمية الكبرى؟

يغفل المستشرقون الكم الهائل من الأخبار التي تتحدث عن رحمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحسن معاملته للأسرى ، ويتشبثون - كعادتهم دائماً - بمثل هذه الأحداث كحادثة قتل هذين الأسيرين ، اللذين تبين لنا بوضوح أنهما استحقا أكثر من القتل .

إن الوقائع التاريخية تثبت أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان غاية في الرحمة واللين مع أسرى الحرب ، وكان بذلك مثلاً ندر وجوده، ولإثبات هذه الحقيقة والرد على أولئك المتحاملين على سيرته العطرة ، لابد من مراجعة تاريخ الغزوات النبوية ، والوقوف على الكيفية التي عامل بها الرسول- صلى الله عليه وسلم - أعداءه ، وصولاً إلى إجابة عن السؤال : هل صدق أولئك المستشرقون في ادعاءاتهم ،أم أنهم ما زالوا يسيرون على طريق التعصب والافتراء باسم الموضوعية والعلم ؟.

(1) ففي معركة بدر(17 رمضان 2هـ/ 623م) استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ،فيما يفعله بالأسرى فأشار **أبو بكر** باستئمانهم لعل الله يتوب عليهم، أما **عمر بن الخطاب** فقد أشار بقتلهم معللا موقفه بأنهم أئمة الكفر وصناديده، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوب المسلمين هوادة للمشركين ، وأشار **عبد الله بن رواحة** بحرقهم أحياء ، فهوى النبي – صلى الله عليه وسلم - ما قال **أبو بكر**، ولم يهوَ ما قال **عمر** فلما كان من الغد أقبل **عمر**، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبكى هو و**أبو بكر**، فسألهما عن سبب بكائهما ، فكان جواب الرسول : **"أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء؛ لقد عرض علي عذابهم أدنى من**

(4) ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية، 1\ 191- 200.
(5) ينظر: محفوظ العباسي : الغرب نحو الدرب ، ص 80 .

هذه الشجرة"([1])،كما سجل لـه التـاريخ الرحمـة فـي أروع صـورها ، وذلـك حـين أُتـي بالأسـرى - بعـد بـدر فقـال لأصـحابه : **"استوصـوا بهـم خيـراً"**([2]) ، وبهـذه الوصية النبوية الرفيعة، تحقق فـي هذا الجيل الإسـلامي الفضـيل قـول الله تعـالى: **{وَيُطْعِمُـونَ الطَّعَـامَ عَلَـى حُبِّـهِ مِسْكِيناً وَيَتِيمـاً وَأَسِيراً}**([3])، وعـاد الأسـرى إلـى بلادهم وأهليهم، يتحدثون عن **محمد** – صـلى الله عليـه وسلم - ومكـارم أخلاقـه، وعـن محبتـه وسـماحته، وعـن دعوتـه، ومـا فيهـا مـن البـر والتقـوى والإصـلاح والخير.

(2) في معركة بني المصطلق (شعبان 6هـ/ 627م) أطلـق المسلمون مَن في أيديهم، مـن أسـرى بنـي المصـطلق ؛ وذلـك أن **جُوَيْرِيَـة بنـت الحـارث** ([4])- سـيد بنـي المصـطلق - وقعت فـي سـهم **ثابـت بـن قيس؛** فكاتبهـا؛ فـأدى عنهـا رسـول الله – صلى الله عليه وسلم - وتزوجها؛ فـأعتق المسلمون بسبب هذا الـزواج مئـة رجـل من بني المصطلق، الذين صاروا أصهار رسول الله-صلى الله عليه وسلم([5])، فقد كـره المسـلمون أن يأسـروا أصـهار رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم - واستكثر الصحابة على أنفسهم أن يتملَّكوا أصهار نبيهم وقائدهم – صلى الله عليـه وسـلم - وحيـال هـذا العتـق الجمـاعي، دخلـت القبيلـة كلهـا فـي ديـن الله. إن مرد هذا الحدث التاريخي وسببه البعيد، هو حب الصحابة للنبي – صـلى الله عليه وسلم - وتكريمهم إياه، وإكبارهم شخصـه العظيم، وتأسيهم بـأخلاق قائدهم في معاملة الأسرى، التي عهدوها منـه فـي حـروب سـابقة، وهكذا تتضـح صـورة النبي الذي نال حب العالم أجمع وحب أعدائه على وجه الخصوص([6]).

(3) وفـي صـلح الحديبيـة (ذي القعدة 6هـ/627م)، هبط علـى النبـي - صـلى الله عليـه وسلم - ثمـانون رجـلاً مسـلحين، مـن جبـل التنعيم يريـدون قتلـه، فأسـرهم، ثـم منَّ عليهم([7]).

(4) وفي معركة حنين (شوال 8هـ /629م) ، كان انتصـار المسلمين - علـى هـوازن - في حُنين كاملاً، حتى إنهم كسبوا غنائم كثيرة، بين أعداد وفيرة من الإبـل والغنم،

---

(1) ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية ، 1\ 226 .
(2) ينظر: ابن كثير؛ البداية والنهاية 307/3. ابن هشام : المصدر السابق ، 2\ 227.
(3) سورة الإنسان، الآية 8.
(4) ينظـر: قالـت السـيدة عائشـة- رضـي الله عنهـا: "فمـا أعلـم امـرأة أعظـم بركـة علـى قومهـا منهـا" ، ينظـر : ابـن كثيـر: البدايـة والنهاية،4\ 159.
(5) ينظر: ابن هشام : المصدر السابق ، 3\ 184، ابن كثير؛ المصدر السابق، 4\ 159.
(1) ينظر: محفوظ العباسي : الغرب نحو الدرب ، ص 79.
(2) ينظر: ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي سيد العباد ، 3\ 99.

كما أسروا عدداً ضخماً من الأسرى ، ووصل إليه وفدٌ من هوازن المهزومة، المغلوبة على أمرها؛ يرجوه إطلاق سراح النسوة والأطفال من الأسرى؛ وسرعان ما لبَّى النبي - صلى الله عليه وسلم - الطلب بما عُرف عنه من دماثة وتسامح ، قد تأثر **مالك بن عوف** - زعيم هوازن المهزومة - بهذا العفو الكريم، والخلق العظيم من سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم - بعدما أطلق له كل الأسرى من قومه([1]).

(5) أطلق يوم فتح مكة (رمضان 8هـ/ 629م) جماعة من قريش فكان يقال لهم:الطلقاء([2]).

كل هذه النماذج، تبين لنا مدى رحمة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأسرى، وهذه المواقف وغيرها تكشف الستار عن شخصيته التي بلغت من السمو والرفعة مبلغاً بعيداً، شخصية تحرك الأفئدة نحوها، بفيضٍ عارمٍ من الرحمة والعفو والسماحة.

ألا يعتبر هذا دليلاً على أن محمداً لم يكن متصفاً بالقسوة ، ولا متعطشاً للدماء كما يقول خصومه؟ ، بل كان دائماً يعمل على حقن الدماء قدر المستطاع.

سابعاً / حياة الرسول الخاصة

لقد نقب المستشرقون في كل تفاصيل سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم ، ولم يتركوا واقعة إلا حللوها وأولوها ولووا معناها ؛ ليتناسب مع غاياتهم وأهدافهم ، فانتقوا ما يرون فيه طعن في سيرته العطرة غافلين الأبعاد التاريخية والاجتماعية للحدث منتحلين المنهج العلماني الذي تأباه اليهودية والمسيحية قبل أن ينفر منه الإسلام، وفيما يأتي أتناول نماذج من تلك المطاعن التي تعلق بها المستشرقون الإنجليز في سيرة الرسول الكريم :

1- الوفاء :

(3) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ، 2\ 144،.
(4) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب قوله تعالى؛ {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ}، برقم (1808).

إن أول شبهة يثيرها المستشرقون في حياة الرسول الخاصة ، هي وفاؤه - صلى الله عليه و سلم – للسيدة **خديجة**- رضي الله عنها – حيث يفسرونه بمنظار المادية ، الذي اشتهر به المنهج الغربي في دراسة التاريخ الإسلامي ؛ حيث رأى **موير** أن الرسول – صلى الله عليه وسلم –ظل وفياً للسيدة **خديجة** – رضي الله عنها – طوال حياتها ولم يتزوج عليها قط ؛ وذلك لتهيبه لمركزها المالي و الاجتماعي ، و خوفه من أن تطالبه بالطلاق([1]).

وتأثراً وتأكيداً لهذا التفسير المنحرف أرخ **مرجليوث** حياة الرسول –صلى الله عليه وسلم - باليوم الذي لقي فيه **خديجة** و مدت يدها إليه تقديرًا ،([2]) كما أرخ حادث هجرته إلى يثرب،باليوم الذي خلت فيه مكة من **خديجة** ([3]) .

إن هذا المستشرق وأمثاله يرون في وفاة السيدة **خديجة** – رضي الله عنها – نقطة انطلاقة جديدة **لمحمد** الذي ورث ثروة خديجة بعد موتها ، و يتساءل هؤلاء عن وجود تلك الثروة من عدمه ، وبنو هاشم محاصرون في الشعب ثلاث سنوات ، يأكلون أوراق الشجر ، وتعتصر قلوبهم ألماً ، وهم يرون فلذات أكبادهم يموتون جوعاً أمام أنظارهم و لا حول لهم ولا قوة ؟ ، أم أن ثروة **خديجة** كانت آنذاك ، وهي تشارك زوجها محنته مدخرة في مكان ما؟ ،وهل كان يعقل أن تبخل **خديجة** بمالها في مثل هذا الموقف ؛ ليرثه **محمد** بعد موتها ، ويحقق به أهدافه؟ ،وإذا كان الأمر كما يقول هؤلاء ، ففيما إذن كان وفاء الرسول – صلى الله عليه وسلم - **لخديجة** بعد موتها؟([4])، ولماذا رق قلبه لرؤية قلادتها التي جاءت بها ابنته **زينب** في فداء زوجها **الربيع بن العاص** بعد بدر ([5])؟ ، وهل كان يخاف أن تطالبه بالطلاق ، و هو يخاصم السيدة **عائشة** فيها بعد وفاتها بسنين ، و يأبى عليها أن تمس ذكراها ؟!([6]).

لقد اعترفت السيدة **عائشة** – رضي الله عنها – أنها لم تغر من امرأة قط كما غارت من السيدة **خديجة**- رضي الله عنها ؛ لما كان من ذكر الرسول لها ، روى **الإمام أحمد** عن **عائشة** أنها قالم:

"كان النبي إذا ذكر خديجة أثنى عليها ، فغارت يوماً وقلت : ما أكثر ما تذكر حمراء الشدق ، قد أبدلك الله خيراً منها ، فقال : ما أبدلني الله خيراً منها ، قد آمنت بي

---

(1) See: William Muir :Life of Mohammed from the original sources,, 2\88.
(2) Ibid, 2\45
(3) Op.Cit, 2\185
(1) ينظر: عبد العزيز بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة :المختصر البشير في سيرة البشير النذير، تح : محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب (بيروت ، 1988م) ، ص 78 ، هامش رقم (1) .
(2) ينظر :ابن هشام : السيرة النبوية ، 2\ 237.
(3) ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، 2\ 208

إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمتني النساء "([1])

والخلاصة :إن الفكر الغربي الذي لم يستطع فهم المعطيات التاريخية الإسلامية مادام يستخدم في ذلك المنظور المادي القاصر ، لن يستطيع أن يَفسر وفاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – للسيدة خديجة خلال حياتها ، وبعد وفاتها إلا أنه وفاءً للمصلحة ليس إلا .

2- تعدد الزوجات :

الشبهة الثانية التي يثيرها المستشرقون الإنجليز([2]) في حياة الرسول الخاصة هي تعدد زوجاته ، حيث أصر هؤلاء على تصويره شخصاً شهوانياً ، ورجلاً مستهتراً ([3])، محاولين أن يجدوا في زواجه المتعدد شخصية ضعيفة غير متناغمة مع رسالته([4]) ، وأنه لم يضع حداً أقصى لتعدد الزوجات ، وتجاوزوا في الافتراء فادعوا أن النبي كان له علاقة بنساء غير زوجاته، وفي هذا الصدد يشن **وات** هجوماً على خلق النبي على أساس تعدد زوجاته المطهرات- رضي الله عنهن - ولو بطريقة غير مباشرة، وذلك بعنوان القصور الخلقي المزعوم "The Alleged Moral Failures" ([5]).

والرد على هذه الزعم يكون كالأتي :

أ- كان التعدد موجوداً قبل الإسلام ، وكان عدد الزوجات عند العرب يصل إلى العشرة، وبقدر ما كثر عدد الزوجات، كثر الإنجاب، لا سيما الذكور،المعول عليهم في كل الأعمال والممارسات خارج حمى الأهل،، من حروب وتجارة وصيد،وغيرها من الأنشطة الذكورية ، والثابت إن التعدد كان موجوداً قبل الإسلام لدى جميع الأجناس البشرية ، وليس عند العرب وحدهم ، وكان يعتبر اختطاف المرأة الأجنبية وحيازتها علامة من علامات الفخر في غالب الأمم ، وقد ذكر بعض الرحالة أن خلفاء ملوك المكسيك في أمريكا ، كانوا يعتقدون أنهم لا يستطيعون أن يحافظوا على مقامهم بين الناس إلا إذا أكثروا من النساء ، وكان الملوك الميروفنجيين ، معددين للزوجات ، وكذلك كان الحال عند السكسون ، وعند قدماء المصريين ، وقد ذكر المفكر الإنجليزي **هربوت سبنسر** إن

---

(4) لترمذي : سنن الترمذي ،باب المناقب ، السيدة خديجة – رضي الله عنها- حديث رقم 3885، 9\239.

(5) D.S.Margoliouth,. See :William Muir :Life of Mohammed from the original sources., 3\238 and . Mohammed and the Rise of Islam. P66:

(6) Muir,Op.Cit .,3\238

(7) Margoliouth: Op.Cit, P66.

(1) See: Montgomery watt, Mohammad at Medina, ,pp324-334.

تعدد الزوجات مفيد للمجتمعات والأمم المحاطة بمجتمعات معادية لها ؛لأن رجالها يموتون في حروبهم المستديمة بكثرة زائدة،وعليه فإن التعدد ليس ظاهرة غريبة إذا أخذنا في حسابنا الظروف التاريخية ، والثقافية للمجتمع العربي آنذاك ([1])

ب- من الثابت في سيرته الشخصية صلى الله عليه وسلم اشتهاره بالاستقامة والتعفف عن الفاحشة والصريف الشائن الحرام للشهوة ، رغم امتلاء المجتمع الجاهلي بشرائح من الزانيات اللاتي كانت لهن بيوت يستقبلن فيها الزناة ويضعن عليها " رايات " ليعرفها طلاب المتع المحرمة([2]) ، ورغم توفر أسباب الانحراف والسقوط في الفاحشة في مجتمع مكة - فلم يُعرَف عن الرسول صلى الله عليه وسلم إلا التعفف والطهارة بين جميع قرنائه([3])، بشهادة أعدائه من قريش ،و حين بلغ الخامسة والعشرين من عمره ورغب في الزواج لم يبحث عن " البكر " التي تكون أحظى للقبول وأولى للباحثين عن مجرد المتعة. وإنما تزوج امرأة تكبره بحوالي خمسة عشر عامًا ، ثم إنها ليست بكرًا بل هي ثيب([4]) ، ولها أولاد كبار عمر أحدهم يقترب من العشرين ؛ وهى السيدة خديجة – رضي الله عنها ([5])، كما ثبت عنه أنه كان يحث أصحابه على الزواج من الأبكار ،فإن كان - صلى الله عليه وسلم- قد عدد لأجل الزواج والشهوة لكان أولى به أن يتزوج الأبكار ، وهو لو أرادها لما منعه من ذلك مانع ؛ لأن الصحابة -رضوان الله عليهم -كانوا يتفانون في القرب منه.

ت- إن التعدد في الزواج ليس مما يعاب به الأنبياء ، وقد عدد الأنبياء قبل **محمداً** - صلى الله عليه وسلم - فإبراهيم -عليه السلام- تزوج **سارة** ثم **هاجر** ، و **يعقوب** -عليه السلام -تزوج بأربع نسوة ، و **داود** -عليه السلام -تزوج نساء كُثر، وتجدر الإشارة إلى وجود فرقة مسيحية تحلل تعدد الزوجات ، هي (المورون) ، وهي من الفرق البروتستانتية .

ث- أن تعدد الزوجات شيء ذائع في سائر أرجاء العالم ، وسوف يظل موجوداً ما وجد العالم ، مهما تشددت القوانين في تحريمه ،وقد لاحظ الرحالة الغربيون ، ونخص بالذكر منهم **جيرار دي نيرفال** و**الليدي مورجان** ، أن تعدد الزوجات عند المسلمين ، وهم الذين

---

(2) ينظر: السيد محمود أبو الفيض المنوفي: سيرة سيد المرسلين ، 1\ 84- 87.
(3) ينظر: لورافيشيا فاغليري: دفاع عن الإسلام ، ص 98-99.
(4) ينظر: المرجع نفسه ، ص 37- 38.

(1) ينظر : ابن سعد: الطبقات الكبرى ،8\ 268 ، وابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، 4/ 1919 ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 3\ 161، ابن حزم : جوامع السيرة ، ص30 ، السهيلي : الروض الانف في تفسير السيرة النبوية ، 4\ 267، ابن الأثير : أسد الغابة ، 7\ 78 – 85، الكامل في التاريخ ، 2\307،

يقرون هذا المبدأ، أقل منه عند المسيحيين الذين يزعمون تحريم الزواج بأكثر من واحدة ، فكأنهم يجدون لذة الثمرة المحرمة عند خروجهم على مبدأهم هذا([1]).

ج- إن فساد مثل هذه الشبه قد تنبه له بعض العقلاء من الأعداء أنفسهم ، أمثال الفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل الذي قال : " وما كان محمد أخا الشهوات ، برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً ...ونخطئ إذا حسبناه رجلاً شهوانياً لا هم له إلا قضاء مآربه من الملذات"([2])، كما قال الأديب الإنجليزي المعروف ، **جوني لوركس** قال:" **لم نعلم مما جاءنا من التاريخ الصحيح أن محمداً نبي الإسلام تسربل بأي رذيلة مدة حياته** ". ([3])

وفي رأيي أن الأسباب التي دعت الرسول إلى التعدد تكمن في الأتي :

1- الواقع البيئي: من عيوب المنهج الغربي أنه يقيس الأحداث التاريخية بمنظور تاريخي ضيق يحلل تلك الأحداث من خلال تأثره بالرؤية والثقافة المعاصرة ، ويغفل البيئة التاريخية للحدث ، فالتعدد كان شائعاً قبل الإسلام وبعده .

2- الحاجة البشرية لوجود المرأة: من سنن الله في خلقه أنه خلق آدم ، وخلق له حواء من ضلعه لتكون أنساً وسكناً له ،قال تعالى :**﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾**([4])، كما أن البيت والعائلة لا يقومان في غير وجود المرأة ، وتبعاً لذلك كانت بعض زيجات الرسول ، ومنها زواجه من سودة بنت زمعة، بعد وفاة السيدة خديجة لترعى شؤون بيته وتربي أولاده([5]).

3- البحث عن الذرية: لقد خلق الله الدنيا ، وجعل زينتها المال والبنون ، قال تعالى:**﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾** ([6]) ، فهو- صلى الله عليه وسلم - بشر يشعر بالحاجة إلى وجود الولد ، وبخاصة بعد موت أولاده الذكور من السيدة **خديجة** ، ومما يؤيد هذا القول حزنه الشديد على موت ابنه **إبراهيم** ، الذي تشفت بموته قريش فقالوا : قد انقطع ولده فهو أبتر ، فنزل قول الله تعالى:**﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾** ([7]) وقد ثبت عنه أنه كان يحرض

---

(2) ينظر: دينيه : محمد رسول الله ، ص 357-345 .
(3) ينظر :توماس كارليل : الأبطال ، ص 76- 77.
(4) ينظر: محفوظ االعباسي : الغرب نحو الدرب ، ص 51.
(1) سورة الروم ، الآية 21.
(2) ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية ، 1\352، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، 2\ 197 ، ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، 1\ 49- 50 ، السهيلي : الروض الانف في تفسير السيرة النبوية ، 1\214، 133، ، ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، 4\ 1867،.
(3) سورة الكهف ، الآية 46.
(4) سورة الكوثر 3، الآية

أصحابه على الزواج من الولود الودود([1]) ومما يثبت هذا الرأي أن أغلب زوجاته كن ثيبات ، ولهن أولاد .

4- عقد التحالفات: من المعلوم أن التحالفات العربية كانت تتم عادة عن طريق المصاهرة والتقاطع الدموي. ولعل هذا ما يفسر تعدد الزوجات لديه بعد الهجرة، لا سيما بعد فتح مكة، واتساع دائرة الفتوحات ، وقد بدأ التحالف مع الصحابة، فتزوج **عائشة بنت أبي بكر**([2]) ، ثم **حفصة بنت عمر بن الخطاب**([3])التي توفى عنها زوجها ، وكان ترمّلها مثار ألم دائم لأبيها **عمر بن الخطاب** الذي كان يحزنه أن يرى جمال ابنته وحيويتها تخبو يومًا بعد يوم، وبمشاعر الأبوة الحانية وطبيعة المجتمع الذي لا يتردد فيه الرجل من أن يخطب لابنته من يراه أهلاً لها،عرض **عمر** على **أبي بكر الصديق** الزواج من **حفصة** لكن **أبا بكر** لم يرد بالإيجاب أو بالسلب فتركه **عمر** ،ومضى إلى ذي النورين **عثمان بن عفان** وعرض عليه الزواج من حفصة ففاجئه **عثمان** بالرفض، فضاقت به الدنيا ومضى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبره بما حدث فكان رد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه هو أن **حفصةَ** يتزوجها من هو خيرٌ من **عثمان** ويتزوج **عثمان** من هي خير من **حفصة**)،وأدركها **عمر** - رضى الله عنه - بفطنته إذ معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما استشعره **عمر** هو أن من سيتزوج ابنته **حفصة** هو الرسول نفسه وسيتزوج عثمان إحدى بنات الرسول صلى الله عليه وسلم ([4])، ومن ذلك أيضاً ،التحالف الرمزي مع يهود بني النظير حين اختار النبي أن يقترن **بصفية بنت حيي**([5]) التي كانت إحدى السبايا اللاتي وقعن في الأسر بعد هزيمة يهود بنى النضير أمام المسلمين ،و كانت من نصيب النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقها وتزوجها([6])، ولم يكن عتقه إياها وزواجه بها بدعًا في ذلك ؛ وإنما كان موقفًا إنسانياً ، فلم يكن هذا الموقف إعجابًا بصفية وجمالها ، ولكنه موقف الإنسانية النبيلة التي يعبر عنها السلوك النبيل بالعفو عند المقدرة والرحمة والرفق بمن أوقعتهن ظروف الهزيمة في الحرب في حالة الاستضعاف والمذلة لا سيما وقد أسلمن وحسن إسلامهن.

---

(5) السيد سابق : فقه السنة، دار الكتاب العربي (بيروت ،1969م) ، 2\ 13.

(6) ينظر ترجمة السيدة عائشة وسيرتها ومروياتها في :ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 8\ 271 ، ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة،8\54.

(7) ينظر ترجمة السيدة حفصة في : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 8\284، ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، 3\ 164 ، شمس الدين أبي عبد الله بن أحمد : سير أعلام النبلاء ، تح : شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة (بيروت ، ب ت) ، 2 \ 227 وغيرها .

(1) ينظر: ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 8\ 284.

(2) ينظر: عبد الصبور شاهين وإصلاح عبد السلام الرفاعي : موسوعة أمهات المؤمنين ، دار الإعتصام (القاهرة ، ب ت) ص 162.

(3) ينظر: الطبري:تاريخ الرسل والملوك ،3\ 94.

5- عقد المصالحات والترغيب في الإسلام ، ومن ذلك زواجه من **جويرية بنت الحارث** التي لم تكن امرأة أعظم بركة على قومها منها ، فقد أعتق الرسول صلى الله عليه وسلم بعد زواجه بها أهل مائة بيت من بنى المصطلق (التي هي منهم) ، ومع أن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الأسيرة بنت سيد قومها والتي جاءته ضارعة مذعورة مما يمكن أن تتعرض له من الذل من بعد عزة، فإذا هو يرحمها بالزواج ،وبالمكانة الشريفة بين المسلمين ، ثم يتيح لها الفرصة ؛ لأن تعلن إسلامها وبذا تصبح واحدة من أمهات المؤمنين([1]).

6- الرحمة بالمرأة ، التي كانت أسيرة مجتمع لا تزال رواسب الجاهلية تعكر صفو مائه، فهي مضطهدة مهضومة الحقوق ، ولا تساوي شيئاً بدون الزوج ، لذلك كان زواج الرسول من نساء أمثال :أم حبيبة- رملة بنت أبى سفيان- التي كانت قد تعرضت لمحنة قاسية بعد ارتداد زوجها عن الإسلام ودخوله في النصرانية وفوق ذلك كانت محنة الاغتراب حيث لا أهل ولا وطن ثم كانت محنة حملها بالوليدة التي كانت تنتظرها والتي رزقت بها من بعد واسمتها **حبيبة**، فسخرت لها العناية الإلهية من لطف الرعاية وسخائها ما يسرّ العين ويهون الخطب ، وعادت بنت أبى سفيان تحمل كنية جديدة ، وبدل أن كانت **" أم حبيبة "** أصبحت **" أم المؤمنين "** وزوج سيد المرسلين - صلوات الله وسلامه عليه([2]) .

إن الرسول – صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يطلب متعة أو يلهث وراء شهوة ، بل كان زواج من زيجاته سبب اجتماعي أو سياسي ، ذلك أنه قصد من وراء ذلك تكريم النساء المتصفات بالتقوى وإلى إنشاء علاقات أسرية مع العشائر والقبائل الأخرى ، ابتغاء شق طريق جديد لنشر الإسلام ([3]) ، إضافة إلى أن كل تلك الزيجات لم تلهه عن مهامه الدينية والدنيوية ([4]).

3- شبهة زواجه من زينب بنت جحش :

زينب بنت جحش ، هي ابنة عمة الرسول ، وقد أثار المستشرقون في زواج الرسول بها الكثير من الأكاذيب التي دسها أعداء الإسلام في كتب المؤرخين المسلمين ،حيث يدعي **موير** أن محمداً- صلى الله عليه وسلم - وحاشا له – أُعجب بزوجة متبناه **زيد بن حارثة**

---

(4) جويرية بنت الحارث الخزاعية:الأميرة الحسناء، ينظر: ابن كثير؛ البداية والنهاية، 4\ 159.

(1) . ينظر: عبد الصبور شاهين : موسوعة أمهات المؤمنين، ص 156.

(2) ينظر: لورافيشيا فاغليري : دفاع عن الإسلام ، ص 99-100.

(3) يقول هارث " كان محمد عل خلاف عيسى ، رجلاً دنيوياً ، يعمل في التجارة ويرعى الغنم ، ويحارب ويصاب في الحروب ، ويمرض ، .... وهذا التزاوج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أؤمن بأن محمد هو أعظم الشخصيات أثراً في التاريخ الإنساني كله " = محفوظ العباسي : الغرب نحو الدرب ، ص 67 .

فطلقها منه وتزوجها وأنه استعان بوحي إلهي لإنقاذ سمعته([1])، وسيراً على منهج الانتقاء الكيفي الذي يعمد إلى تلقف الأخبار الضعيفة والشاذة ،فقد استدل هؤلاء بما جاء في تفسير **الطبري** لقوله تعالى: ﴿ **وإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا** ﴾ ([2]) حيث ذكر **الطبري، أن** النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كان قد زَّوج زيدَ بنَ حارثة زينبَ بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يومًا يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي- صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ([3]).

يؤكد المفسرون والمؤرخون المسلمون،إن هذه الروايات لا يعتد بها ، وأنها ذكرت على سبيل المثال، وليس على سبيل اليقين ، وأنها روايات ضعيفة ؛ وذلك للسببين الآتيين :

أ- أن **زينب بنت جحش** هي بنت عمة الرسول- صلى الله عليه وسلم - كما سبقت الإشارة – ربيت تحت نظره ، وشملها في عنايته ما يشمل البنت من والدها أول الأمر ، حتى إنه اختارها زوجة لمولاه و متبناه ، مع إبائها ورفضها ورفض أخيها ، وعد رفضها عصياناً ، ولا زالت كذلك حتى نزل في شأنها قرآناً ، ولو كانت به رغبة فيها لاختارها لنفسه ؛ وبخاصة أنه رآها كثيراً قبل فرض الحجاب ، فما كان يمنعه – إذًا – من أن يتزوجها من البداية؟! ، ولو كان للجمال سلطان على حياته لكان أقوى عليه جمال البكر ، وقد كان يراها قبل الحجاب ، فكيف يمتد نظره إليها ويصيب قلبه سهم حبها بعد أن صارت زوجة ابنه بالتبني ؟، وكيف يظن أن النبي الذي يقول له الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾([4]) ، أن يخالف أمر الله شهوة في بنت عمته ([5]).

---

(4) William Muir :Life of Mohammed from the original sources,3\238

(5) سورة الأحزاب ، الآية 37.

(6) تفسير الطبري 22\ 12 وما بعدها

(1) سورة طه ، الآية 131.

(2) ينظر: بن حبان الأندلسي: تفسير البحر المحيط ، تح : عاد أحمد عبد الموحد ، علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 2001م) ، 7\ 226، محمد جمال الدين القاسمي (م: 1332هـ/ 1914م) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، ضبط وتصحيح : باسا عيون السود ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1997م) ، 8\80.

هذا إلى جانب أنه لو كان طامعا في الزواج منها على افتراض صحة تلك الرواية لشجع زيداً وقتها على ما يريد من فراق لزوجته([1]).

ب- أن زواج محمد -صلى الله عليه وسلم -من زوجة ابنه بالتبني **زيد بن حارثة** إنما كان لحكمة تشريعية أرادها الإسلام لإبطال هذه العادة - عادة التبني - التي هي في الحقيقة تزييف لحقائق الأمور كان لها في واقع الناس والحياة آثار غير حميدة، ولأن هذه العادة كانت قد تأصلت في مجتمع الجاهلية اختارت السماء بيت النبوة بل نبي الرسالة الخاتمة نفسه صلى الله عليه وسلم ليتم على يديه وفى بيته الإعلان العملي عن إبطال هذه العادة([2]).

لقد علل الله- تعالى- تزويج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إياها بقوله **﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾**([3])، في أن يتزوجوا زوجات من كانوا تبنوه إذا فارقوهن .

ثامناً / العلاقات مع اليهود:

1- موقف الرسول من اليهود عند الهجرة :

عندما هاجر الرسول -صلى الله عليه وسلم - إلى يثرب، وادع اليهود الذين كانوا من بين سكانها، وعاهدهم وأمنهم على أموالهم ومواليهم، ومنحهم حرية الاعتقاد، واشترط عليهم أن يكونوا مع المسلمين على من هاجم المدينة أو حارب أهلها([4]).

ذكر المستشرقون الإنجليز (موضوع الدراسة) ،أن الرسول -صلى الله عليه وسلم - بعد هجرته إلى المدينة كان حريصا على أن يظفر بتأييد اليهود، وذلك بزعمهم -حتى لا ينهار البنيان الفكري الذي قامت عليه رسالته، فقد كان – حسب زعمهم - يؤكد في البداية أن رسالته

(3) ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية ، 2\ 112.
(4) ينظر: حياة محمد ص 29.
(1) سورة الأحزاب ، الآية 37.
(2) لمزيد من الإطلاع على نصوص الصحيفة ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، 2\ 112.ابن كثير : السيرة النبوية ، 2\ 321.

متطابقة مع الرسالات السابقة، ومن هنا كان مستعدا لأن يسمح لليهود بالبقاء على دينهم إذا اعترفوا به نبيا كأنبيائهم، فلما أصر اليهود على موقفهم من عدم الاعتراف بنبوته وأخذوا يبرزون الفروق بين اليهودية والإسلام هاجمهم الرسول واتهمهم بالتحريف وادعى أنه على دين إبراهيم ([1]).

والرد على هذه الشبه يكمن في النقاط الآتية :

أ- أن الرسول -صلى الله عليه وسلم-وإن كان حريصا على أن يدخل الناس كافة في هذا الدين، يهودا كانوا أم غير ذلك، فإنه لم يجبر اليهود على الدخول في الإسلام، وهذا هو موقف الإسلام من أهل الكتاب خاصة، إضافة إلى أنه لم يكن هناك أي احتكاك بين **محمد** اً -صلى الله عليه وسلم- واليهود قبل هجرته إلى المدينة باعتراف المستشرقين أنفسهم([2]).

ب- أن المستشرقين الذين فسروا أحداث السيرة النبوية ، تفسيراً مادياً بحتاً ، ولا يؤمنون بنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – و لم يقروا بأن الإسلام رسالة مُنزلة من السماء ، وبالتالي فهم لن يعترفوا بأن الكثير من تصرفات الرسول ، والإجراءات التي أتخذها في حياته ، كانت تنفيذاً لأوامر الله – سبحانه وتعالى – سواء رغب الرسول في ذلك أو لم يرغب، وإنما هي- حسب زعمهم -ناتجة عن تدبير مسبق ، وتفكير سياسي محنك .

ت- أن اليهود قد أظهروا العداوة للرسول منذ مقدمه إلى المدينة ، ذلك بعد أن عرفوا أن الله قد خص العرب بالنبي المنتظر ، فسعوا في الوقيعة بين الأنصار([3]) ، وعندما أسلم بعض اليهود قالوا ([4])، ما أسلم إلا أشرارنا ،وكان منهم من تحزب للأحزاب، ثم حاولوا اغتياله بدس السم له ([5]).

---

(3) Montgomery watt: Muhammad at Medin,P204 , D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam, Pp310- 338
William Muir :Life of Mohammed from the original sources,3\30-31.

(1) ينظر: وليد بن بلهيش العمري : السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ، ص 42

(2) يذكر ابن اسحاق أن شأس بن منيس ، وكان شيخاً كبير السن عظيم الكفر شديد الظغن للمسلمين شديد الحسد لهم ، مرّ على نفر من مسلمين من الأوس والخزرج ، في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاضه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال: قد أجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا ، إذا أجتمع ملؤهم بها من قرار ، لإامر فتاً شاباً من يهود كان معهم ، فقال له : اعمد إليهم فاجلس معهم ثم أذكر يوم بعاث (اقتتلت فيه الأوس والخزرج في الجاهلية) ، وأنشدهم ما كانوا قد قالوا فيه من أشعار ، ففعل ، فتكلم القوم وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب بعضهم على الآخر ، ولوحوا بالخرب ، فبلغ ذلك الرسول ، فلامهم ، وعرف القوم أنها من كيد عدوهم فبكوا وتعانقوا. ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، 2\ 158- 164.

(3) نذكر منهم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سقية ، وأسيد بن سقية ، وأسد بن عبيد وغيرهم . ينظر ، ابن هشام : المصدر السابق ،2\ 154-164.

(4) ينظر: ابن هشام : المصدر السابق ، 2\ 122- 169. ، 3\5، الواقدي : المغازي ،1\ 81- 177، الطبري : تاريخ الرسل والملوك 2\ 360.

لقد شعر اليهود بتزايد قوة المسلمين ، ورأوا أن محمداً يزيد قوة وسلطاناً ، فما كادوا يعودون من بدر ، حتى بدأو بالتآمر عليهم ، يغررون بهم ، ويرسلون الأشعار للتحريض عليهم' ووجد المسلمون في أنفسهم الجرأة لوضع حد لمن بدأهم بالعدوان ([1]).

2- إجلاء بني قينقاع :

تناول المستشرقون تطور العلاقة بين اليهود والرسول -صلى الله عليه وسلم- وبين قبائل اليهود الرئيسة في المدينة، فذكروا أن الرسول بدأ بإجلاء بني قينقاع ؛ لأن هذه القبيلة كانت أضعف الثلاث ولم يكن لها حلفاء أقوياء من بين الأنصار ممن كان يستند الرسول إلى تأييدهم على عكس ما كان عليه الوضع بالنسبة للقبيلتين الأخريين، فقد كانتا متحالفتين مع بعض بطون الأوس القوية التي كانت تمثل سندا للرسول صلى الله عليه وسلم([2]) ، كما ذكروا سبباً آخر لإجلاء بني قينقاع عن المدينة يتلخص في رغبة **محمد** في فسح المجال أمام المهاجرين للسيطرة على سوق المدينة([3]) .

و الرد على هذه الافتراءات يكمن في النقاط الآتية :

أ- المعروف تاريخياً ، أن بني قينقاع هم الذين بدأوا بأذية الرسول والمسلمين([4]) ، وأنهم تحدوه –رغم ضعفهم الذي يدعيه المستشرقون – والدليل على ذلك قولهم:

" يا محمد ، لا يغرنك من لقيت، إنك قهرت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله إن حاربناك ؛لتعلمن أنا نحن الناس " ([5])

فنزل قوله تعالى :**﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾**([6]) ، والسياق التاريخي الذي وقعت فيه هذه الحادثة هو أنها حدثت بعيد غزوة بدر أي في حال قوة المسلمين التامة وتمكنهم من أمرهم وأمر مدينتهم تماما، وبنو قينقاع لم يأخذوا في ردهم هذا الاعتبار ولم يميلوا مع الريح و ردوا - على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بالحسنى

(5) ينظر: محمد حسنين هيكل : حياة محمد ، ص 280.
(1) D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam,p 321, Montgomery watt: Id, p 210.
(2) ينظر: وليد بن بلهيش العمري : السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ، ص 46
(3) ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، 3\5- 32، ابن حزم : جوامع السيرة ، ص 180 ، 188، البلاذري : أنساب الأشراف ، 1\ 23، ابن كثير : السيرة النبوية ، 2\ 347.
(4) ابن هشام : المصدر السابق ، 2\ 155، 3\5- 6..
(5) 6سورة آل عمران ، الآيات ، 12 ، 13 .

وعمله بأمر ربه بأن يبلغ ما أنزل إليه - بتحد صارخ لسلطته وأظهروا ما تضمره صدورهم من العداء، أليس في هذا وغيره إعلان حرب صريح من طرف واحد؟([1]).

ب- أن بني قينقاع كانوا هم فعلا تجار المدينة وقادتها الاقتصاديين حتى إن سوق المدينة كان يسمى بسوق قينقاع، ، ولكن ليس هذا هو السبب الذي أدى إلى إجلائهم لسبب واضح هو أن منافذ الرزق لم تسد أمام المهاجرين منذ بداية حياتهم في المدينة، فقد شاركهم إخوانهم في الدين شطر أموالهم وآثروهم بالغالي والنفيس عن طيب خاطر([2])، فمن أبعد الأمور احتمالا أن يُقدم الرسول صلى الله عليه وسلم على خطوة خطيرة كهذه لمجرد أن يفسح المجال لتجارة المهاجرين ، إضافة إلى أن المسلمين قد ركزوا على تنظيم السرايا لرد أموالهم التي كانت عند قريش ، ولم يخطر في بالهم السيطرة على سوق بني قينقاع .

ت- تعدي بني قينقاع على حرمات المسلمين ، وأبرز مثال على ذلك حادثة الأنصارية التي قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ فجعلوا يراودونها على كشف وجهها، فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده على ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين فغضب المسلمون على اليهود فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع ([3]) ، و هذا استفزاز واضح لحمية العرب – التي تميزوا بها بين الأمم منذ الأزل - وانتهاك لحرمة عرض امرأة مسلمة، حق على السلطان حمايته، ولكن المستشرق الغربي يسقط واقعه الذي يعيش فيه ويصدر الأحكام وفق معطياته على أناس يبعدون عنه كل البعد زمانا ومكانا وثقافة([4])، ويقلل من فداحة هذه الحادثة ،فيصفها بالخصومة التافهة والتي أدت إلى موت مسلم ([5]).

ث- إذا نظرنا إلى هذه الحادثة من جهة أخرى نراها ، في واقع الأمر ، نقضا للعهد الذي بين الرسول- صلى الله عليه وسلم - و بني قينقاع ، وكان من الطبيعي أن يجلي أي سلطان حازم طغمة باغية كهذه، ومع كل هذا فقد كلمهم بالحسنى أن يكفوا عن أذى المسلمين ، ويحفظوا عهد الموادعة ، أو ينزل بهم مثل ما أنزل بقريش([6]) ، فاستخفّوه وردوا عليه رداً وقحاً ، فلم يبق بد من المواجهة ([7]) ، وحتى بعد أن خرج المسلمون وحاصروا بني

(6) ينظر: وليد بن بلهيش العمري : المرجع السابق ، ص 44.
(7) ينظر: وليد بن بلهيش العمري : السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ، ص 46
(1) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ، 3\ 6.
(2) ينظر: وليد بن بلهيش العمري : المرجع السابق، ص 45
(3) Montgomery watt: Muhammad at Medina,P 15.
(4) ينظر: محمد حسنين هيكل : حياة محمد ، ص 280.
(5) ينظر: المرجع نفسه ، ص 280 .

قينقاع ، واستسلم اليهود في النهاية ،تركهم **محمد-** صلى الله عليه وسلم - **لعبد الله بن أبُي** ابن سلول حليفهم من العرب([1])، فخرجوا من المدينة ولحقوا بأذرعات([2]) الشام([3]).

ويلاحظ على أسلوب طرح المستشرقين الإنجليز لهذه الحادثة الأتي :

- أسلوب الانتقاء الكيفي الذي سار عليه المستشرقون في عرض الأحداث التاريخية ، حيث يذكرون ما يخدم تطلعاتهم ، ويهملون غير ذلك .
- والثانية ،الحكم على الأحداث التاريخية بمنظور غربي ، فحادثة سوق بني قينقاع ، لا تحرك في الغربي غيرته ، وحميته ، بل هي أحداث عادية ، لا تستحق أن يثور من أجلها رجل ، ثم يُقتل ، ثم يطرد شعب بكامله وراء تلك الحادثة .

3- طرد بنو النضير :

ذكر **ابن اسحاق** أن الرسول كان قد بعث بأربعين من أصحابه مع **أبي الدرداء عامر بن مالك** إلى أهل نجد ليدعوهم إلى الإسلام ، فنزلوا في بئر معونة بين أرض بني عامر وحرة بني سليم ، وبعثوا بكتاب من رسول الله إلى **عامر بن الطفيل**، فلم ينظر فيه، وقتل حامله ، ثم عدا على الآخرين فقتلهم ، وأخذ **عمرو بن أمية** أسيراً ثم أعتقه لرقبة كانت على أمه ، فخرج **عمرو بن أمية** ، فقابل رجلين من بني عامر نزلا معه في ظل كان فيه ، وكان معهما عهد من رسول الله لم يعلم بأمره عمرو ، فقتلهما ، وعاد فأخبر الرسول بذلك فقال : قد قتلت قتيلين ، لأدينهما([4]).

وتنفيذاً للعهد الذي نصت عليه صحيفة الموادعة، التي نصت على التعاون والتآزر بين الطرفين في مثل هذه المواقف ([5]) فقد ذهب الرسول- صلى الله عليه وسلم - في عشرة من كبار الصحابة من بينهم ، **أبو بكر وعمر وعلي** ، وطلب من اليهود معاونة المسلمين في دية القتيلين ، اللذين قتلهما **عمرو بن أمية** خطأ ، ومن غير أن يعلم أن الرسول أجارهما ، فأُوحيّ إليه أنهم يأتمرون بقتله بصخرة يرمونها عليه من أعلى الجدار ، فانسحب كأنه يقضي بعض شأنه ،

---

(6) ينظر: وليد بن بلهيش العمري : المرجع السابق ، ص 46

(7) أذرعات : موضع من أعمال دمشق = محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية (باريس ، 1850م) ،2\73.

(8) ينظر: ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي سيد العباد ، 2\ 71.

(1) ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية ،3\110،100.

(2) ينظر: المصدر نفسه ، 2\ 114.

وحارت اليهود فيما يقولون أو يصنعون بأصحابه ـ فإن غدروا بهم ، فإن **محمداً** لابد منتقم لهم ، واستبطأه أصحابه ، فقاموا إلى طلبه([1]).

أخذ بنو النضير يعدون عدتهم لحصار طويل؛ ولأنهم يعلمون تمام العلم فداحة أعمالهم ،فرمموا حصونهم وشحنوها بالسلاح والعدد ، وبادر الرسول إلى محاصرتهم ، وأشتبك المسلمون معهم في قتال عنيف ، واستمر حصار المسلمين لهم عشرين يوماً ، ثم نادى اليهود بالصلح ، فصالحهم على الخروج من المدينة وذلك عام(4هـ/625م) ([2])، وقد رحل قسط كبير منهم إلى خيبر بينما مضى آخرون إلى الشام ([3]).

يذكر المستشرقون الإنجليز ، الحادثة التي أدت إلى طرد بني النضير ،و رفضهم المشاركة في دفع دية قتيلي بني عامر ، وشككوا في صحة محاولة اليهود إغتيال الرسول ، كما اعتبروا إنذار الرسول لليهود لا يتناسب و الإهانة ،أو ما وصفوه بالادعاءات الغامضة ([4]) ،ومن الطبيعي أن يتحمس لهذا الزعم المستشرق اليهودي **مرجليوث** ، الذي تجاهل ما قدمته المصادر من دور خياني وعدائي اضطلع به اليهود مرات عديدة ، وادعى أن انتقام محمد([5])من يهود المدينة كان لأسباب مصطنعة وغير كافية ([6]).

نلاحظ على أسلوب المستشرقين في مناقشة هذه القضية الأتي :

أ- التعاطف مع اليهود وتصويرهم كأهل سلام يبحثون عن الحقيقة ويدافعون عنها بأرواحهم وهذه الخطة لا يزال يسير عليها الغرب واليهود إلى يوم الناس هذا.

ب- إلصاق تهمة الإرهاب والهمجية والتعطش للدماء بالرسول والمسلمين ، عن طريق استخدام منهج الانتقاء الكيفي للألفاظ ، فمرجليوث يعنون الفصل الخاص بعلاقات المسلمين مع اليهود ،بهذا العنوان (تدمير اليهود)، لا يخفى عليك ما تحمله كلمة (تدمير) من دلالات ، يستشعر معها القاريء سبق النية والإصرار ، والقسوة والوحشية ، والعدوان والظلم، وهذا الأسلوب ، أسلوب اختيار المصطلحات التي تؤثر في القاريء نجده في أغلب كتابات المستشرقين ، حتى تلك التي وُصفت بالموضوعية .

---

(3) ينظر: ابن حزم : جوامع السيرة ، ص 180 ،
(4) ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية ، 3\114.
(5) ينظر: السيد سالم عبد العزيز : المرجع السابق، ص 361- 362.
(1) Montgomery watt: Mohammed at Medina, p 211.
(2) ينظر: ناصر عبد الرازق الملا : الإتجاهات التبشيرية لمجلة العالم الإسلامي ، ص 404.
(3) See: ِMohammed and the Rise of Islam . P66

4- الحكم على بني قريضة :

على الرغم من عقد يهود بني قريضة معاهدة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد تآمروا مع الجبهة المكية الغطفانية، إذ رأوا في غزوة الأحزاب فرصة مواتية لإنتقام لهم من المسلمين الذين أخرجوا أشقاء لهم من المدينة ([1])، موهنين بذلك الجبهة الداخلية للمجتمع المدني وغادرين بالمسلمين من وراء ظهورهم، وهم بذلك لم يساعدوا المسلمين كما تقضي المعاهدة ولم يبقوا على الحياد بل كانت تهديدا خطيرا للرسول وأصحابه([2]) ، فكان لا بد أن يتخذ المسلمون موقفاً ؛ لتحصين أنفسهم من الداخل ، وعندما رحلت الأحزاب ، عاد الرسول إلى المدينة ، وحاصر بني قريضة عام (5هـ /626م) ([3]) ، فلما طال عليهم الحصار لم يجدوا بداً من الاستسلام ، فخاطبوا الرسول في النزول على حكمه، واختاروا بإرادتهم أن يحكم فيهم حليفهم في الجاهلية **سعد بن معاذ** -رضي الله عنه- فحكم **سعد** بقتل ذكور بني قريظة ، وبسبي نساءهم وأطفالهم ، وبمصادرة ممتلكاتهم ([4]).

حاول **موير** أن يستدر عطف القاريء حين صور مشهد الحكم على بني قريضة ، والذي سماه (الحكم الدموي الحزين) ([5])حيث قال :

" كان مشهد نطق الحكم على بني قريضة جديراً بالتصوير بريشة رسام ، في الخلفية جيش المدينة عيونهم على الغنائم والأشياء المنزلية ، والدروع ، والطيور الجميلة، وفي ركن الصورة مجموعات من مئات اليهود ، أيديهم إلى ظهورهم ، والكآبة واليأس المشؤم على وجوههم ، وعن يسارهم النساء والأطفال الضعاف ، مرعوبين من الإرهاب ، أو محمومين من الحزن " ([6]).

وللرد على هذا الافتراء يمكن القول :إن الحكم على بني قريضة قد تم وفق الشريعة الموسوية مؤكداً أن حكم **سعد** ، لم يخالف تلك الشريعة ،وذلك حين حكم . ومهما بدت هذه العقوبة قاسية فقد كانت على وجه الضبط العقوبة التي كان اليهود ينزلونها ، تبعاً لتشريع كتابهم المقدس ، بالمغلوبين من أعدائهم ، إضافة إلى أن جريمة الغدر الشائنة التي قام بها بنو قريضة

---

(4) ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية ، 3\ 130-159، ابن حزم : جوامع السيرة ، ص 188، البلاذري : أنساب الأشراف،1\ 23.الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 8\ 1485.

(5) ينظر: وليد بن بلهيش العمري : السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ، ص 46.

(1) ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية ، 3\ 144، البلاذري : أنساب الأشراف ، ص 23 ،بينما يذكر ابن حزم أنها في السنة الرابعة للهجرة .ينظر : جوامع السيرة ، ص 195، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، 8\ 1485.

(2) ينظر: ابن هشام : المصدر السابق ، 3\ 152، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 3\ 2، 84، الواقدي : المغازي 1\ 215 .

(3) See: William Muir :Life of Mohammed from the original sources ,4\274

(4) Ibid,4\ 275.

لا تجازى بأيما عقوبة أخف ، حتى في عصر المدنية هذا أ كما أن القاضي كان من اختيارهم ، فهل من المنطق في شيء أن ينتقد الرسول لهذا السبب ؟ إن كل اعتراض على قسوة هذه العقوبة هو اعتراض على الشريعة الموسوية؛ لأنه في الواقع انتقاد لا شعوري لتلك الشريعة ، و تسليم بأن شريعة أكثر إنسانية يجب أن تحل محلها ، وأن أية مقارنة بالشريعة الإسلامية في هذا الصدد خليق بها أن تكشف ، في وضوح بالغ ، أي قانون رفيق عطوف ، رحيم قدمه الإسلام إلى الناس ([1]).

لقد كان من نتائج القضاء على يهود بني قريضة أن تطهرت الجبهة الداخلية وضعف أمر المنافقين من الأوس والخزرج ، وبذلك توطدت أركان الدولة الإسلامية ، وتفرغ المسلمون إلى قضيتهم الأولى وهي القضاء على الشرك بالله في أنحاء المعمورة. التهوين والتقليل من أهمية ، بل وغض النظر عن الأسباب التي دفعت الرسول – صلى الله عليه وسلم إلى الحكم على بني قريضة ، ومحاولة الإيحاء للقاريء أن موقف الرسول من بني قريضة كان سببه أنهم عارضوه بعد أن كشفوا أمره.

5- فتح خيبر :

رحل قسم كبير من يهود المدينة إلى خيبر ، وعملوا على الثأر لأنفسهم من المسلمين، فخرج منهم **حيي بن أخطب النضري** ، و**سلام بن الحقيق** في جماعة من يهود خيبر إلى قريش بمكة التي تحمل لواء المعارضة للرسول ؛ لتحريضهم على مهاجمة المدينة ، وأقنعوهم بأنهم – أي قريش على حق ، وأن محمداً على ظلال ([2]).

فلما أقنعوا قريشاً مضوا إلى غطفان وبني مرة ، وفزارة وأشجع وسليم ، وبني سعد يحرضونهم على ألأخذ بالثأر ، وإعلانها حرباً شاملة على **محمد** ، ونجحت خطتهم في تحزيب الأحزاب على المسلمين في المدينة ، فأعد المسلمون عدتهم لصد العدوان ، وانتهى يوم الأحزاب([3])، وانتهى الرسول من بني قريضة ، ثم عمد إلى تصفية بقية اليهود الذين لا زالوا يشكلون خطراً على الدولة الإسلامية ، ورأى بعد صلح الحديبية أن يبدأ بغزو خيبر ، وما

---

(5) ينظر: مولانا محمد علي : حياة محمد ورسالته ، ص 98.

(1) لم يتردد هؤلاء اليهود ، عندما سألهم أهل قريش ، باعتبارهم أهل كتاب ، عن أي الدينين أفضل : دين قريش أم دين محمد الذي يدعو له ؟ ، أن فضلوا الوثنية على التوحيد، ناقضين بذلك التفضيل تعاليم التوراة ، فقالوا لهم " دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه ، وممن تبعه ". ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، 3\ 130.

(2) ينظر: السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص 362

حولها ، فخرج إليها في المحرم عام (7هـ/ 628م)، وحاصرهم ، ثم صالحوه على أن يحقن دماءهم ، وأن يقوموا على العمارة والنخل ، فأقرهم الرسول ، ثم صالح أهل فدك وتيماء ، وفتح وادي القرى([1]) .

يذكر المستشرقون الإنجليز سببا محتملا لغزو الرسول صلى الله عليه وسلم لخيبر ، وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد الحصول على بعض الغنائم التي يعوض بها أصحابه عن خيبة آمالهم في الحديبية قبل ذلك ببضعة أسابيع([2]).

وللرد على هذا الزعم يمكن القول :

أ- ينبغى لي أن أحدد ما المقصود بخيبة الأمل؟ ، فإن كان المقصود أن الذين صحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية كانوا يتوقعون دخول مكة والفوز بالغنائم فإن هذا افتراض فارق الحقيقة؛ لأن الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج إلى مكة محاربا بل معتمرا، وقد ساق معه الهدي وأحرم بنية العمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له ([3]) ، فعلام يتوقع من صحبه أن يدخلوا مكة محاربين وأن يفوزوا بالغنائم؟، فلا احتمال إذا لخيبة توقعاتهم، وأما إذا كان المقصود أنهم كانوا يتوقعون دخول مكة والإتيان بالعمرة فإن خيبة توقعاتهم من هذه الناحية أمر لا سبيل إلى تعويضه بفتح خيبر والحصول على الغنائم منها([4]).

ب- أن حقيقة الدافع وراء غزوة خيبر تكمن في المؤامرات التي حاكها اليهود من وراء جدر خيبر وحصونها المحصنة، فهم الذين ألبوا الأحزاب([5]) وقد يعاودون الكرة وهم دائمو التربص بالمسلمين، فلبني النضير ثارات مع المسلمين ولقد كانت خيبر في حالة رخاء تمكنها من تمويل أي حركة معارضة للدولة الإسلامية([6]).

ت- أن المصادر التاريخية تؤكد أن الرسول كان حريصاً على استمالة اليهود في المدينة ([7]) ، فنظم في كتاب الموادعة حرية إقامة شعائرهم الدينية ، ومساواتهم سياسياً بالمسلمين واعتبارهم

---

(3) ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية ، 2\ 223، 227، 235 ، البلاذري : أنساب الأشراف ، 1\ 28 .

(1) See: William Muir :Life of Mohammed from the original sources,,4\ 62- 69 D.S.Margoliouth,. Mohammed and the Rise of Islam,p 330 Montgomery watt: Muhammad: Prophet and Statesman, Pp217-218 , also : Mohammed at Medina,p 216

(2) ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية ، 3\ 198.

(3) ينظر: عبدالرحمن أحمد سالم، "قراءة نقدية في كتابات مونتجمري وات في السيرة النبوية"، ص 138-139.

(4) ينظر : ابن هشام : المصدر السابق، 3\ 130.

(5) ينظر: وليد بن بلهيش العمري : السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ، ص 47.

(6) ينظر: توماس آرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ت: حسن إبراهيم حسن (القاهرة ، 1974م) ، ص 47.

جزءً من الأمة الإسلامية ، كما صلى ناحية المسجد الأقصى في الشهور الستة عشر الأولى من الهجرة، ورغم كل ذلك لم يرض اليهود بإقامة دولة عربية إسلامية في المدينة يرأسها محمد ؛ لأن النبي الذي بشرت به كتبهم جاء عربياً ([1])، فما لبثوا أن نقضوا العهد ، وبدأوا يحابونه بالدس والوقيعة والنفاق ، وقد فطن الرسول لهم فأخذ الحذر منهم ، وأوحى إليه الله أن يصرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ، وهذا الحدث كان بداية عهد جديد شدد فيه اليهود عداوتهم لرسول والإسلام ، فحاولوا فتنته عن دينه ، وأخذوا يبثون بذور الشقاق بين المسلمين ، وعمدوا إلى تشكيك الأنصار في الإسلام ، وجاهروا الرسول بالعداوة والتحدي بعد بدر ، وأخذوا يؤلبون الأحزاب ضده ،وحاولوا اغتياله أكثر من مرة ، فكان لابد بعد كل ما فعلوه من حسم الموقف معهم باستئصال جرثومتهم الخبيثة من جسد الأمة الإسلامية النامية .

الخلاصة : إن المستشرقين الإنجليز قد تعاطفوا كثيراً مع اليهود ، وكان لهم رأي خاص في علاقة الرسول – صلى الله عليه وسلم -بهم فقلبوا الحقائق وزوروا التاريخ ،ورموه بالعدوان والقسوة متناسين أو غافلين عمداً ، أن الرسول – صلى الله عليه سلم – قد عامل اليهود منذ قدومه إلى المدينة معاملة حسنة ، وسعى إلى كسبهم في صف الإسلام ، أو ضمان حيادهم ، ولكنهم بدأوا بالغدر والخيانة ، وتخلوا عنه في أصعب الأوقات ، وتأمروا مع أعدائه ، وكادت مؤامرتهم تنجح ، لولا أن الله أراد أن يتم نوره ، وأرسل جنوداً لم يروها في يوم الأحزاب.

إن المصادر التاريخية الصحيحة – والتي يقلل من قيمتها العلمية هؤلاء المستشرقون - تؤكد أن اليهود قد حفروا قبورهم بأيديهم عندما شهروا سيف العداوة للإسلام والمسلمين ، رغم أن يد الإسلام قد امتدت لهم بالسلام منذ اليوم الذي حط فيه الرسول – صلى الله عليه وسلم – المدينة المنورة ؛ فكان لابد من تنقية الدولة الإسلامية الوليدة مما كان يهدد أمنها وبقائها واستمرارها من الأعداء الذين أعماهم الحسد وذرفت قلوبهم بالضغينة.

(1) ينظر: أحمد إبراهيم الشريف : الدولة الإسلامية الأولى ، ص 94.

الخاتمة

والخلاصة التي وصلت إليها من خلال هذه الدراسة تكمن في النقاط التالية :

- أن الاستشراق حركة قام ، ويقوم بها مفكرّو الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافة الشَّرق وعلومِهِ ، وهو في أغلب حالاته نبع من دوافع دينية بحتة ، ولا تزال هذه الدوافع تحرك عجلته إلى يومنا هذا .
- إن الغرب المعاصر لا يزال يعاني من رواسب عدائية خلفتها الحروب الصليبية ، والتعصب المبالغ فيه ضد الإسلام خلال العصور الوسطى، ورغم أن بعض المستشرقين قد وُصف بالموضوعية والعلمية ، إلا أن فكر القرون الوسطى لا يزال يشحذ الوعي الثقافي الغربي.
- إن هؤلاء المستشرقين قد سعوا بكل وسيلة ممكنة إلى الطعن في شخص الرسول – صلى الله عليه وسلم ، وسيرته الطاهرة ، وأنهم حاولوا إقناع القاريء الغربي (المستهدف الأول من كتاباتهم) ، والمسلم على حد سواء بأن محمد – صلى الله عليه وسلم – قد ألف القرآن ، وأسس ديناً فيه الكثير من الجوانب الإصلاحية، وقد حاولت بمعرفتي المتواضعة أن أرد على شبهات وأباطيل هؤلاء المزيفين للتاريخ بما توفر لدي من أدلة قرآنية أو نصوص من العام، أو براهين تاريخية ، وتركت في بعض الأحيان الفرصة لبعض المستشرقين المنصفين لتولي الرد عليهم .
- إن المستشرقين الإنجليز لم يبتعدوا كثيراً عن المنهج الذي رسمه الغربيون قبلهم لدراسة الشرق عامة ، والتاريخ الإسلامي خاصة ، ذلك المنهج الذي يحلل الأحداث التاريخية بمنظور مادي ، عاكساً النظرة المسيحية ، والغربية للعالم ،وأن المستشرقين يعتمدون في دراساتهم على مصادر غربية ، قديمة ، عُرفت بتعصبها ، وكثرة اللغط فيها ،وعلى الرغم من أن المستشرق مونيجمري وات ، قد وُصف بالموضوعية ، إلا أنه أتضح لنا من خلال هذا البحث أنه قد تأثر كثيراً بأفكار من سبقوه ، فجاءت كتاباته في مجملها ترديداً لما ذكره موير المتعصب ، ومرجليوث المستشرق اليهودي المتعصب .

هذا ، ولا يزال هذا الموضوع يحتاج إلى الكثير من الدراسة والبحث من خلال آراء المستشرقين الأوربيين عامة ، والمستشرقين الإنجليز على وجه الخصوص ، والرد على افتراءاتهم التي حاولت النيل من الإسلام عن طريق الطعن في شخص الرسول – صلى الله عليه وسلم - .

Abstract

Biography of the Prophet (pbuh) in English Orientalists' Writings

Orientailsm is a broad and complex movement. It has been associated positively and negatively with the study of the culture and religion of the East in general and Islam and its history in particular. Therefore, it is crucial to know about this movement and its approach of studying Islamic history. The aim of the first chapter of this study is to give a linguistic definition to the concept of orientalism by introducing the most important definitions which are introduced by both western and eastern researchers. Then, an attempt is made towards tracing back the emergence of the concept and its development stages, explaining the motivations that lies behind this movement and the objectives that it seeks to achieve. Brief overviews of the main schools of orientailsm and some biographies of the orientalists discussed in this study have been introduced. Finally, this chapter has come to a conclusion that orientalism is a movement created by Western intellectuals to determine the parameters of eastern and Islamic thoughts, cultures and sciences. Orientalism also, in most cases, is stemmed from purely religious motives. These motives still revolve its wheel to the present days.

In the second chapter an attempt is made to clarify the stages of writing down the Biography of the Prophet (pbuh) in the past and present since its association with codification of the *Hadith* until it

becomes independently known as *Sier* or *Maghazi*. An attempt has been also made to determine the reasons of the attention that have been paid by both Muslim historians and Western orientalists to the codification of the Prophet's biography. I have also presented an overview of the most important books of *Maghazi* and *Sier* from the first *Hejra* (migration) for three centuries.

These books are considered as the primary resources that the latest historians rely upon. I have also presented some orientalists who wrote the Biography of the Prophet (pbuh) and their resources.

This chapter has been concluded with a brief overview of the impact of the medieval thought in the contemporary writings on the Prophet's Biography. The chapter has also come to a conclusion that the modern West is still suffering from residues of hostility left by the Crusades era as well as the exaggerated racism against Islam during the Middle Ages. Although some orientalists were known with their objectivity, the thought of the Middle Ages is still sharpening the awareness of western culture.

The third chapter presents different views of English orientalists (subjects of the study) on the Prophet's Biography during the era of Makkah concentrating on the suspicions that they tried to raise explicitly as in the case of Mober and Margelbout, or implicitly under the cover of objectivity as in the case of Watt. A conclusion has been made that these orientalists have sought in all possible ways to the defamation of the person of the Prophet (pbuh) and his pure biography. They tried to convince the western reader in the first place and Muslims in the second that Mohammad (pbuh) is the author of the Qur'an and Islam is a religion that needs reforming in many aspects.

Finally, an attempt is made to respond to the suspicions and untruths of these falsifiers of history using Qur'anic texts, and scientific and historical evidence. I have also left the opportunity for some honest orientalists to take a response.

Chapter four tackles the position of the orientalists of the Prophet's Biography in *Al-Madena* era. I have come to a conclusion that the orienalists had prejudiced a lot against the Prophet (pbuh) and his *Siera* especially with regard the way he dealt with the Jews of *Al-Madena*. They have also defamations in the private life of the Prophet (pbuh). The chapter also concluded that the English orientalists were not far away from the approach which was drawn by Westerns before them to study the East in general and Islamic history in particular. This approach, which analyzes historical events from a material perspective, reflects the view of Christianity and the west to the world as well as the orientalists relines in their studies on old, bias and inaccurate sources. Despite the fact that the orientalist Montgomery Watt was known with his objectivity, it becomes clear to us through this study that he has been influenced a lot by his predecessors. Therefore, his writings echo the bigoted Muir and the Jewish bigoted Mrgelyot.

Further research is needed through the views of the European orientalists in general and the English in particular in order to respond to their fabrications that tried to undermine Islam by the defamation of the Prophet (pbuh).

مصادر البحث ومراجعه

أولاً\ المصادر

- القرآن الكريم

- ابن الأثـــــير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (م: 630هـ/ 1232م):

1- أسد الغابة في معرفة الصحابة ،تح : محمد صبيح (القاهرة ، 1964م)

2- الكامل في التاريخ، دار صادر (بيروت ، 1982م)

- ابن جماعـــــة، عبد العزيز بن إبراهيم بن سعد الله (م:767هـ \1366م)

المختصر البشير في سيرة البشير النذير، تح : محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب (بيروت ، 1988م)

- ابن حبان الأندلسي (م: 745هـ\ 1344م) :

تفسير البحر المحيط ، تح : عاد أحمد عبد الموحد ، علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 2001م)

- ابن حجـــــــر، أحمد بن علي العسقـــــلاني (م:852هـ \1448م):

1- الإصابة في تمييز الصحابة ، تح : البيجاوي ،دار نهضة مصر ،(القاهرة ،ب ت)

2- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تح :عبد العزيز بن عبد الله ا بن باز وآخرون ، المكتبة السلفية ومطبعتها، ط 3، (القاهرة ، 1407هـ)

- ابن حـــــزم، أبو محمد علي بن أحمد(م:456هـ\ 1102م):

جوامع السيرة ، تح: إحسان عباس ، وناصر الدين أسد ، م: أحمد محمد شاكر ، دار المعارف (القاهرة ، ب ت)

- ابن خلكـــــان، أبو العباس شمس الدين أحمد(م:681هـ\ 1282م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس (بيروت ، 1972م)

- ابن سعـــــد ، محمد بن منيع الزهري (م:230هـ \844م) :
الطبقات الكبرى ، أعد فهارسها :
رياض عبد الهادي ، دار إحياء التراث العربي
(بيروت ، 1996م)
- ابن سيـــــــد الناس (م:734هـ\ 1333م) :
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار الجيل
(بيروت ، 1974م)
- ابن عبـــــد البر، أبو عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (م:463هـ\ 1070م):
الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تح : علي محمد البيجاوي ،
دار نهضة مصر (القاهرة ، ب ت)
- ابن قيم الجوزيــة ، أبو عبد الله(م:751هـ\ 1350م) :
زاد المعاد في هدي سيد العباد ، المطبعة المصرية / ط3
(القاهرة ، 1993م)
- ابن كثيـــــــــر، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل (م:774هـ\ 1372م) :
1- البداية والنهاية ،دار المعارف (القاهرة ، 1966م)
2- الفصول في اختصار سيرة الرسول ، تح : محمد العيد
الخطراوي ، ومحي الدين مستو ، الوكالة العامة للتوزيع
(دمشق ، 1399-1400هـ)
3- السيرة النبوية ،تح :مصطفى عبد الواحد (القاهرة ،1964م)
- ابن منظـــــور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (م:711هـ\1311م):
لسان العرب المحيط ،مقدم له : عبد الله العلايلي ، إعداد
وتصنيف : يوسف خياط، دار لسان العرب (بيروت ،ب ت)
- ابن هشـــــــام، محمد عبد الملك المعافري(213هـ\828م):
السيرة النبوية ، دار الفجر للتراث ، (القاهرة ، 2004م)
- الأشعـــــــري، أبو الحسن علي بن اسماعيل :
مقالات الإسلاميين وإختلافات المصلين ، تح :
محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية
(القاهرة ، 1969م)

- الأصبهاني ، أبي نعيم أحمد بن عبد الله(م:369هـ\ 979م):
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ،
ط4، (بيروت ، 1984م)
- البخـــــــاري،محمد بن اسماعيل (م:256هـ\870م):
صحيح البخاري ، تح: طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الإيمان
(المنصورة ، 2003م)
- البغـــدادي، الخطيب(م:463هـ\ 1070م):
تقييد العلم (دمشق ، 1949م)
- البـــــلاذري، وأبو الحسن بن أحمد بن يحي (م: 279هـ\892م) :
أنساب الأشراف ،تح : محمد حميد الله (القاهرة،1959م)
- الترمـــــــذي،أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (م:279هـ\989م):
سنن الترمذي ،علق عليه : عزت عبيد الدعاس ، مطابع الفجر
الحديثة (القاهرة ،1967م)
- الحـــــــلبي، أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد ابن برهان :
(م:975هـ \1044م) :
السيرة الحلبية النبوية (أنسان العيون في سيرة الأمين و المأمون)
شرح وضبط وتعليق : محمد التونجي ،دار المعرفة
(دمشق ، 1989م)
- الحمـــــــوي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (م: 626هـ\ 1230م):
معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة
والنشر (بيروت ، 1957م)
- الذهبـــــــي، شمس الدين أبي عبد الله بن أحمد (م: 748هـ/ 1347م) :
سير أعلام النبلاء ،تح : شعيب الأرنؤوط ، دار الرسالة
(بيروت، ب ت)
- السيـــــوطي ، عبد الرحمن جلال الدين بن كمال الدين الخضري
(م:911هـ\ 1505م) :
تاريخ الخلفاء ،مراجعة وتعليق : جمال محمود مصطفى ،
دار الفجر للتراث (القاهرة ، 2004م)

- السهيـــــلي ،أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي (م:508هـ\581م):
الروض الانف في تفسير السيرة النبوية ' دار المعرفة
(بيروت ،1978م)
- الطبـــــري، محمد بن جرير (م:321هـ\ 922م) :
1-تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 987[1]م)
2-تفسير الطبري (جامع البيان) ، دار الكتب العلمية (القاهرة ، 1999م)
- عيـــــــاض، القاضي أبو الفضل :
الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الفكر (بيروت ، ب ت)
- القاسمـــــي ، محمد جمال الدين (م: 1332هـ/ 1914م) :
تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، ضبط وتصحيح :
باسا عيون السود ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1997م)
- المحـــــــلي، جلال الدين (م:864 هـ\1459م)، وجلال الدين السيوطي
(م:911هـ\ 1505م)
تفسير الجلالليين ، راجعه وأعده للنشر : محمد محمد تامر ،
مؤسسة المختار للنشر والتوزيع (القاهرة ، 2004م)
- مســـــــلم،أبو الحسين مسلم بن حجاج(م: 261هـ\874م) :
صحيح مسلم ، تح محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر
(بيروت ،1999م)
- المســـــعودي ، وأبو الحسن علي بن الحسين(م:346هـ\957م) :
مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت ، 1965م)
- المقـــــــــري التلمساني، أحمد بن محمد:
نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تح: إحسان عباس ،
دار صادر ، (بيروت ، 1968م)
- المقـــــري، محمد بن محمد بن سليمان :
جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد ، تح:
سليمان بن دريع العازمي ، مكتبة الرشد (الرياض ، 2005م)
- النـــــديم ، محمد بن إسحاق أبو الفرج(م:385هـ \995م) :
الفهرست ،دار المعرفة (بيروت ، 1978م)

ثانياً\ المراجع العربية والمعربة

- أبـــو شهبة ، محمد بن محمد :

السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار الطباعة المحمدية ، الأزهر (القاهرة ، 1970م)

- آربـــــري، أ.ج.آربري :

المستشرقون البريطانيون ، ت: محمد الدسوقي النويهي (لندن ، 1946م)

- أســـــــد ، محمد :

1- الإسلام على مفترق الطرق، ت عمر فروخ ، دار العلم للملايين (بيروت ، 1987م)

2-الطريق إلى الإسلام ،دار العلم للملايين ،ط5، (بيروت ، 1977م)

- أميـــــن ، أحمد:

ضحى الإسلام ، (القاهرة ، 1983م)

- بـــــــارت، رودي :

الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه). ،ت: مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، (القاهرة، ب ت)

- بـــــــدوي، عبد الرحمن:

1- دفاع عن القرآن،(القاهرة ، 1998م) .

2- موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ،ط3، (بيروت ، 1993م)

- البـــــركي، رمضان :

الحملة الصليبية على كتاب الله والتيارات الفكرية المعادية له ، مطبعة الزحف الأخضر ،(بنغازي ، 1425هـ/ 2005م)

- البعـــــلبكي ، منير :

قاموس المورد ، دار العلم للملايين ، ط13 (بيروت ،1979 م)

- البهنســـــاوي، علي سالم :
الغزو الفكري للتاريخ والسيرة بين اليمين واليسار ، دار القلم
(الكويت ، 1985م)
- البـــــــــهي ، محمد:
الدين والدولة في توجيه القرآن الكريم ، دار الفكر ،
(بيروت ، 1971م)
- بيـــــــــهم، محمد جميل:
فلسفة تاريخ محمد ، (بيروت ، ب ت)
- جحـــــــــــا، ميشال :
الدراسات العربية والإسلامية في أوربا ، معهد الإنماء العربي ،
(بيروت ، 1983م)
- جعيـــــــــط ، هشام:
أوروبا والإسلام ، ت: طلال عتريسي ، دار الحقيقة للنشر ،
(بيروت ، 1980 م)
- الجلنيـــــــــد ، محمد السيد :
الاستشراق والتبشير ، قراءة تاريخية موجزة ، دار قباء
للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة ، 1999م)
- الجنـــــــــدي، أنور :
" المستشرقون والسيرة النبوية " ، الإسلام والمستشرقون ،
مجموعة الأبحاث االتي قدمت للندوة العلمية التي أقيمت
عن الإسلام والمستشرقون بمجمع دار المصنفين بالهند
(جدة ، 1985 م)
- الحـــــــــاج، ساسي سالم :
الظاهرة الاستشراقية ،وأثرها في الدراسات الإسلامية ،
منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي،ط3(مالطا ،1993م)
- الحـــــــــداد، محمد أحمد مشهور:
الإسلام في وجه التحديات ، دار الفتح (ب م ، 1971م)

- حســـــــــن، حسن إبراهيم :
تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط9
(القاهرة ، 1975م)
- حســـــــــن ، حسين الحاج :
حضارة العرب في العصر العباسي ، المؤسسة الجامعة
للدراسات والنشر والتوزيع (بيروت ، 1994م)
- حســـــــــن ، محمد خليفة :
آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، دار عين
للبحوث والدراسات . (القاهرة، 1997م)
- حسيـــــــــن، السايح علي :
سبيل الهدى ، دراسة تاريخية وتبويب موضوعي لآيات من
القرآن الكريم ، دار اقرأ للطباعة والترجمة والنشر والخدمات
الإعلامية(طرابلس ، 1988م)
- حسيـــــــن ،طه:
في الشعر الجاهلي ، (القاهرة ، 1967م)
- حسيـــــــن، محمد محمد:
الإسلام والحضارة الغربية ، دار الإرشاد (بيروت،1969م)
- الحسينـــــــي، هاشم معروف:
الموضوعات في الآثار والأخبار ، دار الكتاب اللبناني ،
(بيروت ، 1973م)
- حمـــــــــادة، فاروق :
مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، دار الثقافة
(الدار البيضاء ، 1980م)
- حمـــــــــادة، محمد ماهر:
المكتبات في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، ط5،
(دمشق ، 1986م)

- حمـــــــــدان، عبد الحميد صالح :
طبقات المستشرقين ،مكتبة مدبولي (القاهرة ، 1990م)
- حميـــــــــش، سالم:
الاستشراق في أفق انسداده ، منشورات المجلس القومي
للثقافة العربية(الرباط، 1991م)
- حورانـــــــــي، ألبرت حوراني :
الإسلام في الفكر الأوربي ، الأهلية للنشر والتوزيع
(بيروت ، 1994م
- خـــــــــــالدي، مصطفى ،وعمر فروخ:
التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين
التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، منشورات
المكتبة العصرية، (بيروت، 1982م)
- الخطيـــــــــب، محب الدين ، وآخرون :
دراسات عن البهائية والبابية ، حركات هدامة ، المكتب
الإسلامي (بيروت ، 1391ه)
- خفاجـــــــــي، محمد عبد المنعم ، عبد العزيز شرف :
الإسلام والغزو الفكري ،دار الجيل (بيروت ، ب ت)
- خليفـــــــــة، محمد حسن :
أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر ،عمادة البحث العلمي
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية(الرياض،2001م)
- خير الديـــــــن، محمد عبد العزيز :
محمد خاتم الرسل، (صلى الله عليه وسلم)
(القاهرة ، 1388 ه)
- درمنغـــــــــم ، إميل :
حياة محمد ، ت: عادل زعيتر ، المؤسسة العربية للدراسات
و النشر ، ط2 ،(بيروت ،1988م)

- الدسوقـــــــــي ،محمد :

1- الإسلام والمستشرقون ،(القاهرة ، 1972م)

2- فـي الثقافـة الإسـلامية ، منشـورات جامعـة الفـاتح ، ط2، (طرابلس ، 1977م

- الدعمـــــــــــي، محمد عبد الحسين :

المتغير الغربي ، الشرق ، الاستشراق، أدب الصحراء

دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ، 1986م)

- الـــــــــدوري، عبد العزيز:

نشأة علم التاريخ ، (بيروت ، 1960م) .

- دويـــــــــــدار، بركات عبد الفتاح :

الحركة الفكرية ضد الإسلام ، دار التراث العربي للطبع والنشر ، (ب م ، ب ت)

- الديـــــــــــب، عبد العظيم :

" المستشرقون والتاريخ ": الإسلام والمستشرقون ، مجموعة البحوث التي قدمت للندوة العلمية التي أقيمت بدار المصنفين بالهند ، (جدة ، 1985م)

- ديـــــــــــدات، أحمد :

الرسول الأعظم ، محمد –صلى الله عليه وسلم ، ت: علي عثمان، مراجعة: محمد مختار ، المختار الإسلامي (القاهرة ، 2009)

- دينيـــــــــــه، أتيين :

محمد رسول الله ، دار المعارف (القاهرة ، 1966م)

- ديـــــــورانت ، ول :

قصة الحضارة ، ت: زكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ، 1968م)3

- زقـــــــزوق، محمود حمدي :

1- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ،كتاب الأمة ، (قطر ، 1984م)

2-" الإسلام والاستشراق" ،ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون ، مجموعة البحوث التي قدمت للندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين التي عقدت بدار المصنفين بالهند ، عالم المعرفة ،(جدة ، 1985 م)

- زكريـــــــــــا، زكريا هاشم :

المستشرقون والإسلام ، لجنة التعريف بالإسلام ، يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (القاهرة ، 1965م)

- الزيـــــــــــادي، محمد فتح الله :

ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ،(طرابلس ، 1983م)

- ســـــــــــالم ، السيد عبد العزيز :

تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)، دار النهضة العربية (بيروت ، 1986م)

- الســـــامرائي، قاسم :

الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، دار الرفاعي ، (الرياض ، 1983م)

- الســـــــاموك ، سعدون محمود :

السيرة النبوية ، دار الأوائل للنشر (عمان ، 2004م)

- ســـــــــــرور، محمد جمال الدين :

قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد ، دار الفكر العربي،ط3،(القاهرة ،1959م)

- السباعـــــــــي، مصطفى:
الاستشراق والمستشرقون ، المكتب الإسلامي ، ط2
(بيروت ،1979م)
- سعيـــــــــــد، إدوارد :
الاستشراق، ت: كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية
(بيروت ، 1981م)
- سما يلو فتش ، أحمد:
فلسفة الاستشراق، وأثرها في الأدب العربي المعاصر ،
دار المعارف (القاهرة ، 1980م)
- ســـــــوذرن، ريتشارد :
صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى ، ت:
رضوان السيد ، دار المدار الإسلامي ، ط 2،
(بيروت ، 2006م)
- شاهيـــــــــن ، عبد الصبور وإصلاح عبد السلام الرفاعي :
موسوعة أمهات المؤمنين ، دار الإعتصام (القاهرة ، ب ت)
- شبـــــــــــارو، محمد:
الدولة العربية الإسلامية الأولى ، دار النهضة العربية ،
ط3 (بيروت ، 1995م)
- الشرقـــــــاوي، محمد :
الاستشراق، مطبعة المدينة (القاهرة ،ب . ت)
- الشطشـــــــاط، على حسين :
تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ،
منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي
(الجماهيرية ، 2004م)
- الشعـــــــراوي، محمد متولي :
شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها ، مكتب التراث
الإسلامي (القاهرة ، ب ت)

- شيـــــــــمل، آنا :

سيرة النبي محمد ، ت: فاطمة نصر ، ومحمد عناني

(القاهرة ، 1998م)

- الصابونـــــي، محمد علي :

مختصر تفسير ابن كثير، دار الصابوني للنشر والتوزيع

والإعلان (القاهرة ، ب ت)

- صبـــــــــرة، عفاف:

المستشرقون ومشكلة الحضارة،دار النهضة العربية للطبع

والنشر والتوزيع (القاهرة، 1985م)

- طعمـــــــــة، صابر طعمة :

أخطار الغزو الفكري على العلم الإسلامي ، عالم الكتب

(بيروت ،1984م)

- طـــــــــــــــه، عزية علي:

منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل ، دراسة مقارنة ،

دار البحوث العلمية (الكويت ،1987م)

- العـــــــــــالم ، عمـــر لطفي :

المستشرقون والقرآن ،دراسة نقدية لمناهج المستشرقين ،

مركز دراسات العالم الإسلامي (مالطا ، 1991م)

- العباســـــــــي ، محفوظ :

الغرب نحو الدرب (القاهرة ، 1998م)

- عرجـــــــــون ، صادق :

نظام الحكم في الإسلام ، مكتبة وهبة (القاهرة ، ب ت)

- عبد الحليـــــــم ، محمود:

القرآن والنبي ، دار النصر للطباعة (ب م ، ب ت)

- عبد الحميـــــــد، عرفان:

الاستشراق، دار الإرشاد (بغداد 1969م)

- عبد اللطيـــف ، عبد الشافي محمد:
السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، قراءة ورؤية جديدة ،
دار السلام (القاهرة ،2007م)
- عبد الهـــادي ، عبد المهدي عبد القادر:
السيرة النبوية في ضؤ القرآن والعام، المؤسسة العربية
الحديثة ،(القاهرة ، ب ت)
- عثمـــــــان، محمد فتحي :
دولة الفكرة التي أقامها رسول الإسلام عقب الهجرة ،
مكتبة وهبة ، (القاهرة ،ب ت)
- عريبـــــــي، محمد ياسين :
الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، منشورات
المجلس القومي للثقافة العربية (الرباط ، 1991م)
- عطيـــــــة، جورج:
الجدل الديني المسيحي ـ الإسلامي في العصر الأموي
وأثره في نشوء علم الكلام ، جامعة اليرموك
(عمَّان، 1989م)
- العقيقـــــي، نجيب :
المستشرقون ، دار المعارف (القاهرة ، ب ت)
- علـــــــي، مولانا محمد:
حياة محمد ورسالته ، ت : منير البعلبكي ، دار العلم للملايين،
(بيروت ، 1963م)
- عمـــــــران، محمود سعيد:
تاريخ الحروب الصليبية ، دار النهضة العربية ،
(بيروت ، 1990م)

- العمـــــــري، وليد بن بليهش :
السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية:دراسة تحليلة لما كتب تحت مادة (محمد : النبي ورسالته) ،
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
(المدينة المنورة ، 1999م)
- غـــــــراب، أحمد عبد الحميد :
رؤية إسلامية للاستشراق ، المنتدى الإسلامي ، ط2
(بيرمنجهام، 1411هـ)
- فاغليـــــري ،لورافيشيا :
دفاع عن الإسلام ، ت: منير البعلبكي ، ط4،
(بيروت ، 1979م)
- الفرحـــــــان، راشد عبد الله :
الأديان المعاصرة ، جمعية الدعوة الإسلامية ، ط2،
(طرابلس ، 1985م)
- فـــــــــروخ، عمر :
1- "الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة "، الإسلام والمستشرقون ، مجموعة الأبحاث التي قدمت في الندوة العلمية عن الاستشراق والمستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند ،
(جدة ، 1985م) .
2- تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، دار العلم للملايين، ط3، (بيروت ، 1981م)

- فـــــــــــوك، يوهان :
تاريخ حركة الاستشراق(الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين ، ت : عمر لطفي العلم ،
منشورات دار المدار الإسلامي ، ط2 (بيروت ، 2001 م)

- فيصـــــــــل ، شكري :
المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ، دار العلم للملايين ، ط4، (بيروت ، 1978م)
- قلعه جـــــــــي ،محمد روّاس:
قراءة جديدة للسيرة النبوية ، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع والإعلان (الكويت ، 1984م)
- كارليـــــــــل، توماس :
الأبطال ، ت : محمد السباعي ، كتاب المعارف ، دار المعارف (القاهرة ، 1986م)
- المسلاتـــــــــي، مصطفى نصر :
الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين (أطروحة) ، دار اقرأ للطباعة والترجمة والنشر والخدمات الإعلامية (طرابلس ، 1086م
- المنوفـــــــي، السيد محمود أبو الفيض :
سيرة سيد المرسلين ، دار النصر للطباعة والنشر والإعلان (القاهرة ، 1964م)
- مهـــــــران ، محمد بيومي :
السيرة النبوية الشريفة ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، 1990م)
- الموســـــوي، محسن جاسم :
الاستشراق في الفكر العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ، 1993م)
- مؤنـــــــس، حسين :
دراسات في السيرة النبوية ، الزهراء للإعلام العربي ،ط 2 (القاهرة، 1985م)
- الميدانـــــــي، عبد الرحمن حسن حبنكة:
أجنحة المكر الثلاث وخوافيها (التبشير ، الاستشراق، الاستعمار) ، دار القلم ، (بيروت ، دمشق ، 1975م)

- النـــــــدوي، أبو الحسن علي الحسني :

1- " الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين " ، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون ، مجموعة الأبحاث التي قدمت للندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند ، عالم المعرفة ،(جدة ، 1985م)

2- عن القادياني والقاديانية ، دراسة تحليلية ، الدار السعودية للنشر ، ط4 (جدة ، 1971م)

- نصـــــــــار، حسين :

نشأة التدوين التاريخي عند العرب ، منشورات إقرأ ، ط2 ، (بيروت ، 1980م)

- النظامـــــــي ،خليق أحمد:

" عهود متعددة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم " الإسلام والمستشرقون ، مجموعة الأبحاث التي قدمت للندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين التي عقدت بدار المصنفين بالهند ، (جدة ، 1985م)

- النعمانـــــــي، شبلي :

سيرة النبي، دار المصنفين (أعظم جره الهند، 1396هـ)

- الهرامـــــــــة، عبد الحميد :

"لماذا ندرس السيرة ؟"، ندوة السيرة النبوية ، جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس ، 1986م)

- هوروفـــــــتس ، يوسف:

المغازي الأولى ومؤلفوها ، ت : حسين نصار ، شركة مطبعة البابي وأولاده (القاهرة ، 1949م)

- هونـــــــــكة، زيغريد :

شمس العرب تسطع على الغرب ، ت :فاروق بيضون وكمال الدسوقي ، (بيروت ، 1982م)

- اليـــــــــــوسف، عبد القادر أحمد :

العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنيين الحادي عشر

والخامس عشر الميلاديين ، منشورات المكتبة العصرية ،

(بيروت ، 1969م)

ثالثاً\ الدوريات

- أبـــــو العزم ، عبد الغني:
  دراسة تاريخية حول موضوع مصادر الدراسات الإسلامية في أوربا ، مجلة المؤرخ العربي ، تصدر عن : الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب ، ع 19،(بغداد ، 1981م)
- أميـــــــــــن، حسين أحمد :
  " تأملات في تطور كتابة سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم في الشرق والغرب " ، مجلة العربي ، ع 215، (الكويت ، 1976م)
- البابطيـــــــن، عبد الله بن محمد:
  " منهج كتابة التاريخ العربي " مجلة المؤرخ العربي ، تصدر عن رابطة المؤرخين العرب ع43، العام السادس عشر (بغداد، 1990م)
- البهـــــــــــي، محمد :
  " المبشرون والمستشرقون " ، حولية كلية الدعوة ، ع 2 ، (القاهرة، 1986م)
- جـــــــــاسم، ناصر عبد الرازق الملا :
  "الإتجاهات التبشيرية لمجلة العالم الإسلامي "، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، ع25، (دبي 2003م)

- حمـــــــــادي ، محمد جاسم :
  "أثر دراسة التدوين والإسناد في الحديث على نشؤ وتطور الفكرالتاريخي " مجلة المؤرخ العربي ، ع23، (بغداد ، 1983م)

- ريـــــــــان، محمد رجائي :

" علم التاريخ عند المسلمين وتطوره في القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي) " مجلة دراسات تاريخية ، ع 33، 34 ، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق ،العام العاشر (دمشق ، 1989م)

- الزيـــــــادي، محمد فتح الله :

1- " الاستشراق، النشأة والدوافع " ، مجلة رسالة الجهاد ، ع 98، العام العاشر ، (طرابلس، 1991م)

2- " مدارس الاستشراق"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، ع 3،(طرابلس، 1986م)

3- " المستشرقون في الميزان " ، مجلة رسالة الجهاد ، ع98، العام العاشر ، (طرابلس ، 1991م)

- الســـــــــايح، أحمد عبد الرحيم:

1- " الاستشراق ومنهج نقده " ، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،ع 10،(جامعة قطر ، 1992م)

2- " الحركة الاستشراقية وكيفية مواجهتها"،مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، ع 17، (طرابلس ، 2000م)

- ســـــــــاهاس، دانييل :

"جدل يوحنا الدمشقي مع الإسلام" ،مجلة الاجتهاد ، ع28، السنة السابعة (بيروت، 1995م)

- السلمـــــــــــي، محمد بن صامل:

" منهج نقد الروايات التاريخية من منظور إسلامي " ، مجلة المؤرخ العربي ، ع 6 ، تصدر عن الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب ، (بغداد ،مارس ، 1998م)

- الشـــــــــاهد، السيد محمد:

"الاستشراف ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين" مجلة الاجتهاد. ع 22، العام السادس ، (بيروت ،1994م)

- العـــــــــالم، عمر لطفي:
" بصمات يهودية على حركة الاستشراق"،مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، ع 21، كلية الدعوة الإسلامية (طرابلس ، 2004م)
- عجـــــــــك، بسام داود:
" التراث الإسلامي والاستشراق" مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، ع 7 (طرابلس، 1990م)
- عريبـــــــــي، محمد ياسين
"الخلفية الدينية للاستشراق "، مجلة رسالة الجهاد، ع84، س الثامنة،(طرابلس ، 1990م)
- عقـــــــــل، نبيه :
" المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي "، مجلة دراسات تاريخية ، ع 9، 10، (دمشق ، 1982م)
- علـــــــــي، جواد :
"يوحنا الدمشقي "، مجلة الرسالة ، ع 612 (القاهرة، مارس 1945م)
- القاضـــــــــي، محمد :
" الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف "مجلة التاريخ العربي ، ع 26، (المغرب ، 2003م)
- مغيلـــــــــي، محمد البشير الهاشمي :
"المنهج المنحرف في دراسة التاريخ الإسلامي "، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، ع 13 ، (طرابلس ، 1996م)

رابعاً\ المراجع الأجنبية

- C. Thomas:

  On heroes,Hero-warship and the heroic in history, long mans and greencompany (london,1966)

- Daniel ,Norman:

  Islam and The West (Oxford,1993)

- Gibb, Hamilton.A.R :

  Studies On The Civilization Of Islam,The Beacon Press,(Boston,1962

- Margoliouth, D. S:

  Mohammed and the Rise of Islam, thirdedition, London

- Maurice,F :

  The Religions of The world and the world and their Relation with Christianity (london, 1847)

- Muir, William :

  Life of Mohammed from the original sources, Smith Elder Co (London, 1864)

- Said, Edward :

  Orintalism (New york,1979)

- Sale.G :

  The Koran (london ,1734

- S. Runciman :

  Ahistory of the crusades,(cambridge , 1957)

- Okly , Symon :

  The History of saracens ,2nd edn

  (london ,1718)

- Watt, Montgomery :

  1- Mohammed at Mecca,(Oxford University Press,1952)

  2- Mohammad at Medina(Oxford,1958)

  3- Mohammed: Prophet and statesman (Oxford ,1961)

- W, Setton, and Baldwin :

  A history of the Crusades

  (,pennsylvania, 1958)

خامساً \الدوريات الأجنبية:

- S.Zwemer:

  " Character of Mohammad", Musilm World Jornal , 1911

- Watt, Montgomery:

  Mohammad In The Eye of The West ,Boston University Journal,1974

سادساً\ المواقع الإلكترونية

- .أنـــور محمـــود زنـــاتي : معجـــم إفتـــراءات الغـــرب علـــى الإســـلام http\scribd.com,13.5.2009.
- مـــازن مطبقـــاني : بحـــوث فـــي الاستشـــراق الأمريكـــي المعاصـــر (1999م) htt:llwww.scribd.com. ،7 / 8/ 2008م.
- محمد سعد ياقوت " كتاب نبي الرحمة "http:/www.saaid.net (2009\1\2.)
- (عداء الغرب للإسلام ليس وهماً)،www.madinacenter.com ،8-12-2008
- www.who.int/mediacentre موقع منظمة الصحة العالمية ، مركز وسائل الإعلام : مرض الصرع